

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
و الصلاة و السلام على مولانا رسول الله و على آله و صحبه

كتاب مسالك الأبرار في سبل النجاة من النار (ج أحمد بن عبد الله سكيرج)

مقدمة عامة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله حمدا يوافي نعمه و يكافئ مزيده، و الصلاة و السلام على مولانا رسول الله و آله و صحبه. اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق و الخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق و الهادي إلى صراطك المستقيم و على آله حق قدره و مقداره العظيم.

أما بعد، يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم: " الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، و النار مثل ذلك " (صحيح البخاري عن ابن مسعود). إن من جال في عوالم الآخرة، و تصور جنة الخلد و ما تحتوي من أنهار و أزواج مطهرة و رضوان، و تصور جهنم و ما تحتوي من ألوان العذاب، سأل نفسه أي نفسي ما تريدين؟ فأجابته أريد أن أرجع إلى الدنيا فأعمل صالحا، الله أكبر: إنك في الأمنية فاعلمي، ابحتي على مسببات نجاتك، كوني على دراية بسبل النجاة حتى تتبعتها و بسبل الهلاك حتى تجتنبها.

يقترح هذا الكتاب مساعدة كل حيران صاحي من غفلته، بتقديم أكبر عدد ممكن من سبل النجاة، و من الأعمال الصالحة، و الكتاب مؤلف من فصلين و ملحقات، الفصل الأول يهتم بالتذكير بعظمة الخالق سبحانه و تعالى، ثم بإنارة طريق الجنة و رسم سبلها و الثاني يهتم برسم طريق المحبة، محبة الله تعالى و رسوله صلى الله عليه و سلم، و قد اعتمدنا في بحثنا على ملاحظة اقتران كلمة "الذين" في القرآن الكريم بسبل النجاة و الهلاك، يقول تعالى: "وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ" (سورة البقرة 25) و يقول: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ {4}" (آل عمران)، و كذا على اقتران كلمة "يحب" بها، يقول تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" (البقرة 195، المائدة 13) و يقول سبحانه "وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِقِينَ" (البقرة 205)، ثم انتقل البحث ليشمل ما تيسر من الذكر الحكيم و العديد من كتب الحديث الجامعة لسبل النجاة. فنكون بهذا قد أنرنا طريق الجنان إنارة متكاملة، مستمدة من الكتاب و السنة و ذلك حتى يستطيع المشاهد رسم طريقه الخاص من خلاله، فالأمر سيصبح بيده، فليختر، و ليعلم أن أحب الأعمال إلى الله أدومها.

نسأل الله العظيم أن يتوجنا بتاج القبول في الدنيا و الآخرة و أن يجزل علينا مثوبة و أجرا و أن يغفر لنا و لوالدنيا و لسائر المسلمين مغفرة ملحوظة بعين الرضا على الدوام، و أن يختم لنا بالسعادة المربوطة بالحسنى و الزيادة في هذه الدار و في دار السلام، و أن يصلح أحوالنا و يخلص أعمالنا و يغفر لنا ما اقترناه من الذنوب و أن يستر ما لدينا من العيوب، إنه رب ذلك و القادر عليه. اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق و الخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق و الهادي إلى صراطك المستقيم و على آله حق قدره و مقداره العظيم. سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
و الصلوة و السلام على مولانا رسول الله و على آله و صحبه

اللهم صل و سلم على سيدنا و نبينا و مولانا محمد و على آل سيدنا محمد صلاة نبتعد بها يا
سلام عن طريق سخطك و بلاتك و غضبك، و القبول منك سبحانه يا الله يا رب

طريق الجنة وسبل النجاة من النار

التذكير بعظمة الله تعالى :

يقول تعالى "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ
(190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَفُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا
لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (192) رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ
لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (193) رَبَّنَا وَأَتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (194) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ
ذَكَرَ أَوْ أُنثِيَ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ " (آل عمران).

و يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " أجلوا الله يغفر لكم" (أحمد في مسنده عن أبي
الدرداء، تصحيح السيوطي حسن) والمقصود بإجلاله تعالى تعظيمه و مهابته، فصلاة المرء
الصادرة من قلب مستشعر و عارف بجلال الله سبحانه و تعالى، عارف بحقارة نفسه و كونها
مسخرة لربها، تختلف كل الاختلاف عن صلاة صادرة من قلب غافل لاه، فهذه في مرتبة و تلك
في مرتبة، لا يستويان. و أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المذكرة بعظمة خالقنا و
المعرفة بجلاله كثيرة، نذكر منها: عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه
الآية (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) قال هكذا بإصبعه، وضع النبي صلى الله عليه وسلم إصبعه
الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر فساخ الجبل (أخرجه الترمذي و صححه، عن أنس بن
مالك). قال الحافظ ابن كثير "فساخ الجبل" أي غاص في الأرض وغاب فيها، "وخر موسى
صعقا" أي مغشيا عليه لهول ما رأى.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال "إن ربكم تعالى ليس عنده ليل ولا نهار، نور
السموات والأرض من نور وجهه، وإن مقدار يوم من أيامكم عنده اثنتي عشرة ساعة تعرض
عليه أعمالكم بالأمس، أول النهار اليوم، فينظر فيها ثلاث ساعات فيطلع فيها على ما يكره
فيغضبه ذلك فأول من يعلم غضبه حملة العرش يجدونه ثقل عليهم فتسجد حملة العرش
وسراذقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة، ثم ينفخ جبريل بالقرن فلا يبقى شيء إلا
سمع صوته فيسبحون الرحمن عز وجل ثلاث ساعات، حتى يمتلئ الرحمن رحمة فتلك ست
ساعات ثم توتى بالأرحام فينظر فيها ثلاث ساعات فذلك قوله في كتابه {هو الذي يصوركم في
الأرحام كيف يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل
من يشاء عقيماً إنه عليم قدير} فتلك تسع ساعات ثم يوتى الأرزاق فينظر فيها ثلاث ساعات فذلك
قوله {يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر}، {كل يوم هو في شأن} قال هذا من شأنكم وشأن ربكم عز
وجل" (الطبراني في الكبير، قال الحافظ الهيثمي وفيه أبو عبد السلام، قال أبو حاتم مجهول، وقد

ذكره ابن حبان في الثقات). وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال " ما بين سماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وما بين كل سماءين خمسمائة عام وما بين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش على الماء والله جل ذكره على العرش يعلم ما أنتم عليه" (الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح).

و عن جابر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة" (أبو داود، صحيح السيوطي صحيح). وفي حديث آخر " إن الله أذن لي أن أحدث عن ديك قد مرقت رجلاه الأرض وعنقه مثنية تحت العرش، وهو يقول سبحانك، ما أعظمك، فيرد عليه لا يعلم ذلك من حلف بي كاذبا" (الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة، صحيح السيوطي صحيح). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد هل احتجب الله عز وجل عن خلقه بشيء غير السماوات والأرض، قال "نعم، بينه وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجاباً من نور وسبعون حجاباً من نار وسبعون حجاباً من ظلمة وسبعون حجاباً من ريفارف الإستبرق وسبعون حجاباً من ريفارف السندس وسبعون حجاباً من در أبيض وسبعون حجاباً من در أحمر وسبعون حجاباً من در أصفر وسبعون حجاباً من در أخضر وسبعون حجاباً من ضياء استضاءها من ضوء النار والنور وسبعون حجاباً من تلج وسبعون حجاباً من ماء وسبعون حجاباً من غمام وسبعون حجاباً من برد وسبعون حجاباً من عظمة الله التي لا توصف" قال فأخبرني عن الملك الذي يليه، قال النبي صلى الله عليه وسلم "أصدقت فيما أخبرتك يا يهودي" قال نعم، قال "فإن الملك الذي يليه إسرافيل ثم جبريل ثم ميكائيل ثم ملك الموت صلى الله عليهم أجمعين" (رواه الطبراني في الأوسط).

و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "تفكروا في كل شيء، ولا تفكروا في ذات الله تعالى، فإن بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة آلاف نور، وهو فوق كل ذلك" (أبو الشيخ ابن حبان في العظمة عن ابن عباس) "وهو فوق ذلك" أي فوقية منزهة عن صفات الأجسام، فهي لا تزيد من الأرض بعدا ولا من السماء قربا، كما في قواعد العقائد لحجة الإسلام الإمام الغزالي. و عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "سألت جبريل هل ترى ربك، قال إن بيني وبينه سبعين حجاباً من نور لو رأيت أدناها لاحترقت" (مجمع الزوائد). كل هذه أحاديث تبين مدى عظمة الخالق سبحانه وتعالى، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ولكن الناس يغفلون عن هذه الحقيقة، فيتناولون على خالقهم والعباد بالله، فهذا يحلف بالله كذبا وهذا يأتي المنكرات ليل نهار، مصر على معاصيه. ولو أنهم تفكروا قليلا في ملكوت الله وفي آياته لقالوا "ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار". لو أنهم تفكروا في عذاب الله لما اجتروا على معاصيه، لكن يبقى الإنسان ضعيفا محتاجا إلى من يذكره ويوعيه و يبصره، قال تعالى "فَدَكَّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِيدٌ" (سورة ق، الآية 45). اللهم إنا ضعفاء فقو في رضاك ضعفنا، وخذ إلى الخير بناصيتنا، واجعل الإسلام منتهى رضانا، اللهم إنا ضعفاء فقونا، وإنا ذلال فأعزنا، وإنا فقراء فارزقنا.

سبل النجاة من النار والدخول إلى دائرة رضا الله و محبته:

عن مجاهد بن سلمون رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "من حفظ على أمتي هذه الأربعين حديثا دخل الجنة و يحشره تعالى مع الأنبياء و العلماء يوم القيامة"، فقلنا يا رسول الله أي الأربعين حديثا، فقال صلى الله عليه وسلم "أن تؤمن بالله و اليوم الآخر و الملائكة و الكتب و النبيين و البعث بعد الموت و القدر خيره و شره حلوه و مره من الله تعالى و تشهد أن لا إله إلا الله و أني محمد رسول الله و تقيم الصلاة بإسباغ الوضوء لوقتها بتمام ركوعها و

سجودها و تؤتي الزكاة بحقها وتصوم رمضان و تحج البيت إن كان لك مال و تصلي اثنتي عشرة ركعة كل يوم و ليلة و هي سنتي و ثلاث ركعات و ترا و لا تأكل الحرام و لا تشرب الخمر و لا تحلف بالله كاذبا و لا تشهد شهادة الزور على أحد قريب أو بعيد و لا تعمل شيئا بهوى نفسك و لا تغترب أخاك و لا تقع فيه من خلفه أو قدامه و لا تقذف المحصنة و لا تقل لأخيك يا مراعي فيحبط عملك و لا تلعنه و لا تله مع اللاهين و لا تقل للقصير يا قصير تريد بذلك عيبه و لا تسخر بأحد من الناس و لا تأمن عقاب الله تعالى و لا تمش بالنميمة فيما بين الناس و تشكر الله على نعمته و على كل نعمة أنعم بها عليك و تصبر على ما أصابك من مصيبة أو بلاء و لا تقنط من رحمة الله و اعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك و ما أخطأك لم يكن ليصيبك و لا تطلب سخط الرب برضى المخلوقين و لا تؤثر الدنيا على الآخرة و إذا سألك أخوك المسلم مما عندك فلا تبخل عليه و انظر في أمر دينك إلى من هو فوقك و في أمر دنياك إلى من هو دونك و لا تكذب و لا تخالط الشياطين و دع الباطل و لا تأخذ به و إذا سمعت حقا فلا تكتمه و أدب أهلك و ولدك بما ينفعه عند الله تعالى و يقربهم إلى الله عز و جل و أحسن إلى جيرانك و لا تقطع رحمك و ذوي رحمك و صلهم و لا تلعن أحدا من خلق الله تعالى و أكثر من التسبيح و التحميد و التكبير و التهليل و لا تدع قراءة القرآن على كل حال إلا أن تكون جنبا و لا تدع حضور الجمعة و العيدين و اطرح كل ما لم ترض أن يقال لك أو يصنع بك فلا ترضه لأحد و لا تصنعه.

و في ثواب الحديث: قال سلمان الفارسي رضي الله عنه قلت يا رسول الله ما ثواب هذه الأربعين حديثا، قال "و الذي بعثني بالحق نبيا إن الله تعالى يحشره مع الأنبياء و العلماء و من تعلم هذه الأربعين حديثا و علمها الناس كان ذلك خيرا له من أن يعطى الدنيا و ما فيها، و الذي نفسي بيده من حفظ هذه الأربعين حديثا يطلب لها من عند الله عز و جل إلا طوقه الله تعالى بقلادة من نور تعجب الأولون و الآخرون من حسنه و بهائه و جماله و كرامة الله تعالى له، و الذي بعثني بالحق نبيا من حفظ هذه الأربعين حديثا و علمها الناس إلا شفعه الله تعالى يوم القيامة في 40.000 إنسان ممن قد استوجبوا النار و يشفع كل واحد في 40.000 آخر ثلاث مرات، و الذي بعثني بالحق من حفظ هذه الأربعين حديثا و علمها الناس أعطاه الله يوم القيامة ثواب 40 رجلا من الأبدال و يعطي الله تعالى لمن حفظ هذه الأربعين حديثا بكل حديث منها ثواب ألف ملك من الملائكة يبنون له القصور و المدائن و يغرسون له الأشجار في الجنة، و الذي بعثني بالحق نبيا إنه من حفظ هذه الأربعين حديثا ينتفع بها الناس إلا حرم الله جسده على النار و يكون يوم القيامة على سرير من نور و قد آمن من الفزع الأكبر و نجاه الله تعالى من الحساب و يعطى صاحب هذه الأربعين حديثا يوم القيامة منزلة العلماء و يقعد معهم و يعطيه الله تعالى مثل ما أعطاهم" (أنظر مصدر حديث الأربعين حديثا في الملحقات).

ولأهمية هذا الحديث الجامع و لتسهيل حفظه يمكن جمعه في أربعة مجالات كما يلي:

(مجال الإيمان) أن تؤمن بالله و اليوم الآخر و الملائكة و الكتب و النبيين و البعث بعد الموت و القدر خيره و شره حلوه و مره من الله تعالى.

(مجال الإسلام) و تشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و تقيم الصلاة بإسباغ الوضوء لوقتها بتمام ركوعها و سجودها و تؤتي الزكاة بحقها و تصوم رمضان و تحج البيت إن كان لك مال و تصلي اثنتي عشرة ركعة كل يوم و ليلة، و هي سنتي و ثلاث ركعات و ترا.

(مجال اجتناب الخبائث و المهلكات و سوء الخلق) و لا تأكل الحرام و لا تشرب الخمر و لا تحلف بالله كاذبا و لا تشهد شهادة الزور على أحد قريب أو بعيد و لا تعمل شيئا بهوى نفسك و لا تغترب أخاك و لا تقع فيه من خلفه أو قدامه و لا تقذف المحصنة و لا تقل لأخيك يا مراعي فيحبط عملك

ولا تلغنه ولا تله مع اللاهين ولا تقل للقصير يا قصير تريد بذلك عيبه ولا تسخر بأحد من الناس ولا تأمن عقاب الله تعالى ولا تمش بالنميمة فيما بين الناس.

(مجال الخوف من الله و الرجاء فيه و الإحسان والأعمال الصالحة ومعاملة الناس بخلق حسن) وتشكر الله على نعمته وعلى كل نعمة أنعم بها عليك وتصبر على ما أصابك من مصيبة أو بلاء ولا تقنط من رحمة الله واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولا تطلب سخط الرب برضا المخلوقين ولا تؤثر الدنيا على الآخرة وإذا سألك أخوك المسلم مما عندك فلا تixel عليه وانظر في أمر دينك إلى من هو فوقك وفي أمر دنياك إلى من هو دونك ولا تكذب ولا تخالط الشياطين و دع الباطل ولا تأخذ به وإذا سمعت حقا فلا تكتمه وأدب أهلك وولداك بما ينفعهم عند الله تعالى ويقربهم إلى الله عز وجل وأحسن إلى جيرانك ولا تقطع رحمك و ذوي رحمك و صلهم ولا تلغن أحدا من خلق الله تعالى وأكثر من التسييح والتحميد والتكبير والتهليل ولا تدع قراءة القرآن على كل حال إلا أن تكون جنبا ولا تدع حضور الجمعة والعديد واطرح كل ما لم ترض أن يقال لك أو يصنع بك فلا ترضه لأحد و لا تصنعه.

و هكذا أرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى حفظ هذا الحديث مبينا لهم أن حافظه ينال من الخير العميم ما يمكنه من الجلوس مع الأنبياء والعلماء و هم مصابيح الأمة يوم الحشر، يوم يحتاج الإنسان إلى أي بصيص من نور يسكن قلبه من الهول و الفزع. و الحفظ لغة الصيانة و الوقاية و يفيد أيضا المراعاة و الاحترام و التقيد و التنفيذ. وهو يقتضي معرفة و علما سابقا بما علينا حفظه فكان بالتالي أول ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث العلم ثم العمل به من خلال التقيد و التنفيذ. قال مجاهد بن سلمون رضي الله عنه "فقلنا" و كأنهم على قلب رجل واحد، فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الأربعين حديثا الذي يرسم طريق الوصول إلى الله عبر مقامات الدين الثلاث: الإسلام و الإيمان و الإحسان، مع رسم أدق تفاصيل الطريق في كل مقام، مؤكدا على اجتناب الخبائث ومعاملة الناس بخلق حسن.

المجالات الأربعة لسبل النجاة:

الإيمان: جاء في تحري معنى الإيمان من لفظ "الذين" من القرآن الكريم قوله تعالى " ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ {2} الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ {3} وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ {4} أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {5} " (البقرة). و قال تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا {136} " (النساء). و قال تعالى "وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا {152} " (النساء). و قال تعالى "الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ {2} " (الأنعام). و قال تعالى "وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ {92} " (الأنعام). و قال تعالى "وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ {17} الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ {18} أَفَمَن حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ أَقَانَتْ تَنقِذٌ مِّن فِي النَّارِ {19} " (الزمر).

و قال تعالى "اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ {17} يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُسْتَوْفُونَ مِثْلًا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ {18} " (الشورى). و قال تعالى "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ {2} ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ {3} (محمد) . و قال تعالى "وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ" {10} (المائدة).

و قال تعالى "إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا نُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ" {40} (الأعراف). و قال تعالى "وَأِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أُنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَرْبَّهُمْ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" {5} (الرعد).

فمعنى الإيمان إذن هو أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، فتتهجر الأصنام لقوله تعالى {والرجز فاهجر} (قال ابن عباس الرجز الأصنام) و عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية {هو أهل التقوى وأهل المغفرة} وقال "قال ربكم أنا أهل أن اتقى فلا يجعل معي إله، فمن اتقى أن يجعل معي إلهاً كان أهلاً أن أغفر له"، و الإيمان أن تؤمن أنه سبحانه وتعالى فوق سماواته على عرشه على حسب ما يليق بكماله من غير حلول ولا كيف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تجسيم ولا اتصال ولا انفصال (نظم المتناثر من الحديث المتواتر، للشيخ محمد بن جعفر الكتاني) و تؤمن برسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم و بالكتاب الذي أنزل عليه و بالكتب التي أنزلت من قبل، و بالرسول دون التفرقة بينهم، و بالغيب و باليوم الآخر. و قد جاء معنى الإيمان متكاملًا مذكورًا في حديث الأربعين حديثًا، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الإيمان هو أن تؤمن بالله و اليوم الآخر، و الملائكة و الكتب و النبيين و البيعت بعد الموت و القدر خيره و شره حلوه و مره من الله تعالى". و من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أن محمدا عبده و رسوله، و أن عيسى عبد الله و رسوله و كلمته ألقاها إلى مريم و روح منه، و الجنة حق و النار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل" (أخرجه مسلم عن عبادة بن الصامت).

فضل الإيمان، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول "من مات يؤمن بالله و اليوم الآخر قيل له ادخل من أي أبواب الجنة الثمانية شئت" (رواه أحمد، قال الحافظ الهيثمي وفي إسناده شهر بن حوشب و قد وثق) وقال صلى الله عليه وسلم "بخ بخ، لخمس من لقي الله مستيقناً بهن دخل الجنة: يؤمن بالله و اليوم الآخر و الجنة و النار و البيعت بعد الموت و الحساب" (أخرجه أحمد و رجاله ثقات) و في حديث آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أن محمدا عبده و رسوله، و أن عيسى عبد الله و رسوله و كلمته ألقاها إلى مريم، و روح منه، و الجنة حق، و النار حق، أدخله الله من أبواب الجنة الثمانية، من أيها شاء على ما كان من العمل".

مقامات الإيمان: الإيمان يزيد و ينقص، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فسلوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم" (مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي) فهو بالفعل يزيد و ينقص و ذلك من خلال مقاماته الثلاث:

أ) مقام الإخلاص يقول تعالى "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" {23} (هود). و قال تعالى "وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ {34} الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ" {35}

(الحج). و قال تعالى "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" {30} مُبَيِّنِينَ إِلَيْهِ وَأَنْفُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" {31} مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ" {32} (الروم). و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "لا خير في قول لا يراد به وجه الله، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله، ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم" (رواه الطبراني في الكبير) و قال صلى الله عليه و سلم "إن الله تعالى قد حرم على النار من قال "لا إله إلا الله" يبتغي بذلك وجه الله" (متفق عليه، البخاري ومسلم عن عتيان بن مالك) و قال صلى الله عليه و سلم "أخلص دينك يكفك القليل من العمل" (أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن معاذ بن جبل)، فالمباح إذا قصد به وجه الله صار طاعة (الحافظ ابن حجر في الفتح و الإمام المناوي في فيض القدير وغيرهم). ومما يروى عن الشافعي أنه قال:

صبراً جميلاً ما أقرب الفرجا
من صدق الله لم ينله أذى
من راقب الله في الأمور نجا
ومن رجاه يكون حيث رجا

(ب) مقام الطمأنينة: وهي ثمرة الإخلاص في القلب، فكل مخلص لله ، ذاكر لله يكون مطمئناً، ألا يذكر الله تطمئن القلوب. و الإطمئنان يشمل الرضا و القناعة و الاستسلام لله.

(ج) مقام الصدق: وهو ثمرة الطمأنينة و الإخلاص و المقصود به الصدق مع الله و مع الضمير. يقول تعالى "إِنَّمَا أُبْهِئُ الَّذِينَ آمَنُوا وَأَغْمُوا اللَّهَ وَكَوْنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ" {119} (التوبة). و يقول سبحانه "لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ" {177} (البقرة). و يقول سبحانه "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ" {15} (الحجرات).

ثمرة مقامات الإيمان: تكمن هذه الثمرة في حقيقة التوحيد، و التوحيد هو الحكم والاعتقاد بأن الله واحد "ليس كمثل شيء و هو السميع البصير". لهذا كان علم التوحيد من أشرف العلوم، و العلم بالله من أفضل الأعمال. و التوحيد قسمان، و وهبي و هو الشعور المغروس بالنفوس بوجود الله، و كسبي و هو العمل بمقتضى الفطرة، و هو إما تقليدي مبني على تربية الأبوين و تأثير البيئة و تواتر الأخبار و هو من شأنه نفي الشرك الأكبر وإما نظري مبني على حجج عقلية، فيتم الاستدلال بالمخلوقات على الخالق و بالفعل على الفاعل و بالمصنوع على الصانع. و يمكن تقسيم التوحيد أيضاً إلى توحيد أهل الحديث و توحيد المتكلمين (الأشعرية) و توحيد الخاصة عن طريق معرفة الله (الصوفية). أما اليقين في التوحيد فدرجات: علم اليقين و هو إدراك الشيء من غير مشاهدة، و عين اليقين و هو العلم به مع المشاهدة، و حَقُّ اليقين و هو المشاهدة مع التجلي. و لكل درجة مراتبها في التأمل و التفكير في الله، فبتأمل الكائنات تستنتج أن كل شيء ما سوى الله باطل. يقول تعالى "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت". و يقول سبحانه "سنريهم آياتنا في الأفاق و أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق".

الحديث عن الديانات الأخرى: يقول تعالى "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" {6} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ" {7} (الفاتحة). و يقول سبحانه "إِنَّ الدِّينَ أَمْنٌ وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" {62} (البقرة). ويقول سبحانه "أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكُتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَسَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ" {85} أُولَئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ" {86} (البقرة). ويقول سبحانه "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ" {121} (البقرة).

فاعلم أيها المؤمن أن الدين عند الله الإسلام (آل عمران) فهو الفطرة التي فطر الناس عليها، لا تعديل لخلق الله، ذلك الدين القيم، وهو الدين الذي ارتضاه الله لعباده " ورضيت لكم الإسلام ديناً" (آل عمران)، دين واحد تعددت أسماؤه حسب العصور، فالمسيحية و اليهودية دخلتها فلسفات و تبدلت. و قد بشر موسى عليه السلام بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم على رؤوس الأشهاد بين بني إسرائيل، ثم ظهر المسيح ابن مريم عبد الله ورسوله وروحه وكلمته التي ألقاها إلى مريم فأذن بنبوته أذناً لم يؤذنه أحد مثله قبله، فقام في بني إسرائيل مقام الصادق الناصح، وكانوا لا يحبون الناصحين فقال "إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين".

قال الإمام ابن القيم تالله لقد أذن المسيح أذناً أسمعها البادي والحاضر، فأجابه المؤمن المصدق وقامت حجة الله على الجاحد الكافر، الله أكبر الله أكبر عما يقول فيه المبطلون ويصفه به الكاذبون، وينسبه إليه المفكرون والجاحدون، ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ند له، ولا كفؤ له، ولا صاحبة له، ولا ولد له، بل هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. ثم رفع صوته بالشهادة لأخيه، وأولى الناس بأنه عبد الله ورسوله، وأنه أركان العالم، وأنه روح الحق لا يتكلم من قبل نفسه، إنما يقول ما يقال له وأنه يخبر الناس بكل ما أعد الله لهم، ويسوسهم بالحق، ويخبرهم بالغيوب، ويجيبهم بالتأويل، ويوبخ العالم على الخطيئة، ويخلصهم من يد الشيطان، وتستمر شريعته وسلطانه إلى آخر الدهر. وصرح في أذانه باسمه ونعته وسيرته حتى كأنهم ينظرون إليه عياناً ثم قال حي على الصلاة خلف إمام المرسلين وسيد ولد آدم أجمعين، حي على الفلاح باتباع من السعادة في اتباعه، والفلاح في الدخول في زمرة أشياعه، فأذن وأقام وتولى وقال "لست أدعكم كالأيتام، وسأعود وأصلي وراء هذا الإمام، هذا عهدي إليكم إن حفظتموه دام لكم الملك إلى آخر الأيام"، فصلى الله عليه من ناصح بشر برسالة أخيه عليهما أفضل الصلاة والسلام. انتهى كلام ابن القيم. (أنظر الملحقات الخاصة بتبيين حال اليهود والنصارى)

حال من لا كتاب له: إنه بين عابد أوثان وعابد نيران وعابد شيطان وصائب حيران يجمعهم الشرك وتكذيب الرسل وتعطيل الشرائع وإنكار المعاد وحشر الأجساد لا يدينون للخالق بدين ولا يعبدونه مع العابدين ولا يوحدونه مع الموحدين. ليس للعالم عندهم رب فعال بالاختيار لما يريد قادر على كل شيء، عالم بكل شيء، أمر، ناه، مرسل الرسل، ومنزل الكتب، ومثيب المحسن، ومعاقب المسيء. قال الإمام ابن القيم أهل الضلال في ضلالهم يتخبطون، وفي سكرتهم يعمهون، وفي جهالتهم يتقلبون وفي ريبهم يترددون، يؤمنون ولكن بالجبت والطاغوت، يؤمنون ويعدلون، ولكن بربهم يعدلون، ويعلمون ولكن ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون، ويسجدون ولكن للصليب والوثن والشمس يسجدون، ويمكرون وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون "بتصرف".

استنتاج: بعد هذا الاستعراض السريع لحال من أشرك و من كفر من المغضوب عليهم و الضالين، يتبين لنا أن اتباع الشريعة السوية الداعية إلى الحكمة والموعظة الحسنة، والمتضمنة للأمر بالعدل والإحسان، والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، أمر ضروري لسعادة الفرد و

المجتمع الذي يحيى فيه الإنسان. قال الدكتور كرزون "الاستجابة لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فيها النجاة والحياة، حياة القلب و نجاته من أسر الشهوات و قيودها، حياة العقل و انطلاقه من أغلال الجهل و الشك، حياة الإنسان و تحرره من ذل العبودية للبشر و تحقيق عزته و سموه و حياة المجتمع بتماسكه و طهارته و قوته ثم الحياة الأبدية السعيدة في الآخرة".

الإيمان بالكتب و القدر خيره و شره: قال صاحب (مفتاح السعادة) "الإيمان بالقرآن هو التصديق بأنه كلام الله سبحانه وتعالى قد أنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام وأنه دال على صفة أزلية له سبحانه وتعالى وأن ما دل هو عليه بطريق القواعد العربية، مما هو مراد الله سبحانه وتعالى حق لا ريب فيه، ثم تلك الدلالة على مراده سبحانه وتعالى بواسطة القوانين الأدبية الموافقة للقواعد الشرعية، والأحاديث النبوية مراد الله سبحانه وتعالى". و عندما نتحدث عن القدر خيره أو شره، فأما الشر فإنما هو بإضافته إلى الناس و المخلوقات، أما بالنسبة لله عز و جل فالقدر كله خير. ومن الوصايا النبوية لتدريب النفس على الرضا بالقضاء و القدر: فالحرص على ما ينفع المرء وطلب العون من الله تعالى وأن يسلم أمره لله فلا يسخط و لا يتشكى من المصائب و لا يدع للشيطان مدخلا بقوله "لو أني فعلت كذا و كذا كان كذا" فإن لو تؤدي إلى الكآبة و المرض و التعرض لغضب الله و العياذ بالله. و الحل أن يقول "قدر الله و ما شاء فعل". هذا و قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخوض في القدر و الجدل في مسأله فقال صلى الله عليه وسلم "إذا ذُكرَ أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذُكرَ القدر فأمسكوا" (الطبراني في الكبير عن ابن مسعود، تصحيح السيوطي حسن) نأمل من الله عزوجل أن يثبت أقدامنا و يرينا الحق حقا و الباطل باطلا.

تأكد المسلم من إيمانه وعلامات المؤمن: إذا كُنْتَ حريصا على ما ينفعك متوكلا على الله عز و جل مستعينا به سبحانه، مسلما أمرك له لا تسخط و لا تشتكى، راضيا بقضائه، صابرا عند الصدمة الأولى، تاركا الكذب في المزاح، تاركا المرء و إن كنت صادقا، يأمنك الناس على دمائهم و أموالهم، تحب المرء لاتحبه إلا الله عز و جل، تبغض في الله، تغضب لله و ترضى لله، لست بالبخیل سيء الأخلاق و لا ممن إذا حدث بحديث كذب و هو يحدث نفسه أنه يكذب، و لا ممن إذا وعد أخلف و هو يحدث نفسه أنه يخلف و لا ممن إذا أوتمن خان و هو يحدث نفسه أنه يخون، فاعلم أن الإيمان قد تمكن من قلبك، فلا تشك في إيمانك إذا سألك أحد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذا سئل أحدكم مؤمن هو، فلا يشك في إيمانه" (أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير و المتقي الهندي في كنز العمال) و اعمل حتى تزيد حبا في الله عز و جل، و أكثر من قول لا إله إلا الله و آمنت بالله و رسوله، فهي تدفع عنك كيد الوسواس لعنه الله، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إن أحدكم يأتيه الشيطان فيقول من خلقك، فيقول الله، فيقول من خلق الله، فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله و رسوله، فإن ذلك يذهب عنه" (رواه أحمد و أبو يعلى و البزار، ورجاله ثقات)

و عن عائشة رضي الله عنها كذلك قالت شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجدون من الوسوسة وقالوا يا رسول الله إنا نجد شيئا لو أن أحدنا خر من السماء كان أحب إليه من أن يتكلم به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم "ذاك محض الإيمان" (رواه أحمد و أبو يعلى، بنحوه إلا أن لفظ أبي يعلى أن رجلا قال لعائشة إن أحدنا يحدث نفسه بشيء لو تكلم به ذهب آخرته و لو ظهر لقتل فكبرت ثلاثا، ثم قالت سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ثلاثا، ثم قال "إنما يختبر بهذا المؤمن") و في "كتاب الشريعة" لابن أبي داود "أن عيسى عليه السلام سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من ابن آدم، قال فإذا برأسه مثل الحية واضع رأسه على حمرة القلب، فإذا ذكر العبد ربه خنس و إذا غفل وسوس" ويقول تعالى مبرزاً صفات المؤمن و المنافق "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ {2} الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ {3} أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ {4} (الأنفال). و قال سبحانه "وإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ {14} اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ {15} أُولَئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ" {16} (البقرة). و يقول سبحانه "وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ" {16} (محمد) (و لمعرفة المزيد من علامات كل من المؤمن و المنافق الرجاء النظر إلى الملحقات)

شُعَبُ الإِيمَانِ: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان" (صحيح البخاري). قال الإمام ابن الأثير في "النهاية في غريب الحديث" جعل الحياء، وهو غريزة، من الإيمان، وهو اكتساب؛ لأن المستحي يقطع بحيائه عن المعاصي، وإن لم تكن له تَقِيَّةٌ، فصار كالإيمان الذي يقطع بينها، أي المعاصي، وبينه. وإنما جعله بعضه، أي بعض الإيمان، لأن الإيمان ينقسم إلى ما أمر الله به، وما نهى الله عنه، فإذا حصل الانتهاء بالحياء كان بعض الإيمان. و قد لخص الحافظ ابن حجر رحمه الله طريقة ابن حبان في عد شعب الإيمان، فوضح أنها تنفرع عن أعمال القلب، وأعمال اللسان، وأعمال البدن.

فَأَعْمَالُ الْقَلْبِ فِيهِ المعتقدات والنيات، وتشتمل على أربع وعشرين خصلة: الإيمان بالله، ويدخل فيه الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده بأنه ليس كمثلته شيء، واعتقاد حدوث ما دونه والإيمان بملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره والإيمان باليوم الآخر، ويدخل فيه المسألة في القبر والبعث والنشور والحساب والميزان والصراف والجنة والنار ومحبة الله والحب فيه والبغض فيه ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم واعتقاد تعظيمه و يدخل فيه الصلاة عليه واتباع سنته والإخلاص ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق والتوبة والخوف والرجاء والشكر والوفاء والصبر والرضا بالقضاء والتوكل والرحمة والتواضع ويدخل فيه توقير الكبير ورحمة الصغير وترك الكبر والعجب وترك الحسد وترك الحقد وترك الغضب.

أَمَّا أَعْمَالُ اللِّسَانِ فتشتمل على سبع خصال و هي التلطف بالتوحيد وتلاوة القرآن وتعلم العلم وتعليمه والدعاء والذكر ويدخل فيه الاستغفار واجتناب اللغو.

وَأَمَّا أَعْمَالُ الْبَدَنِ فتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة، منها ما يختص بالأعيان وهي خمس عشرة خصلة و هي التطهير حسا وحكما، ويدخل فيه اجتناب النجاسات وستر العورة والصلاة فرضا ونفلا والزكاة وفك الرقاب والجود، ويدخل فيه إطعام الطعام وإكرام الضيف والصيام فرضا ونفلا والحج، والعمرة والطواف والاعتكاف والتماس ليلة القدر والفرار بالدين، ويدخل فيه الهجرة من دار الشرك والوفاء بالنذر، والتحري في الإيمان، وأداء الكفارات، ومنها ما يتعلق بالاتباع، وهي ست خصال و هي التعفف بالنكاح، والقيام بحقوق العيال وبر الوالدين، وفيه اجتناب العقوق وتربية الأولاد وصلة الرحم وطاعة السادة و الرفق بالعبيد، ومنها ما يتعلق بالعامّة، وهي سبع عشرة خصلة و هي القيام بالإمارة مع العدل ومتابعة الجماعة وطاعة أولي الأمر والإصلاح بين الناس، ويدخل فيه قتال الخوارج والبغاة والمعاونة على البر، ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود والجهاد، ومنه المرابطة وأداء الأمانة، ومنه أداء الخمس والقرض مع وفائه وإكرام الجار وحسن المعاملة، وفيه جمع المال من حله وإنفاق المال في حقه، ومنه ترك التبذير والإسراف ورد السلام وتشميت العاطس وكف الأذى عن الناس واجتناب اللغو وإماطة الأذى عن الطريق. فهذه تسع وستون خصلة، ويمكن عدّها تسعا وسبعين خصلة باعتبار أفراد ما ضم بعضه إلى بعض مما ذكر والله أعلم.

و جاء عن رسول الله صلى الله عليه و سلم متحدثاً عن شعب الإيمان " أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق " (من رواية مسلم) وفي هذا إشارة إلى أن مراتبها متفاوتة. وهكذا نكون قد أحطنا بجوانب الإيمان و تأكدنا أن الدين الذي أتانا به رسول الله صلى الله عليه و سلم ليس بالهزل، بل هو دين الحق، دين سليم من الشوائب، دين من يستجيب له يتمكن من أسباب النجاة و حياة القلب و العقل للفرد و المجتمع.

الإسلام: يقول تعالى " إن الدين عند الله الإسلام " و الإسلام هو أن تشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله صلى الله عليه و سلم و تقيم الصلاة و تؤتي الزكاة و تصوم رمضان و تحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال صلى الله عليه و سلم "بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله، و أن محمداً رسول الله، و إقام الصلاة، و إيتاء الزكاة، و حج البيت، و صوم رمضان " (متفق عليه، البخاري و مسلم). و جاء من لفظ "الذين" من القرآن الكريم قوله تعالى "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" {277} (البقرة). و يقول سبحانه "الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ" {41} (الحج). و يقول سبحانه "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" {77} {س} (الحج). و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "من لقي الله عز و جل لا يشرك به شيئاً و أدى زكاة ماله طيباً بها نفسه محتسباً و سمع و أطاع فله الجنة (أو أدخل الجنة)، و خمس ليس لهن كفارة الشرك بالله، و قتل النفس بغير حق، و بهت المؤمن، و الفرار من الزحف، و يمين فاجرة يفتتح بها مالاً بغير حق " (رواه أحمد و فيه بقية و هو مدلس و قد عنعنه).

و عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "الإسلام عشرة أسهم و قد خاب من لا سهم له، شهادة أن لا إله إلا الله و هي الملة، و الثانية الصلاة، و هي الفطرة و الثالثة الزكاة، و هي الطهارة، و الرابعة الصوم، و هي الجئة، و الخامسة الحج، و هي الشريعة، و السادسة الجهاد، و هي العُرْدَة، و السابعة الأمر بالمعروف و هو الوفاء، و الثامنة النهي عن المنكر، و هي الحُجَّة، و التاسعة الجماعة، و هي الألفة و العائشة الطاعة، و هي العصمة" (الطبراني في الكبير، لكن فيه حامد بن آدم المروزي يضع الحديث) و عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "ثلاث لو حلفت عليهن لبررت، و الرابعة لو حلفت عليها رجوت أن لا أتم لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له، و لا يتولى الله عبداً في الدنيا فيؤليه غيره في الآخرة، و لا يحب عبد قوماً إلا بعثه الله معهم يوم القيامة، و الرابعة لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره الله يوم المعاد" (رواه الطبراني في الكبير، و فيه فضال بن جبير و هو ضعيف). و مع ضعف الحديث، فأسهم الإسلام العشرة مهمة جدا و لا بد من التحدث عليها و على ما تستلزمه من سبل النجاة، و من الله التوفيق.

شهادة ألا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله : هي أعلى سبل النجاة، و هي المفتاح الذي لا بد منه لفتح أبواب الجنة. فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة" قيل وما إخلاصها، قال "أن تحجزه عن محارم الله" (أخرجه الطبراني من حديث زيد بن أرقم في معجمه الكبير و الأوسط بإسناد حسن) و عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "الأعمال ستة و الناس أربعة فموجبتان و مثل يمثل و حسنة بعشر أمثالها و حسنة بسبع مائة ضعف، فأما الموجبتان فمن مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة و من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار. و أما مثل يمثل فمن هم بحسنة حتى يشعرها قلبه و يعلمها الله منه كتبت له حسنة، و من عمل سيئة كتبت عليه سيئة، و من عمل حسنة فبعشر أمثالها، و من أنفق نفقة في سبيل الله فحسنة بسبع مائة. و أما الناس فموسع عليه في الدنيا مقتور عليه في الآخرة، و مقتور عليه في الدنيا و موسع عليه في الآخرة" (رواه أحمد و رجال أحمد رجال

(الصحيح) وفي الهنديّة زيادة "ومقتور عليه في الدنيا والآخرة وموسع عليه في الدنيا والآخرة" (قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد روى الترمذي والنسائي منه ذكر النفقة في سبيل الله) وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن المسلم في ذمة الله منذ ولدته أمه إلى أن يقوم بين يدي ربه تبارك وتعالى فإن وافى الله بشهادة أن لا إله إلا الله صادقاً أو باستغفار كتب له براءة من النار" (رواه البزار عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه ولم يسمع منه) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال جئت و رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في أناس من أصحابه فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأدركت آخر الحديث ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "من صلى أربع ركعات قبل العصر لم تمسه النار" فقلت بيدي هكذا يحرك بيده أن هذا حديث جيد فقال عمر بن الخطاب لما فاتك من صدر الحديث أجود وأجود. قلت يا ابن الخطاب فهات فقال عمر بن الخطاب حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنه من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة" (رواه الطبراني في الأوسط، وفيه حجاج بن نصر).

وعن جندب بن سفيان قال إني لعند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه بشير من سرية فأخبره بالنصر الذي نصر الله سرية، وبالفتح الذي فتح الله لهم، وقال يا رسول الله، بينا نحن نطلب القوم وقد هزمهم الله تعالى إذ لحقت رجلاً بالسيف فواقته وهو يسعى وهو يقول إني مسلم إني مسلم، قال "فقتلته" فقال يا رسول الله إنما تعوذ قال "فهل شققت عن قلبه فنظرت أصادق هو أم كاذب" قال لو شققت عن قلبه ما كان علمي هل قلبه إلا بضعة من لحم قال "لا ما في قلبه تعلم، ولا لسانه صدقت" قال يا رسول الله استغفر لي، قال "لا أستغفر لك"، فمات ذلك الرجل فدفنوه فأصبح على وجه الأرض، ثم دفنوه فأصبح على وجه الأرض ثلاث مرات، فلما رأوا ذلك استحبوا وخزوا مما لقي فاحتملوه فألقوه في شعب من تلك الشعاب. (مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي) هذا الرجل لم يعر لإسلام الآخر أيّة قيمة، فلم يهتم بالتالي لكلمة لا إله إلا الله فكيف له بعظمتها غدا.

الصلاة: جاء في حديث الأربعين حديثاً "و تقيم الصلاة بإسباغ الوضوء لوقتها بتمام ركوعها و سجودها". يهتم هذا الحديث بنقطين أساسيتين أولاً إسباغ الوضوء و هو تطهير الأطراف و الاستعداد لمناجاة الله عز وجل، ثانياً إقام الصلاة لوقتها مبرزاً صفتها و آدابياتها من تمام الركوع و السجود.

إسباغ الوضوء: من أهم نقط التفاوت بين صلاة النصارى وصلاة المسلمين الوضوء و الطهارة، إذ لا مجال للمقارنة بين صلاة من إذا قام إلى صلاته طهر أطرافه وثيابه وبدنه من النجاسة، و من إن أمكنه أحدث في صلاته. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء، فمن استطاع منكم فليطيل غرته وتحجيلة" (صحيح مسلم عن أبي هريرة) و يقول صلى الله عليه وسلم "ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات، إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط" (صحيح مسلم).

صلاة الفرض: يقول تعالى "قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ" {31} (إبراهيم). و يقول تعالى "قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ {1} الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ" {2} (المؤمنون). و يقول تعالى "وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ" {9} أولئك هُم الوارثون {10} الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" {11} (المؤمنون). و يقول تعالى "طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ {1} هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ" {2} الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ" {3} (النمل). و يقول تعالى "مُحَمَّدٌ

رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا" {29} (الفتح). ويقول تعالى "قَوْلًا لِلْمُصَلِّينَ {4} الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ {5} الَّذِينَ هُمْ يُرَأَوْنَ {6} وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ" {7} (الماعون). ويقول تعالى "إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا {19} إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا {20} وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا {21} إِنَّا الْمُصَلِّينَ {22} الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ" {23} (المعارج). وعن أنس بن حكيم الضبي أنه أتى المدينة فلقى أبا هريرة فقال له يا فتى ألا أحدثك حديثاً لعل الله تعالى أن ينفعك به؛ قلت بلى قال "إن أول ما يحاسب به الناس يوم القيامة من أعمالهم الصلاة فيقول الله تبارك وتعالى لملائكته وهو أعلم انظروا في صلاة عبدي أتمها أو نقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة وإن كان انتقص منها شيئاً قال انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال أكملا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذاك" (رواه الترمذي و أبو داود).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح له سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله" (الطبراني في الأوسط عن أنس، تصحيح السيوطي حسن)، إنها إذا كانت فاسدة فسد سائر عمل الإنسان، و يبقى بالتالي في المشيئة، إن شاء تعالى غفر له و إن شاء عذبه، يقول تعالى داعياً إلى الاهتمام بشأنها {فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب} أي إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها، وقطعت علاقتها فانصب إلى العبادة، وقم إليها نشيطاً فارغ البال، واخلص لربك النية والرغبة.

هذا و اعلم أن من أعز وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا أنه قال " الصلاة وما ملكت أيمانكم، الصلاة وما ملكت أيمانكم" (أحمد في مسنده والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن أنس) فيجب ألا نغفل عليها و أن نؤديها بحقها، و كيف لا و هي عماد الدين الذي يربطك بخالقك في اليوم خمس مرات على الأقل. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم متحدثاً عن أهل الله " إن عمار بيوت الله هم أهل الله" (الطبراني في الأوسط والبيهقي في السنن عن أنس) و بيوت الله هي المساجد، فكان إذن المداوم على الصلاة في المساجد من أهل الله و من أحبائه، فربطت الصلاة بذلك بينه و بين الانتماء إلى حزبه سبحانه و تعالى، و هذا هو الفوز العظيم. و قد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة المذكورة لنا بالصلاة و بالأجر العميم الذي يتمتع به صاحبها غزيرة ومفيدة. و لحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على جلب الخير لأُمَّته، أوضح لنا أعمالاً خفيفة على الجوارح ثقيلة في الميزان، أمرنا بكثرة السجود لله الواحد القهار، أمرنا بإتيان النوافل كما أمرنا بصلاة الوتر. و قد وضح لنا حديث الأربعين حديثاً سنة نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم في الصلاة " و تصلي اثنتي عشرة ركعة كل يوم و ليلة، و هي سنتي و ثلاث ركعات وترا". و في ملحق الصلاة نص لبعض الأحاديث النبوية المبرزة لجوانب من هذه السنة، و تبيان أن 12 ركعة إنما هي حد أدنى لسنته صلى الله عليه وسلم في الصلاة، و صدق الإمام البوصري رحمه الله في برده:

"ظلمت سنة من أحياى الظلام إلى أن اشتكت قدماه الضر من ورم"

الزكاة: يقول تعالى {وسيجنبها الأتقى} أي وسيزحزح عن النار التقي النقي الأتقى {الذي يؤتي ماله يتزكى} أي يصرف ماله في طاعة ربه ليزكي نفسه {وما لأحد عنده من نعمة تجزى} أي ليس بذله في مكافأة من أسدى إليه معروفاً، وإنما دفعه ذلك {ابتغاء وجه ربه الأعلى} أي طمعاً في أن يحصل له رؤية ربه في الدار الآخرة في روضات الجنات، قال الله تعالى {ولسوف يرضى} أي ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات. و جاء في القرآن كذلك من لفظ "الذين"

قوله تعالى "وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ {34} (التوبة). و يقول تعالى "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ" {55} (المائدة). و يقول تعالى "وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ" {4} (المؤمنون). و يقول تعالى "إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ" {29} لِيُوقِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ" {30} {فاطر}. و يقول رسول الله عليه السلام "برئى من الشح من أدى الزكاة، وقرى الضيف، وأعطى في النائبة" (الطبراني في الكبير، تصحيح السيوطي حسن) و يقول صلى الله عليه وسلم "حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، واستعينوا على حمل البلاء بالدعاء والتضرع" (أبو داود في مراسيله عن الحسن). و في الملحق الخاص بالزكاة توضيح لبعض سننه صلى الله عليه وسلم في هذا الركن العظيم للإسلام و في بعض الأمور المرتبطة به، و الله الموفق للصواب.

الصوم: الصوم شرعاً هو الامتناع عن الأكل والجماع من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، و هو ربع الإيمان لحديث النبي صلى الله عليه وسلم "الصوم نصف الصبر"، و حديثه "الصبر نصف الإيمان" (الموطأ). و فضل الصوم عظيم، خصه الله بالإضافة إليه، فعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مخبراً عن ربه قال الله تعالى "كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به" (متفق عليه، البخاري ومسلم)، و قد حاول العلماء تفسير هذه الخصوصية وإن كانت العبادات كلها لله سبحانه وتعالى، فقليل إن الصوم يمنع من ملاذ النفس وشهواتها ما لا يمنع منه سائر العبادات، و قيل إن الصوم سر بين العبد وبين ربه لا يظهر إلا له، فذلك صار مختصاً به. وما سواه من العبادات ظاهر، ربما فعله تصنعاً ورياء، فلهذا صار أخص بالصوم من غيره.

و الأحاديث المهمة بأجر الصائم عديدة متنوعة، نذكر منها حديث "لكل صائم دعوة مستجابة عند إفطاره أعطيها في الدنيا أو ادخرت له في الآخرة" (الحكيم عن ابن عمر، تصحيح السيوطي حسن) و حديث "رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبير فلم يدخلاه الجنة" (الترمذي والحاكم في المستدرک عن أبي هريرة، قال الترمذي حسن غريب من هذا الوجه وقال الحاكم صحيح وقال ابن حجر وله شواهد). "رغم"، أي لصق أنفه بالتراب، وهو كناية عن حصول غاية الذل والهوان. "فلم يدخلاه الجنة" لعقوبه لهما وتقصيره في حقهما يعني ذل وخسر من أدرك أبويه أو أحدهما في كبر السن، ولم يسع في تحصيل مآربه والقيام بخدمته.

و عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "من صام رمضان وصلى الصلوات الخمس وحج البيت - لا أدري ذكر الزكاة أم لا - كان حقاً على الله أن يغفر له"، قلت أخبر به الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ذر الناس يعملون، فإن الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة وأوسطها وفوقها عرش الرحمن وفيها تفجر أنهار الجنة، فإذا سألتهم الله فسألوه الفردوس" (رواه البزار وهو من رواية عطاء بن يسار عن معاذ، قال الحافظ الهيثمي ولم يسمع منه). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "اتقوا الله، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، طيبة بها أنفسكم، وأطيعوا إذا أمركم؛ تدخلوا جنة ربكم" (الترمذي وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرک عن أبي أمامة، تصحيح السيوطي صحيح). و في الملحق الخاص بالصوم توضيح لبعض سننه صلى الله عليه وسلم في هذا الركن العظيم للإسلام و في بعض الأمور المرتبطة به، و الله الموفق للصواب.

الحج: الحج شرعا قصد مكة المشرفة للنسك (الموطأ)، و هو فرض على الفور مرة واحدة في العمر، فإن أخره المكلف عن أول عام استطاع فيه يكون آثماً بالتأخير. و الحج ركن من أركان الإسلام، و له فوائد عدة يقول صلى الله عليه و سلم "أدبوا الحج والعمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد" (الدارقطني في الأفراد الطبراني في الأوسط عن جابر) و يقول صلى الله عليه و سلم "تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة؛ وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة" (أخرجه الترمذي و صححه) و يقول صلى الله عليه و سلم " إذا حج الرجل عن والديه تقبل منه ومنهما، واستبشر به أرواحهما في السماء" (الدارقطني في السنن عن زيد بن أرقم).

و في موسم الحج نجد أعظم أيام الله. يقول صلى الله عليه و سلم "أعظم الأيام عند الله يوم النحر، ثم يوم القر" (أحمد في مسنده وأبو داود والحاكم في المستدرک عن عبد الله بن قرط، تصحيح السيوطي صحيح) و هي من شعائر الله. "يوم القر" هو ثاني يوم النحر، لأنهم يقرون فيه (أي يقيمون). و فيه تزور و ترى الأحبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أحد جبل يحبنا ونحبه، فإذا جنتموه فكلوا من شجره، ولو من عذاه" (الطبراني في الأوسط عن أنس). اللهم لا تحرمننا من زيارته صلى الله عليه وسلم و من حجة مقبولة تفك بها رقابنا من النار. هذا و قد حج رسول الله صلى الله عليه و سلم حجة الوداع للسنة العاشرة للهجرة قبل وفاته بأكثر من ثمانين يوما، و في الملحق الخاص توضيح لبعض سننه صلى الله عليه و سلم في الحج و بعض الأمور المرتبطة به، و الله الموفق للصواب.

الجهاد: يقول تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ" {208} (البقرة). و يقول تعالى "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ" {169} فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" {170} يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ" {171} الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ" {172} الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" {173} (آل عمران). و يقول تعالى "أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ" {142} (آل عمران).

و يقول تعالى "فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا" {74} (النساء). و يقول تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" {200} (آل عمران). و يقول تعالى "الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ" {20} (التوبة). و يقول تعالى "وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ" {39} (الشورى). و يقول تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ" {10} تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ" {11} يَعْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" {12} (الصف).

جهاد النفس و اللسان: قال ابن رشد في المقدمات "الجهاد مأخوذ من الجهد وهو التعب" فمعنى الجهاد المبالغة في إتعب النفس في ذات الله تعالى وهو ينقسم إلى أربعة أقسام: جهاد بالقلب وهو جهاد الشيطان ومجاهدة النفس عن الشهوات و جهاد اللسان وهو بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و جهاد باليد وهو تغيير المنكرات وتعزيز أهلها بما يقتضيه و جهاد الاجتهاد بالسيف وهو قتال المشركين . و قد بين الإمام ابن القيم أن **جهاد النفس** (المنضوي تحت لواء

القسم الأول) أربع مراتب: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق ثم أن يجاهدها على العمل به بعد علمه ثم أن يجاهدها على الدعوة إليه و تعليمه من لا يعلمه، و إلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله و لا ينفعه علمه ثم أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله و أذى الخلق، و يتحمل ذلك كله لله، فإذا استكمل هذه المراتب الأربعة صار من الربانيين، فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانيا حتى يعرف الحق و يعمل به و يعلمه فمن علم و عمل و علم ذلك يُدعى عظيما في ملكوت السموات، انتهى كلام ابن القيم.

و أما عن **جهاد اللسان** فنذكر ما قاله صلى الله عليه و سلم "أحب الجهاد إلى الله كلمة حق يقال لإمام جائر" (أحمد في مسنده والطبراني في الكبير عن أبي أمامة، تصحيح السيوطي حسن) كما قال عليه السلام "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر" (أحمد في مسنده وابن ماجه والطبراني في الكبير، تصحيح السيوطي صحيح). وأما جهاد المشركين والكفار فضله عظيم وقدره جسيم نوه الله تعالى به في غير آية من كتابه الكريم. وفي الموطأ عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله" (متفق عليه) و قال صلى الله عليه و سلم "ليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين وأثرين: قطرة دموع من خشية الله تعالى، وقطرة دم تهارق في سبيل الله تعالى. وأما الأثران فأثر في سبيل الله تعالى، وأثر في فريضة من فرائض الله تعالى" (الترمذي والضياء عن أبي أمامة، تصحيح السيوطي صحيح).

و في حديث آخر "إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان" (الطبراني في الكبير عن كعب بن عجرة، تصحيح السيوطي صحيح) و قال "ارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا. كل شيء يلهو به الرجل باطل، إلا رمي الرجل بقوسه، أو تأديبه فرسه، أو ملاعبته امرأته، فإنهن من الحق، ومن ترك الرمي بعد ما علمه فقد كفر الذي علمه" (أحمد في مسنده والترمذي والبيهقي في شعب الإيمان عن عقبة بن عامر، تصحيح السيوطي حسن). و الجهاد واجب مع كل أمير، برا كان أو فاجرا، وإن هو عمل الكبائر قال صلى الله عليه و سلم "الجهاد واجب عليكم مع كل أمير، برا كان أو فاجرا، وإن هو عمل الكبائر. والصلاة واجبة واجبة عليكم خلف كل مسلم، برا كان أو فاجرا، وإن هو عمل الكبائر. والصلاة واجبة عليكم على كل مسلم يموت، برا كان أو فاجرا، وإن هو عمل الكبائر" (أبو داود، تصحيح السيوطي حسن) و للتعرف على سنته صلى الله عليه و سلم في الجهاد أنظر إلى الملحق الخاص به.

اجتناب اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين: يقول تعالى "بَشِّرِ الْمُتَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا {138} الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِيتُّعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا" (النساء). و يقول تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِيتُّعُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا {144} إِنَّ الْمُتَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا" {145} (النساء). و يقول تعالى "وَمَنْ يَتَّخِذِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْعَالِيُونَ {56} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (المائدة). و يقول تعالى "وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَنَمَسَتْكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ" (هود). و يقول تعالى "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ {14} أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" {15} (المجادلة). و يقول تعالى "قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا

حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ" {4} (المتحنة).

و يقول تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ" {13} (المتحنة). و قد أوصى النبي صلى الله عليه و سلم على البر و الصلة و الإحسان للأهل و لو للمشركين منهم دون التودد المنهى عنه في القرآن " لا تجد قوما يؤمنون بالله و اليوم الآخر يوادون من حاد الله و رسوله"، فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت " قدمت عليّ أمي و هي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم، فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه و سلم قلت إن أمي قدمت و هي راغبة فأفصل أمي. قال نعم، صلي أمك " (صحيح البخاري). وقال الخطابي "الرحم الكافرة توصل من المال و نحوه كما توصل المسلمة، و يستنبط منه وجوب نفقة الأب الكافر و الأم الكافرة و إن كان الولد مسلماً"، قال ابن حجر "و فيه موادة أهل الحرب و معاملتهم في زمن الهدنة".

الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر: يقول تعالى "وَلَتَكُنَّ مَنَّكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (آل عمران، 104). و يقول تعالى "{164} فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِقَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ" (الأعراف). يُعَدُّ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر من أسهم الإسلام و من أنواع الجهاد، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك، و هو مطلوب لعموم فضله و لكونه من المنجيات. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "والذي نفس محمد بيده إن المعروف والمنكر لخليقتان ينصبان للناس يوم القيامة. فأما المعروف فيبشر أصحابه ويوعدهم الخير. وأما المنكر فيقول إليكم إليكم وما يستطيعون له إلا لزوماً." (رواه أحمد و البزار و رجالهما رجال الصحيح، ورواه الطبراني في الأوسط). وأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا أهل المنكر في الآخرة، إن الله ليبعث المعروف يوم القيامة في صورة الرجل المسافر، فيأتي صاحبه إذا انشق قبره فيمسح عن وجهه التراب ويقول أبشر يا ولي الله بأمان الله وكرامته، لا يهولنك ما ترى من أهوال يوم القيامة. فلا يزال يقول له احذر هذا واتق هذا يسكن بذلك روعه حتى يجاوز به الصراط، فإذا جاوز به الصراط عدل ولي الله إلى منزله في الجنة، ثم يثني عنه المعروف فيتعلق به فيقول يا عبد الله من أنت خذلني الخلائق في أهوال القيامة غيرك فمن أنت، فيقول له أما تعرفني، فيقول لا. فيقول أنا المعروف الذي عملته في الدنيا، بعثني الله خلقاً لأجازيك به يوم القيامة".

وعن ابن عباس قال " أمر الله المؤمنين أن لا يقرؤا المنكر بين أظهرهم فيعصمهم العذاب " (الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس) ولهذا الأثر شاهد من حديث عدي بن عميرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرين على أن ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة " (أخرجه أحمد بسند حسن وهو عند أبي داود من حديث العرس بن عميرة وهو أخو عدي). وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويمسي ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منا" (رواه الطبراني في الأوسط والصغير). و يقول صلى الله عليه وسلم "التأمر بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم" (الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي حسن). "خير الناس أقرؤهم وأفقههم في دين الله وأتقاهم لله وأمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم" (أحمد في مسنده والطبراني في الكبير عن درة بنت أبي لهب، تصحيح السيوطي صحيح).

التزام الجماعة: يقول تعالى "وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقَرَّبُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ النَّبِيَّاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ" {105} (آل عمران). ويقول تعالى "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِيَعُضَ شَأْنَهُمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" {62} (النور). ويقول تعالى "وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ" {38} (الشورى). ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية والناحية، فيأكلكم والشعاب، وعليكم بالجماعة والعامّة والمسجد" (أحمد في مسنده عن معاذ، تصحيح السيوطي حسن). ويقول صلى الله عليه وسلم "اثنان خير من واحد، وثلاثة خير من اثنين، وأربعة خير من ثلاثة، فعليكم بالجماعة فإن الله لن يجمع أمّتي إلا على هدى" (أحمد في مسنده عن أبي ذر، تصحيح السيوطي صحيح). إن خطر الشيطان كائن، وهو يجري من المرء مجرى الدم، ومحاربتة واجبة، فلزام علينا التزام الجماعة والصحة الصالحة المُذَكَّرَة لنا بالله عز وجل، والمرشدة لطريق الهدى والنجاة. والتزام الجماعة يجب أن يكون في الأمور كلها:

ف عند سفرك: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "الراكب شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب" (أحمد في مسنده وأبو داود والترمذي والحاكم في المستدرک عن ابن عمرو، قال الحاكم صحيح وأقره الذهبي وقال ابن حجر حديث حسن الإسناد وصححه ابن خزيمة)، يعني أن الشيطان يطمع في الواحد كما يطمع فيه اللص والسبع، فإذا خرج وحده فقد تعرض للشيطان والسبع واللص. والراكبان شيطانان لأن كل منهما متعرض لذلك. وقال المنذري قوله "شيطان" أي عاص، كقوله (تعالى) "شياطين الإنس والجن"، فإن معناه "عصاتهم". وقال القاضي سمي الواحد والإثنين شيطاناً لمخالفة النهي عن التوحد في السفر والتعرض للآفات التي لا تندفع إلا بالكثرة، ولأن المتوحد في السفر تقوت عنه الجماعة، ويعسر عليه التعيش، ولعل الموت يدركه فلا يجد من يوصي إليه بإيفاء ديون الناس وأماناتهم وسائر ما يجب.

و عند مأكلك: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي" (أبو يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه والبيهقي في شعب الإيمان والضياء عن جابر، تصحيح السيوطي صحيح). "البركة في ثلاثة في الجماعة، والثريد، والسحور" (الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان عن سلمان، تصحيح السيوطي حسن). تَرَدَّتْ الخبز تَرْدًا كسرتة، فهو ثريد.

و في جميع أحوالك: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم يفسو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد. ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان. عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد. من أراد بحبوبة الجنة فليزِم الجماعة. من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن" (أحمد في مسنده والترمذي والحاكم في المستدرک عن عمر، تصحيح السيوطي صحيح) "ويشهد الشاهد ولا يستشهد" أي لشيء يتوقعه من حطام الدنيا، يبيدها من قبل نفسه زورا وهذا خلاف من يأتي بالشهادة الصادقة.

الطاعة لله و الرسول و أولي الأمر من المسلمين: يقول تعالى "وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا" {69} ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا" {70} (النساء). ويقول تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُهُ نُحْسِرُونَ" {24} (الأنفال). ويقول تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا

تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ" {33} (محمد). و يقول تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ" {2} إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَعْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ" {3} (الحجرات). و عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية (متفق عليه). والمقصود بموت أهل الجاهلية الموت على الضلال و بدون إمام مطاع، لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك، وليس المراد أنه يموت كافراً بل يموت عاصياً.

وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء، وحجتهم هذا الخبر وغيره مما يساعده، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته في ذلك بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها كما في الحديث: عن جنادة بن أبي أمية قال دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض قلنا أصلحك الله حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم قال دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحا عندكم من الله فيه برهان" (صحيح البخاري). (وأثرة علينا) بفتح الهمزة والمثلثة، والمراد أن طواعيتهم لمن يتولى عليهم لا تتوقف على إيصالهم حقوقهم بل عليهم الطاعة ولو منعهم حقهم، و عن جنادة "وإن أكلوا مالك وضربوا ظهرك" (ابن حبان وأحمد) وأخرج مسلم من حديث أم سلمة مرفوعاً "سيكون أمراء فيعرفون وينكرون، فمن كره برئ ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع. قالوا أفلا نقاتلهم، قال لا، ما صلوا".

و قال عليه السلام "وإذا رأيتم من ولايتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة". و الأحاديث الأثرة بالطاعة للأمير كثيرة، نذكر منها حديث "أطع كل أمير، وصل خلف كل إمام، ولا تسين أحداً من أصحابي" (الطبراني في الكبير من حديث مكحول عن معاذ بن جبل، قال الهيثمي ومكحول لم يسمع من معاذ فهو منقطع). و منها حديث "السلطان ظل الله في الأرض، فمن أكرمه أكرمه الله، ومن أهانه أهانه الله" (الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي بكر، تصحيح السيوطي صحيح). وتجدر الإشارة إلى أن هذه الطاعة يجب ألا تكون عمياء، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، يقول صلى الله عليه وسلم "إنما الطاعة في المعروف" (متفق عليه).

مقامات الإسلام: مقامات الإسلام ثلاثة و هي التوبة و الاستقامة و التقوى.

التوبة: يقول تعالى " {152} وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ" (الأعراف) و يقول تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" {8} (التحریم). و يقول تعالى "وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَقَارُورٍ مُكَرَّمٍ لَنَا نُورٌ وَأَغْفِرُ لَنَا إِنَّكَ عَلِيمٌ" {18} (النساء). و يقول تعالى "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" {161} خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُحَقِّقُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ" (البقرة). و يقول تعالى "إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا" {146} مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا" (النساء). فالتوبة هي الإقلاع عن المعصية و النية على عدم الإقدام عليها و الندم

على ما فات. و هي لا تصح إلا بالإخلاص (الذي هو بدوره من مقامات الإيمان)، فمن ترك الذنب لغير الله لا يكون تائباً اتقافاً. قال الله عز وجل "وأخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم" [التوبة 102] و"عسى" من الله واجبة. يقول صلى الله عليه وسلم "الله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم إذا سقط عليه بعيره قد أضله بأرض فلاة" (متفق عليه، البخاري ومسلم). و قال عليه السلام "لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتنم لتاب الله عليكم" (ابن ماجة عن أبي هريرة، صحيح السيوطي حسن). و قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر الله في اليوم أكثر من مائة مرة. و قال القرطبي في المفهم (عن التوبة) و الباعث على هذا تنبيه إلهي لمن أراد سعادته لقبح الذنب و ضرره، لأنه سم مهلك يفوت على الإنسان سعادة الدنيا و الآخرة، و يحجبه عن معرفة الله تعالى في الدنيا و عن تقريبه في الآخرة. قال و من تفقد نفسه وجدها مشحونة بهذا السم، فإذا وفق انبعث منه خوف هجوم الهلاك عليه فيبادر بطلب ما يدفع به عن نفسه ضرر ذلك، فحينئذ ينبعث منه الندم على ما سبق و العزم على ترك العود عليه، قال ثم اعلم أن التوبة إما من الكفر أو من الذنب، فتوبة الكافر مقبولة قطعاً، و توبة العاصي مقبولة بالوعد الصادق، و معنى القبول الخلاص من ضرر الذنوب حتى يرجع كمن لم يذنب. ثم توبة العاصي إما من حق غيره، فحق الله تعالى يكفي في التوبة منه الترك على ما تقدم، غير أن منه ما لم يكتف الشرع فيه بالترك فقط بل أضاف إليه القضاء أو الكفارة، و حق غير الله يحتاج إلى إيصالها لمستحقيها و إلا لم يحصل الخلاص من ضرر ذلك الذنب، لكن من لم يقدر على الإيصال بعد بذله الوسع في ذلك فعفو الله مأمول، فإنه يضمن التبعات و يبذل السيئات حسنات، و الله أعلم.

الاستقامة: يقول تعالى "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ" {30} (فصلت). و يقول تعالى "فاستقم كما أمرت" سورة هود (الآية 112). و عن أبي علي السري قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله روي عنك أنك قلت شيبتني هود قال نعم فقلت ما الذي شببك منها قصص الأنبياء و هلاك الأمم قال لا ولكن قوله فاستقم كما أمرت (أخرج البيهقي في الشعب).

التقوى: يقول تعالى "أَفَلْ أُؤْتَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ" {15} (آل عمران). و يقول سبحانه "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" (آل عمران، آية 102). و يقول سبحانه "لكن الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ" (آل عمران، آية 198). و يقول سبحانه "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ" (الأنفال، آية 29). و التقوى هي ثمرة التوبة و الاستقامة، و هي باب لكل خير و ضامن لسعادة المرء، و هي على ثلاثة مراتب، المرتبة الأولى: التقوى عن العذاب المخد بالتبرء من الشرك، كقوله تعالى "وألزمهم كلمة التقوى"، و الثانية: التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم، و هو المتعارف بالتقوى في الشرع و المعنى بقوله تعالى "ولو أن أهل القرى آمنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و الأرض" (الأعراف 96) و الثالثة: أن يتنزّه عما يشغل سره عن الحق و يُقْبَل بكليته إلى الله سبحانه و تعالى و هي التقوى الحقيقية المطلوبة بقوله تعالى "اتقوا الله حق تقاته".

ثمرة مقامات الإسلام: ثمرة مقامات الإسلام الثلاث هي العقيدة. و العقيدة هي الركن الأول من أركان الإسلام. و هي تستلزم لمن تمكن من جوهرها العمل و العبادة، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "الإسلام علانية، و الإيمان في القلب" (ابن أبي شيبة عن أنس، صحيح السيوطي حسن) و قد كان صلى الله عليه وسلم أكثر الناس عبادة و لطالما تغنى بذلك الإمام البوصيري.

يقول صلى الله عليه و سلم "إن الله تعالى يقول "يا ابن آدم، تفرغ لعبادتي أولاً صدرك غنى، وأسد فقرك؛ وإلا تفعل ملأت يديك شغلا، ولم أسد فقرك" (أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجه والحاكم في المستدرک عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي حسن). إن التفرغ للعمل و العبادة و الابتعاد عن الملاهي و الشهوات لهو الراقي بالأمر، المقوي لأفرادها، و يتأتى ذلك بمقامات الإسلام فالإنسان التائب إلى الله، المستقيم لا يمكن إلا أن يخلص في عمله، و ينصح من يحيط به، فالدين النصيحة و المسلم فعال في المجتمع. يقول تعالى "ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ {17} أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَةِ" {18} (البلد).

و يقول تعالى "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْعَصْرِ {1} إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ {2} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" {3} (العصر). و يقول تعالى "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِاللَّيْلِ وَالنَّجْوَى وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُنَا جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَنُفِسَ الْمَصِيرُ {8} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِاللَّيْلِ وَالنَّجْوَى وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبُرِّ وَالنَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ" {9} (المجادلة). و في ملحقات النصائح المحمدية عدد هام من نصائح رسول الله صلى الله عليه و سلم و من وصاياه الجامعة، كما جاءت بذلك الأحاديث، فلنقتبس من نصائحه صلى الله عليه و سلم، ولنكن فعالين في مجتمعنا. يقول تعالى "الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُمْ" {29} (الرعد). و يقول تعالى " {22} وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ" {23} (إبراهيم). و يقول تعالى "إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مَنَا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ" {101} (الأنبياء). و عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يقبل إيمان بلا عمل ولا عمل بلا إيمان" (مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي). و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم داعيا إلى العمل و محببا فيه "إن قامت الساعة و في يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها" (أحمد في مسنده والبخاري في الأدب عن أنس). "فسيلة" أي نخلة صغيرة. و يقول عليه السلام "الصبحة" الصبحة تمنع الرزق" (ابن الإمام أحمد في زوائده وابن عدي في الكامل والبيهقي في شعب الإيمان عن عثمان البيهقي في شعب الإيمان عن أنس، تصحيح السيوطي صحيح). "الصبحة" أي نوم أول النهار. "تمنع الرزق" أي بعضه كما جاء مصرحا به في رواية. وذلك لأنه وقت الذكر (بعد صلاة الفجر وحتى طلوع الشمس) ثم وقت طلب الرزق. و يقول عليه السلام "ابنوا المساجد، وأخرجوا القمامة منها، فمن بنى لله بيتا بنى الله له بيتا في الجنة، وإخراج القمامة منها مهوور الحور العين" (الطبراني في الكبير، تصحيح السيوطي صحيح). و يقول عليه السلام "من بات كالا من عمله بات مغفورا له" (فوائد هشام بن عمار). و يقول عليه السلام " ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له صدقة" (صحيح مسلم عن أنس بن مالك). و يقول عليه السلام "في الكبد الحارة أجر" (البيهقي في شعب الإيمان عن سراقه بن مالك، تصحيح السيوطي صحيح) يعني في سقي كل ذي روح من الحيوان أجر. و يقول عليه السلام " لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو إلى الجبل فيحتطب فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل الناس" (متفق عليه، البخاري ومسلم). و يقول عليه السلام " لأن يهدي الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت" (الطبراني في الكبير عن أبي رافع، تصحيح السيوطي حسن). و يقول عليه السلام "إن أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل" (ابن أبي الدنيا عن قتادة، تصحيح السيوطي حسن). فالإسلام يحارب الكسل، و كل ما من شأنه أن يضيع الوقت، إذ أن وقت الإنسان ثمين فهو رأس ماله، و عنوان خلاصه.

الابتعاد عن مسببات الخبائث و المهلكات و سوء الخلق: ينهانا رسول الله صلى الله عليه و سلم في حديث الأربعين حديثاً عن أكل الحرام و شرب الخمر. فالحرام يصعب على من ذاق منه رفع يديه من أكله، و إن هو أكله تعرض لغضب الله، و العياذ بالله، فلا يستجاب له دعاء و أنى يستجاب له و الله طيب لا يقبل إلا طيباً. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً" (أخرجه مسلم عن أبي هريرة). و من جملة المال الحرام "الرشوة" و هي كل ما يؤخذ بغير عوض و يعاب أخذه.

قال ابن العربي الرشوة كل مال دفع لبيتاع به من ذي جاه عوانا على ما لا يحل و المرتشي قابضه و الراشي معطيه و الرائش الواسطة، و من الخطأ و الجهل بما كان الخط بين الهدايا و الرشاوي، و التصحيح في هذا أن الذي يهدي لا يخلو أن يقصد ود المهدي إليه أو عونه أو ماله فأفضلها الأول و الثالث جائز لأنه يتوقع بذلك الزيادة على وجه جميل، و قد تستحب إن كان محتاجاً و المهدي لا يتكلف و إلا فيكره، و قد تكون سبباً للمودة و عكسها، و أما الثاني فإن كان لمعصية فلا يحل و هي الرشوة، و إن كان لطاعة فيستحب و إن كان لجائز فجائز، لكن إن لم يكن المهدي له حاكماً و الإعانة لدفع مظلمة أو إيصال حق فهو جائز، و لكن يستحب له من جهته ترك الأخذ، و إن كان حاكماً فهو حرام، أخرج أحمد و الطبراني من حديث أبي حميد مرفوعاً "هدايا العمال غلول"، و قال المهلب بردّ هدية من كان ماله حراماً أو عرف بالظلم، و قال ابن بطال "هدايا العمال تجعل في بيت المال، و أن العامل لا يملكها إلا إن طلبها له الإمام.

و عن الخمر: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر" (الحاكم في المستدرک و البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس، تصحيح السيوطي صحيح) و قال صلى الله عليه و سلم "لن يزال العبد في فسحة من دينه ما لم يشرب الخمر؛ فإذا شربها خرق الله عنه ستره، و كان الشيطان وليه، و سمعه و بصره و رجليه، يسوقه إلى كل شر، و يصرفه عن كل خير" (الطبراني في الكبير عن قتادة بن عياش، و رواه الحاكم عن ابن عمر و صححه). و قال صلى الله عليه و سلم "لستحلن طائفة من أمتي الخمر باسم يسمونها إياه" (أحمد في مسنده و الضياء عن عبادة بن الصامت، تصحيح السيوطي حسن).

و يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم في حديث الأربعين حديثاً "و لا تحلف بالله كاذباً، و لا تشهد شهادة الزور على أحد قريب أو بعيد و لا تعمل شيئاً بهوى نفسك". قال تعالى كما تقدم "اعدلوا هو أقرب للتقوى" [المائدة 8] و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما يروي عن ربه "قال الله تعالى يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، و جعلته محرماً بينكم، فلا تظالموا، يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل و النهار و أنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي، لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي، لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي، لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله، و من وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه" (صحيح مسلم). و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، و اتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، و حملهم على أن سفكوا دماءهم و استحلوا محارمهم" (صحيح مسلم).

و قال عليه السلام "اتق دعوة المظلوم؛ فإنما يسأل الله تعالى حقه، وإن الله تعالى لن يمنع ذا حق حقه" (الخطيب في التاريخ عن علي). و قال عليه السلام "التؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلاء من الشاة القرناء، تتطحها" (أحمد في مسنده والبخاري في الأدب وصحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي صحيح).

و عن العدل يقول تعالى "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا" {60} (النساء). و يقول تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَآلَهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا" (النساء، آية 135). و يقول تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" {8} (المائدة). و يقول تعالى "يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ" {26} (ص). و يقول تعالى "إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" {42} (الشورى). و يقول تعالى "وَلَا تَتَّبِعِ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" {18} (الجناتية). و يقول تعالى "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَيَلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ" {1} {الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ} {2} وَإِذَا كَالُواهُمْ أَوْ وَزَنُواهُمْ يُخْسِرُونَ} {3} أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ} {4} لِيَوْمٍ عَظِيمٍ} {5} يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ" {6} (المطففين). و يقول تعالى "وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ" {33} (المعارج).

و هكذا إن تقوى الله سبحانه و تعالى تضطرنا إلى تحري العدل و اجتناب الظلم، ذلك أنه عز و جل قد حرم الظلم على نفسه، فجعله محرما بين الناس، لذا فكل فعل يتنافى مع هذا التحري يكون من المهلكات، فشهادة الزور مثلا و الحلف بالله كاذبا لنيل مكسب من مكاسب الدنيا إنما يهوي بصاحبه إلى الحضيض و العياذ بالله، يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "لن تزول قدم شاهد الزور حتى يوجب الله له النار" (ابن ماجة عن ابن عمر، تصحيح السيوطي صحيح)، و يقول صلى الله عليه و سلم " من حلف على يمين باثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله عز و جل وهو عليه غضبان " (متفق عليه). و إذا كان هذا خاصا بالعامه، فولاة الأمور من أمراء و قضاة لا يفتنون أن يكونوا معرضين لأخطر من ذلك، يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "المستشار مؤتمن" (نظم المتناثر)، و يقول صلى الله عليه و سلم "أخذ الأمير الهدية سحت، و قبول القاضي الرشوة كفر" (أحمد في مسنده في الزهد عن علي، تصحيح السيوطي حسن)، و يقول "ادروا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن وجدتم للمسلم مخرجا فخلوا سبيله فإن الإمام لأن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة" (ابن أبي شيبة والترمذي والحاكم في المستدرک والبيهقي في السنن عن عائشة، تصحيح السيوطي صحيح)، و يقول "أربعة يبغضهم الله البياح الحلاف، و الفقير المختال، و الشيخ الزاني، و الإمام الجائر" (النسائي والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي صحيح).

و عن اجتناب الغيبة و القذف و اللعن و السخرية بالناس، يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم في حديث الأربعين حديثا "و لا تغترب أخاك و لا تقع فيه من خلفه أو قدامه و لا تقذف المحصنة و لا تقل لأخيك يا مرأى فيحبط عملك و لا تلعنه و لا تله مع اللاهين و لا تقل للقصير يا قصير تريد بذلك عيبه و لا تسخر بأحد من الناس و لا تأمن عقاب الله تعالى و لا تمش بالنميمة فيما بين الناس". و هكذا تنصب معظم هذه السبل حول العفلة عن عيوب الناس و دفع الشر عنهم، يقول عليه السلام "طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، و أنفق الفضل من ماله، و أمسك الفضل من قوله، و وسعته السنة، و لم يعد عنها إلى البدعة" (الديلمي في مسند الفردوس عن أنس،

تصحیح السيوطي حسن). وفي اجتناب الله يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "لست من ددّ، ولا الددّ مني" (البخاري في الأدب والبيهقي في السنن عن أنس الطبراني في الكبير عن معاوية، تصحيح السيوطي صحيح). الددّ: اللّهو، والتعب. و الله يلهي عن ذكر الله و ينبت النفاق في القلب و يختم عليه. وعن غض البصر قال صلى الله عليه و سلم "إياكم والجلوس على الطرقات فقالوا ما لنا بد إنما هي مجالسنا نتحدث فيها قال فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها قالوا وما حق الطريق قال غض البصر وكف الأذى ورد السلام وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر" (متفق عليه عن أبي سعيد الخدري). و يقول صلى الله عليه و سلم في حديث آخر "أدوا حق المجالس، اذكروا الله كثيرا، وارشدوا السبيل، وعضوا الأبصار" (الطبراني في الكبير عن سهل بن حنيف، تصحيح السيوطي حسن). فغض البصر يستلزم السلامة من التعرض للفتنة بمن يمر من النساء و غيرهن. و كف الأذى يستلزم السلامة من الاحتقار و الغيبة و نحوها. و رد السلام يستلزم إكرام المار.

و المستفاد من الحديث أيضا أن دفع المفسدة أولى من جلب المصلحة، لندبه صلى الله عليه و سلم ترك الجلوس على الطريق مع ما فيه من الأجر لمن عمل بحق الطريق، وذلك أن الاحتياط لطب السلامة أكد من الطمع في الزيادة. هذا و قد جعل النبي صلى الله عليه و سلم الإمساك عن الشر صدقة على النفس، و أكد على كف الأذى. يقول صلى الله عليه و سلم "اتق الله، ولا تحقرن من المعروف شيئا، ولو أن قرغ من دلوك في إناء المستسقي، وأن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط، وإياك وإسبال الإزار فإن إسبال الإزار من المخيلة ولا يحبها الله، وإن امرؤ شتمك وعيرك بأمر ليس هو فيك فلا تعيره بأمر هو فيه، ودعه يكون وباله عليه وأجره لك، ولا تسين أحدا" (الطيالسي ابن حبان في صحيحه عن جابر بن سليم الهجيمي). ومن أعمال البر اجتناب التضييق على المسلمين. قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "احتكار الطعام في الحرم إحداه فيه" (أبو داود عن يعلى بن أمية، تصحيح السيوطي حسن).

مجال الخوف من الله والرجاء فيه و الإحسان والأعمال الصالحة ومعاملة الناس بخلق حسن:
لا يتأتى اجتناب الخبائث والمهلكات إلا بخوف العبد من خالقه. يقول الإمام ابن القيم رحمه الله "الخوف المحمود الصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز و جل". فالمؤمن المتعرف على بعض من صفات الله تعالى و على جلاله سبحانه، يخاف الوقوع في محارمه، والمؤمن الصادق هو من جمع إحسانا و خشية، أما المنافق الكاذب فهو من يجمع بين الإساءة و الأمن و العياذ بالله. و بالتالي فعلى المسلم الانتباه إلى سلوكه، و يشكل هذا الانتباه القاعدة الأصلية و هي وسيلة الفلاح و النجاح بالنسبة له، و عليه الابتعاد عن كل ما يمكن أن يوقعه في حدود الله. و يتأتى هذا بمجاهدة النفس و الشيطان الرجيم.

يقول الإمام ابن القيم "النفس جبل عظيم شاق في طريق السير إلى الله عز و جل، و كل سائر لا طريق له إلا على ذلك الجبل، فلا بد أن ينتهي إليه، و لكن منهم من هو شاق عليه، و منهم من هو سهل عليه، و إنه ليسير على من يسره الله عليه، و في ذلك الجبل أودية و شعاب و لصوص يقطعون على السائرين، فإذا لم يكن معهم عدد الإيمان و مصابيح اليقين تنقد بزيت الإخبات، وإلا تعلق بهم تلك الموانع، و تشبنت بهم تلك القواطع و حالت بينهم و بين السير. فإن أكثر السائرين فيه رجعوا على أعقابهم لما عجزوا عن قطعه و اقتحام عقباته و الشيطان على قلة ذلك الجبل يحذر الناس من صعوده و ارتفاعه و يخوفهم منه و كلما رقى السائر في ذلك الجبل اشتد به صياح القاطع و تحذيره و تخوفه، فإذا قطعه و بلغ قلته انقلبت تلك المخاوف كلهن أمانا، و حينئذ يسهل السير، و تزول عنه عوارض الطريق، و مشقة عقباتها، و يرى طريقا واسعا أمانا يفضي به إلى المنازل و المناهل". فإن تغلب المؤمن على نفسه و على الشيطان الرجيم، و أصبح يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه، ارتقى إلى درجة الإحسان، و نال من مقاماته، و

مقامات الإحسان المراقبة وهي حضور القلب مع الله فلا يتصرف المرء تصرفاً غير مناسب مع حضور الله سبحانه وتعالى، و مقام المشاهدة ومقام المعرفة، و ثمرة مقامات الإحسان هي معرفة الله عز و جل، فإذا عرف الإنسان ربه ، كان أبعد الناس من الحرام و مما قد يعرضه لسخط ربه .

ومن الإحسان الإنفاق على الناس في سبيل الله يقول تعالى "مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" {261} الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَثًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ {262} قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَدَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ {263} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ" {264} (البقرة). و يقول سبحانه "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ" {267} الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَقَضَاءً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" {268} (البقرة). و يقول سبحانه "الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" {274} (البقرة). و يقول سبحانه "سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ" {133} الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" {134} (آل عمران). و يقول سبحانه "وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا" {67} (الفرقان). و يقول سبحانه "وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ" {60} أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ" {61} وَلَا تُكَلَّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ" {62} (المؤمنون).

و يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "إن صدقة السر تطفئ غضب الرب، وإن صلة الرحم تزيد في العمر، وإن صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وإن قول "لا إله إلا الله" تدفع عن قائلها تسعة وتسعين باباً من البلاء أذناها لهم" (ابن عساكر عن ابن عباس). و يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "أيا مسلم كسا مسلماً ثوباً على عري، كساه الله تعالى من خضر الجنة؛ وأيا مسلم أطعم مسلماً على جوع، أطعمه الله تعالى يوم القيامة من ثمار الجنة؛ وأيا مسلم سقى مسلماً على ظمأ، سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم" (أحمد في مسنده وأبو داود والترمذي عن أبي سعيد، تصحيح السيوطي حسن). و يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "تصدقوا، فإن الصدقة فكاكم من النار" (الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية عن أنس، تصحيح السيوطي حسن). و يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "ثلاث من كن فيه نشر الله تعالى عليه كنفه، وأدخله جنته: رفق بالضعيف، وشفقة على الوالدين، والإحسان إلى المملوك" (الترمذي عن جابر، تصحيح السيوطي حسن).

و يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم " تعدل بين الاثنين صدقة. وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه، صدقة". قال "والكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة". و يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم " أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تأمل الغنى وتخشى الفقر، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا، و لفلان كذا، ألا وقد كان لفلان" (متفق عليه). و من حديث أبي هريرة "أن رجلاً شكى إلى النبي صلى الله عليه و سلم قسوة قلبه فقال أطعم المسكين و امسح رأس اليتيم". (أحمد من حديث أبي هريرة، قال الإمام ابن حجر العسقلاني وسنده حسن). قال تعالى {أو إطعام في يوم ذي مسغبة} قال ابن عباس ذي مجاعة. وقال عمر اللهم إنا لا نستطيع إلا

أن نفرح بما زينته لنا، اللهم إني أسألك أن أنفقه في حقه. (صحيح البخاري). و قال عليه السلام "الأيدي ثلاثة فيد الله العليا، ويد المعطي التي تليها، ويد السائل السفلى؛ فأعط الفضل، ولا تعجز عن نفسك" (أحمد في مسنده وأبو داود والحاكم في المستدرک عن مالك بن نضلة، صحيح السيوطي صحيح). "يد الله هي العليا" لأنه المعطي في الحقيقة. "ولا تعجز عن نفسك" أي ولا تعجز عن نفقة نفسك ومن تلزمك نفقته، بأن تتصدق بمالك كله ثم تسأل الناس. و قال عليه السلام "خير الصدقة المنيحة تغدو بأجر، وتروح بأجر" (أحمد في مسنده عن أبي هريرة، صحيح السيوطي صحيح). "المنيحة" هي أن يعطيه نحو شاة لينتفع بها، بنحو لبنها أو صوفها، ويردها. و قال عليه السلام "خير أبواب البر الصدقة" (الدارقطني في الأفراد الطبراني في الكبير عن ابن عباس، صحيح السيوطي صحيح). و قال عليه السلام "دخلت الجنة فرأيت على بابها الصدقة بعشرة، والقرض بثمانية عشر. فقلت يا جبريل كيف صارت الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر، قال لأن الصدقة تقع في يد الغني والفقير، والقرض لا يقع إلا في يد من يحتاج إليه" (الطبراني في الكبير عن أبي أمامة، صحيح السيوطي صحيح). و قال عليه السلام "شر الناس الذي يُسأل بالله ثم لا يُعطي" (البخاري في التاريخ عن ابن عباس، صحيح السيوطي صحيح). "يُسأل"، بالبناء للمجهول أي يسأله السائل ويقسم عليه بالله. "ثم لا يُعطي"، بالبناء للفاعل أي لا يعطي المسؤول السائل ما سأله فيه بالله تعالى. ويظهر أن الكلام في سؤال المضطر لمن ليس بمضطر (وفي غير معصية).

و قال عليه السلام "على كل سلامى من ابن آدم في كل يوم صدقة، ويجزئ عن ذلك كله ركعتا الضحى" (الطبراني في الأوسط عن ابن عباس، صحيح السيوطي صحيح). و قال عليه السلام "كل معروف صدقة، والدال على الخير كفاعله، والله يحب إغاثة اللهفان" (صحيح البخاري). "الدال على الخير كفاعله" (الطبراني في الكبير عن سهل بن سعد وعن ابن مسعود، صحيح السيوطي صحيح). و قال عليه السلام "قال الله عز وجل أنفق، أنفق عليك" (متفق عليه، البخاري ومسلم). ويقول سبحانه و تعالى {وأقرضوا الله قرضاً حسناً} يعني من الصدقات، فإن الله يجازي على ذلك أحسن الجزاء وأوفره كما قال تعالى {من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة}، وقوله تعالى {وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً}. و الهدية من أعمال البر و هي تورث المحبة كما قال عليه السلام "تهادوا تحابوا" (رواه النسائي في الكنى، قال ابن حجر سنده حسن).

و من أعمال البر المرتبطة بالإحسان و حسن الخلق إدخال السرور على المسلم والتودد له واجتناب ما يحزن الناس. قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " لا يبيع حاضر لباد ولا تتاجشوا ولا يزيد الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبته ولا تسأل امرأة طلاق أختها" (مسند الإمام أحمد، مسند أبي هريرة رضي الله عنه). و عن عبد الله رضي الله عنهما قال "قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجي اثنان دون الثالث" (متفق عليه). أي لا يتحدثان سرا. و عن عبد الله بن دينار "فكان ابن عمر إذا أراد أن يناجي رجلاً دعا آخر ثم ناجى الذي أراد" (من رواية سفيان في جامعه عن عبد الله بن دينار). و من الإحسان الحب في الله و البغض فيه. يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "زار رجل أخاه في قرية فأرصد الله له ملكاً على مدرجته فقال أين تريد، قال أخاه في هذه القرية. فقال هل لك عليك من نعمة تربُّها، قال لا، إلا إني أحبه في الله. قال فإني رسول الله إليك، إن الله أحبك كما أحببتك" (صحيح مسلم عن أبي هريرة). "مدرجته" الطريق، سميت به لأن الناس يدرجون فيها، أي يمشون. "تربُّها" تراعيها كما يربي الرجل ولده. و من الإحسان عيادة المريض. يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "إذا دخلت على مريض فمره يدعو لك، فإن دعاه كدعاء الملائكة" (أخرجه ابن ماجه، قال ابن حجر بسند حسن لكن فيه انقطاع عن عمر). و قال عليه السلام " إذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة فإذا قعد عنده قرت فيه " (أخرجه الحاكم والبيهقي من حديث جابر وقال "أنغمس فيها"

قال الحاكم صحيح على شرط مسلم وكذا صححه ابن عبد البر، وذكره مالك في الموطأ بلاغا بلفظ "قرت فيه" ورواه الواقدي بلفظ "استقر فيها". و قد كان صلى الله عليه و سلم يعود المريض الشريف والوضيع والحر والعبد، حتى عاد غلاماً يهودياً كان يخدمه وعاد عمه وهو مشرك وكان يفعل ذلك وهو معتكف أي عند خروجه لما لا بد منه فإن المعتكف إذا خرج لما لا بد منه وعاد مريضاً في طريقه ولم يعرّج لم يبطل اعتكافه وهذا مذهب الشافعي. قال ابن القيم ولم يكن يخص يوماً ولا وقتاً من الأوقات بالعبادة بل شرع لأتمته ليلاً ونهاراً. و من تمام عبادة المريض وضع اليد على جبهته و مسح وجهه و مسح العضو الذي يؤلمه و الفسح له في طول العمر.

و من الإحسان و حسن الخلق إجابة الداعي. يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب، فإن كان مفطراً فليأكل، وإن كان صائماً فليدع بالبركة" (الطبراني في الكبير عن ابن مسعود، تصحيح السيوطي صحيح). و قال عليه السلام "إذا دعي أحدكم إلى وليمة فليجب، وإن كان صائماً" (ابن منيع عن أبي أيوب، تصحيح السيوطي صحيح). و قال عليه السلام "أجيبوا الداعي، ولا تردوا الهدية، ولا تضربوا المسلمين" (أحمد في مسنده، قال الحافظ الهيثمي رجال أحمد رجال الصحيح). و قال عليه السلام "ثلاث لا ترد الوسائد والدهن واللبن" (الترمذي عن ابن عمر، تصحيح السيوطي حسن). "الدهن" قال الترمذي يعني بالدهن الطيب. "اللبن" الشراب المعروف. و قال عليه السلام "ثلاث لا يمنعن الماء والكأ والنار" (أخرجه ابن ماجة بإسناد حسن) أي لا يجوز لأحد منعهن (عمن يريدهن).

و من الإحسان إفشاء السلام و رده بأحسن منه. قال تعالى "و لا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمناً"، وقال سبحانه "و لهم ما يدعون سلاماً قولاً من رب رحيم". وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم "السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه الله في الأرض، فأفشوه بينكم، فإن الرجل المسلم إذا مر بقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيره إياهم السلام، فإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم وأطيب" (البخاري في شعب الإيمان عن ابن مسعود، تصحيح السيوطي حسن). "خير منهم وأطيب" وهم الملائكة الكرام. قال تعالى "فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم". و أخرج البخاري في الأدب المفرد و ابن أبي شيبة بسند حسن عن ابن عمر رضي الله عنهما "فيستحب إذا لم يكن أحد في البيت أن يقول السلام علينا و على عباد الله الصالحين".

و قال صلى الله عليه و سلم " ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان، إلا غفر لهما قبل أن يفترقا " (أخرجه أبو داود، والترمذي وابن ماجه عن الأجلح عن أبي إسحاق عن البراء، قال الترمذي حديث حسن غريب). "أيما مسلمين التقيا فأخذ أحدهما بيد صاحبه فتصافحا وحمدا الله تعالى جميعاً، تفرقا وليس بينهما خطيئة" (أحمد في مسنده والضياء عن البراء، تصحيح السيوطي صحيح). وأخرج البخاري في "الأدب المفرد" عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً "ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدوكم على السلام و التأمين" (أحمد في مسنده وابن ماجه عن عائشة، قال الإمام المناوي صحيح). وأخرج النسائي بسند جيد عن جابر رفعه "لا تسلموا تسليم اليهود، فإن تسليمهم بالرؤوس و الأكف و الإشارة". و عن أبي جري قال "أتيت رسول الله صلى الله عليه و سلم فقلت عليك السلام يا رسول الله ، قال لا تقل عليك السلام فإن عليك السلام تحية الموتى" (سنن أبي داود والترمذي وصححه). و قد نبه ابن دقيق العيد على أن "السلام اسم الله" فينبغي أن لا يقدم على اسم الله شيء، و نقل عن بعض الشافعية أن المبتدئ لو قال " عليك السلام" لم يجزئ. و من الأحاديث في إفشاء السلام "إذا قعد أحدكم فليسلم و إذا قام فليسلم فليست الأولى أحق من الآخرة" (أخرجه النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه). و عن عبد الله بن عمرو أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه و سلم أي الإسلام خير، قال تطعم الطعام و تقرأ السلام

على من عرفت و من لم تعرف" (متفق عليه). و أخرج البيهقي في "الشعب" من طريق عبد الله بن بابيه قال "جاء رجل إلى ابن عمر فقال السلام عليكم و رحمة الله و بركاته و مغفرته، فقال حسبك إلى و بركاته انتهى إلى و بركاته". و أخرج البخاري في الأدب المفرد عن سالم مولى ابن عمر قال "كان ابن عمر يزيد إذا رد السلام، فأتيته مرة فقلت السلام عليكم، فقال السلام عليكم و رحمة الله. ثم أتيتهم فزدت" و بركاته "فرد و زاد و طيب صلواته". و نقل ابن دقيق العيد عن أبي الوليد بن رشد أنه يؤخذ من قوله تعالى "فحيوا بأحسن منها" الجواز في الزيادة على البركة إذا انتهى إليها المبتدئ. و أخرج البخاري في الأدب المفرد إذا مر بك الرجل فقال السلام عليكم، فلا تقل و عليك السلام فتخصه وحده، فإنه ليس وحده، و سنده صحيح. و قال النووي اتفق أصحابنا أن المجيب لو قال "عليك" بغير واو لم يجزئ، و إن قال بالواو فوجهان. و قال السنة إذا مر بمجلس فيه مسلم و كافر أن يسلم بلفظ التعميم و يقصد به المسلم. و عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً "لا تبدؤوا اليهود و النصارى بالسلام، و اضطروهم إلى أضيق الطريق".

و أخرج الطبري من طريق ابن عيينة قال يجوز ابتداء الكافر بالسلام لقوله تعالى "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين" و قول إبراهيم لأبيه "سلام عليك". و أجاب عياض عن الآية و كذا عن قول إبراهيم عليه السلام لأبيه، بأن القصد بذلك المباحة و المتاركة و ليس القصد فيهما التحية. و قال القرطبي في قوله "و إذا لقيتهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه" معناه لا تنتهوا لهم عن الطريق الضيق إكراماً لهم و احتراماً، و ليس المعنى إذا لقيتهم في طريق واسع فألجئوهم إلى حرفه حتى يضيق عليهم لأن ذلك أذى لهم و قد نهينا عن أذاهم بغير سبب. و عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال إذا سلم عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم السام عليكم، فقل و عليك" و عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا و عليكم". و ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال "من سلم عليك فرد عليه و لو كان مجوسياً". و عن طائفة من العلماء لا يرد عليهم السلام أصلاً.

و إذا كان هذا في حق المشركين و الكفار، فما حكم السلام على مقترف الذنب و على من لم يرد سلامه حتى تتبين توبته. أشار البخاري إلى الخلاف في ذلك، و قد ذهب الجمهور إلى أنه لا يسلم على الفاسق و لا المبتدع. قال النووي: فإن اضطرت إلى السلام بأن خاف ترتب مفسدة في دين أو دنيا إن لم يسلم سلم، و كذا قال ابن العربي، و زاد و ينوي أن السلام من أسماء الله تعالى، فكأنه قال الله رقيب عليكم. و قال النووي و أما المبتدع و من اقترف ذنباً عظيماً و لم يتب منه فلا يسلم عليهم و لا يرد عليهم السلام كما قال جماعة من أهل العلم، و احتج البخاري لذلك بقصة كعب بن مالك. و قال عبد الله بن عمرو و لا تسلموا على شربة الخمر. هذا و قد أكد رسول الله صلى الله عليه و سلم على إنشاء السلام في أغلب الأحوال و الحالات فقال عليه الصلاة و السلام "ترك السلام على الضرير خيانة" (الديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة). قال الإمام المناوي لأن شرعية السلام أن يفيض كل من المتلاقيين الخير و الأمان على صاحبه فمن امتنع من إفاضة هذا الخير فقد خان صاحبه و الضرير معذور بعدم الإبصار. و قد وردت أحاديث جيدة أنه صلى الله عليه و سلم رد السلام و هو يصلي إشارة، منها حديث أبي سعيد "أن رجلاً سلم على النبي صلى الله عليه و سلم و هو يصلي فرد عليه إشارة" و من حديث ابن مسعود نحوه، بل و ما ذكر في بطلان الصلاة إذا رد السلام بالخطاب ليس متفقاً عليه، فعن الشافعي نص في أنه لا تبطل لأنه لا يريد حقيقة الخطاب بل الدعاء، و عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم و قال كان النبي صلى الله عليه و سلم يفعل، قال ابن بطال في السلام على الصبيان تدريهم على آداب الشريعة، و قد جاء في فتح الباري للحافظ العسقلاني ما ملخصه أن لو سلم الصبي على بالغ و جب عليه الرد، و لو سلم على جماعة فيهم صبي فأجاب أجزأ عنهم في وجه، و عن أسماء بنت يزيد "مر علينا النبي صلى الله عليه و سلم في نسوة فسلم علينا" حسنة

الترمذي و ليس على شرط البخاري و يستفاد منه جواز تسليم الرجال على النساء و النساء على الرجال.

و من الإحسان إمطة الأذى عن الطريق. يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس" (صحيح مسلم). و من الإحسان طلب الجماعة. يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي" (أبو يعلى في مسنده و ابن حبان في صحيحه و البيهقي في شعب الإيمان و الضياء عن جابر، صحيح السيوطي صحيح). و يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "إن الله تعالى يدخل بلقمة الخبز وقبصة التمر، ومثله مما ينفع المسكين ثلاثة الجنة صاحب البيت الأمر به، والزوجة المصلحة، والخادم الذي يناول المسكين" (الحاكم في المستدرک عن أبي هريرة). و من الإحسان صلة الرحم و الضيافة. يقول تعالى "26} الَّذِينَ يُفْضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ" (البقرة). يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "للرحم لسان عند الميزان تقول يا رب من قطعني فاقطعه، ومن وصلني فصله" (الطبراني في الكبير عن بريدة، صحيح السيوطي حسن). لقد خلق الرحمن الرحم و شق لها إسما من اسمه، فمن وصلها وصله الله و من قطعها قطعه الله. عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثرة في المال، منسأة في الأثر" (أحمد في مسنده و الترمذي و الحاكم في المستدرک عن أبي هريرة، صحيح السيوطي صحيح). "مثرة في المال" سبب لكثرتيه. "منسأة في الأثر" تأخير في الأجل و تطويل في العمر. و يقول عليه السلام "أي عبد زار أخاه في الله نودي أن طبت وطابت لك الجنة". و يقول عليه السلام "ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا، وأدخله الجنة برحمته: تعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك" (الطبراني في الأوسط و الحاكم في المستدرک عن أبي هريرة، صحيح السيوطي حسن). وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم "الخير أسرع إلى البيت الذي يؤكل فيه، من الشفرة إلى سنام البعير" (ابن ماجة عن ابن عباس، صحيح السيوطي حسن). "يؤكل فيه" أي يأكل فيه الضيوف.

و في آداب الزيارة و الضيافة، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "إذا دخل أحدكم على أخيه المسلم فأطعمه من طعامه فليأكل، ولا يسأل عنه، وإن سقاه من شرايه فليشرب، ولا يسأل عنه" (الطبراني في الأوسط و الحاكم في المستدرک و البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة). و يقول عليه السلام "إذا زار أحدكم قوما فلا يصل بهم، وليصل بهم رجل منهم" (أحمد في مسنده و الثلاثة [أبو داود و الترمذي و النسائي] عن مالك بن الحويرث، صحيح السيوطي صحيح حسن). و يقول عليه السلام "إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع" (متفق عليه). و في الاستئذان قال المازري صورة الاستئذان أن يقول السلام عليكم أدخل، ثم هو بالخيار أن يسمى نفسه أو يقتصر على التسليم. هذا و المأذون له يجب ألا يطيل الجلوس بعد تمام ما أذن له فيه لئلا يؤدي أصحاب المنزل و يمنعهم من التصرف في حوائجهم.

و في الاستئذان أيضا ما قاله سليمان بن يسار: استأذنت على عائشة فعرفت صوتي فقالت سليمان ادخل فإنك مملوك ما بقي عليك شيء (صحيح البخاري). و في هذا دليل على أن عائشة رضي الله عنها كانت ترى ترك الحجاب من العبد سواء كان في ملكها أو في ملك غيرها لأنه كان مكاتب ميمونة زوج النبي صلى الله عليه و سلم. و من الإحسان الإصلاح بين الناس. يقول تعالى "وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ" {151} الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ" {152} (الشعراء). و يقول سبحانه "وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ" {34} وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا دُوْحٌ عَظِيمٌ" {35} { وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" {36} (فصلت). و يقول

رسول الله صلى الله عليه وسلم "لم يكذب من نمت بين اثنين ليصلح" (أخرجه مسلم). و قال عليه السلام "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة، صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة" (أحمد في مسنده وأبو داود والترمذي عن أبي الدرداء، تصحيح السيوطي صحيح). "الحالقة" الخصلة التي تطلق أي تهلك وتستأصل الدين. و يقول عليه السلام "تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس، فيغفر فيهما لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجل كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال أنظروا هذين حتى يصطلحا". فالشحناء مهلكة خبيثة تمنع المغفرة و تستأصل الدين، لذا كان الردع عنها واضحاً، و كان الحض على ترك بعض الحقوق لتوفير الصلح مؤكداً.

و من الإحسان و حسن الخلق السهولة و الليونة و الإيثار على النفس. يقول تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" {11} (المجادلة). و يقول تعالى "وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" {9} وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ" {10} (الحشر). و يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "عليك بالرفق، وإياك والعنف والتفحش". (البخاري في الأدب عن عائشة). و قال عليه السلام "عليك بالرفق، إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه" (صحيح مسلم عن عائشة). و قال عليه السلام "أدخل الله الجنة رجلاً كان سهلاً مشترياً وبائعاً وقاضياً ومقتضياً" (أحمد في مسنده والنسائي وابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان عن عثمان بن عفان، تصحيح السيوطي صحيح).

و قال عليه السلام "إن أغبط الناس عندي لمؤمن خفيف الحاذ، ذو حظ من الصلاة، أحسن عبادة ربه، وأطاعه في السر، وكان غامضاً في الناس لا يشار إليه بالأصابع، وكان رزقه كاففاً فصبر على ذلك؛ عجلت منيته، وقلت بواكيه، وقل تراثه" (أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجه والحاكم في المستدرک عن أبي أمامة، تصحيح السيوطي صحيح). "خفيف الحاذ" قليل المال والعيال. "غامضاً في الناس" أي خافياً لا يعرفه أحد. "عجلت منيته" أي سهل قبض روحه لعدم تعلقه بمال و عيال. "تراثه" ميراثه. و قال عليه السلام "إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من يخاف الناس شره" (الطبراني في الأوسط عن أنس، تصحيح السيوطي صحيح) و قال عليه السلام "إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه" (متفق عليه، البخاري ومسلم) و قال عليه السلام "ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غداً، على كل هين لين قريب سهل" (أبو يعلى في مسنده عن جابر الترمذي والطبراني في الكبير عن ابن مسعود، تصحيح السيوطي حسن).

و من الإحسان و حسن الخلق حفظ الأمانة. يقول تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" (الأنفال). و يقول تعالى "وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ" {8} (المؤمنون). لا يحل أخذ أموال الكفار في حال الأمن غدراً لأن الرفقة يصطحبون على الأمانة و الأمانة تؤدي إلى أهلها مسلماً كان أو كافراً أما أموال الكفار فهي إنما تحل بالمحاربة و المغالبة. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء" (أخرجه الترمذي وحسنه الحاكم عن أبي سعيد الخدري). و قال عليه السلام "أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك" (البخاري في التاريخ وأبو داود والترمذي والحاكم في المستدرک عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي صحيح). و قال عليه السلام "أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير، كان له مثل نصف أجر الخارج" (صحيح مسلم). "الخارج"

أي الذي يخرج لغزو أو نحوه. و من الإحسان و حسن الخلق ستر المسلم. قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " من فرج عن مسلم كربة في الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، و من ستر عورة مسلم ستر الله عورته عليه يوم القيامة، و الله في حاجة العبد ما كان العبد في حاجة أخيه." (رواه الطبراني في الأوسط، و في الكبير طرف من آخره، و فيه عبيد الله بن زحر و قد وثقه جماعة، و بيقية رجاله ثقات). و من الإحسان و حسن الخلق عدم تأخير الحقوق. يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "مطل الغني ظلم" (صحيح مسلم). و من الإحسان و حسن الخلق اجتناب قول يا مرأي لأخيك فيحبط عملك و اجتناب لعن أحد من الخلق. يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "إن العبد إذا لعن شيئاً سعدت اللعنة إلى السماء، فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يميناً و شمالاً، فإذا لم تجد مساعاً رجعت إلى الذي لعن، فإن كان لذلك أهلاً و إلا رجعت إلى قائلها" (أبو داود عن أبي الدرداء، تصحيح السيوطي حسن). و يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "تجاوزوا لذوي المروءة عن عثراتهم، فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليعثر و إن يده لفي يد الله تعالى" (ابن المرزبان عن جعفر بن محمد مرسل، تصحيح السيوطي صحيح)

و من الإحسان و حسن الخلق اجتناب الرياء. يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "إن الله يحب الغني التقي الخفي" (أخرجه مسلم) و المراد بالتقي من يترك المعاصي امتثالاً للمأمور به و اجتناباً للمنهى عنه، و الخفي إشارة إلى ترك الرياء و الله أعلم. و قال عليه السلام "كلكم بنو آدم، و آدم خلق من تراب، لينتهين قوم يفتخرون بأبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان" (البخاري عن حذيفة، تصحيح السيوطي حسن). و من الإحسان و حسن الخلق اجتناب البؤس و التباؤس. يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم: "إذا آتاك الله مالا فلير عليك، فإن الله يحب أن يرى أثره على عبده حسناً، و لا يحب البؤس و لا التباؤس" (البخاري في التاريخ و الطبراني في الكبير و الضياء عن زهير بن أبي علقمة، تصحيح السيوطي صحيح). و من الإحسان و حسن الخلق اجتناب الفتنة و الأذية. يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "الحلف حنث أو ندم" (البخاري في التاريخ و الحاكم في المستدرک عن ابن عمر، تصحيح السيوطي صحيح). و يقول عليه السلام "إن أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل" (ابن أبي الدنيا في الصمت عن قتادة مرسل، تصحيح السيوطي حسن). و يقول عليه السلام "أملك عليك لسانك، و ليسعك بيتك، و ابك على خطيئتك" (الترمذي عن عقبه بن عامر، تصحيح السيوطي حسن). و يقول عليه السلام "أيا امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية، و كل عين زانية" (أحمد في مسنده و النسائي و الحاكم في المستدرک عن أبي موسى، تصحيح السيوطي صحيح).

و من الإحسان و حسن الخلق اجتناب النميمة و السخرية بالآخرين. يقول تعالى "الَّذِينَ يَلْمُزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" {79} (التوبة). و يقول تعالى "إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا" {57} و "الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا" {58} (الأحزاب). و يقول تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" {11} (الحجرات). و يقول تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْنَاهُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ" {12} يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" {13} (الحجرات). و يقول تعالى "إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ" {29} وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ" {30}

وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ {31} وَإِذَا رَأَوْهُمُ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ {32} وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ {33} فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ {34} (المطففين). و الغيبة ذكرك أخاك بما يكره. يقول تعالى " ويل لكل همزة لمزة". الهماز بالقول، واللامز بالفعل، يعني يزدري الناس وينقص بهم، قال ابن عباس {همزة لمزة} طعان معياب (حزب المفصل شرح ابن كثير). و يقول صلى الله عليه و سلم "أفضل الناس مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه و ماله، ثم مؤمن في شعب من الشعب يتقي الله و يدع الناس من شره" (متفق عليه، البخاري ومسلم)، فيكون بذلك هذا المؤمن سالما من الغيبة و اللغو و السخرية.

و من الإحسان و حسن الخلق اجتناب هجر أخيك المؤمن. يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام" (سنن أبي داود). ويقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن" (أخرج أحمد و الترمذي و الحاكم و صححاه). و الحديث عن الخلق الحسن قد يطول فهو أثقل ما يأتي به الإنسان في الميزان، لذا أنجزنا ملحقا خاصا به. و عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال "أمرنا رسول الله صلى الله عليه و سلم بسبع بعبادة المريض، و اتباع الجنائز، و تسميت العاطس، و نصر الضعيف، و عون المظلوم، و إفشاء السلام، و إبرار المقسم. و نهى عن الشرب في الفضة، و نهى عن تختم الذهب، و عن ركوب الميثر، و عن لبس الحرير و الديباج و القسي و الإستبرق" (صحيح البخاري). و يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "للمسلم على المسلم ست بالمعروف يسلم عليه إذا لقيه، و يجيبه إذا دعاه، و يشمته إذا عطس، و يعودُه إذا مرض، و يتبع جنازته إذا مات، و يحب له ما يحب لنفسه" (أحمد في مسنده و الترمذي و ابن ماجه عن علي، صحيح السيوطي حسن).

و من الإحسان أن يحمد العبد مولاه و يصبر على مكروه أصابه. يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "اللهم اجعلني شكورا، واجعلني صبورا، واجعلني في عيني صغيرا، وفي أعين الناس كبيرا" (البخاري عن بريدة، صحيح السيوطي حسن). "وفي أعين الناس كبيرا" ليسهل عليه أمر الرسالة. و يقول عليه السلام "خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا، و من لم يكونا فيه لم يكتبه الله لا شاكرا ولا صابرا، من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به، و نظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه، كتبه الله شاكرا صابرا. و من نظر في دينه إلى من هو دونه، و نظر في دنياه إلى من هو فوقه فأسف على ما فاته منه، لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا" (الترمذي عن ابن عمرو، صحيح السيوطي حسن). و يقول تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ" {172} (البقرة). و قال سبحانه "و قليل من عبادي الشكور". و يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "أول من يدعى إلى الجنة الحمادون، الذين يحمدون الله على السراء و الضراء" (الطبراني في الكبير و الحاكم في المستدرک و البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس، صحيح السيوطي حسن). و يقول عليه السلام "من رأى مبتلى فقال "الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، و فضلني على كثير من عباده تفضيلا" لم يصبه ذلك البلاء" (الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال الترمذي حديث حسن). ذلك أن الحمد على النعمة أمان لزوالها، فضلا على أنه تعالى مالك لجميع الحمد من الخلق و مستحق لأن يحمده، فحمده تعالى واجب في جميع الأحوال، ألم ينعم عليك بنعمة الإيجاد، فأوجدك و أعطاك الفرصة للدخول في حزبه و محبته و رحمته، فتدبر.

و عن الصبر يقول تعالى "وَلَمَّا أَذِفْنَا نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّئُهُ لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ" {10} إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ" {11} (هود). و يقول تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ" {153}

(البقرة). و يقول تعالى "وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ {155} الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" (البقرة). و يقول تعالى "وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" {96} (النحل). و يقول تعالى "وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ {127} إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ" (النحل). و يقول تعالى "قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ" {10} (الزمر). و يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "الصبر والاحتساب أفضل من عتق الرقاب، ويدخل الله صاحبهن الجنة بغير حساب" (الطبراني في الكبير عن الحكيم بن عمير الشمالي، تصحيح السيوطي صحيح).

و قال بعض العارفين الصبر ثلاث مقامات: أوله ترك الشكوى، وهي درجة التائبين. ثم الرضى بالقضاء، وهي درجة الزاهدين. ثم محبة ما يصنع به مولاه، وهذه درجة الصديقين. و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "ما أصابك لم يكن ليخطئك و ما أخطأك لم يكن ليصيبك" (سنن أبي داود، مقتطف من حديث عبادة بن الصامت مع ابنه) و قال صلى الله عليه و سلم "إن الله تعالى يبئلي العبد فيما أعطاه، فإن رضي بما قسم الله له بورك له فيه ووسعه، وإن لم يرض لم يبارك له و لم يزد على ما كتب له" (أحمد في مسنده وابن قانع البيهقي في شعب الإيمان عن رجل من بني سليم، تصحيح السيوطي صحيح) و يقول صلى الله عليه و سلم "إذا أراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبته في الدنيا" (حديث صحيح الفتح).

و يقول تعالى منكرأ على الإنسان إذا وسع الله تعالى عليه في الرزق ليختبره فيعتقد أن ذلك استحقاقا له، وليس كذلك بل هو ابتلاء و امتحان {أحسبون أنما نمدهم به من مال و بنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون} وكذلك إذا ما ابتلاه و امتحنه و ضيق عليه في الرزق، يعتقد أن ذلك إهانة له من الله، قال الله تعالى {كلا} أي ليس الأمر كما زعم لا في هذا ولا في هذا، فإن الله تعالى يعطي المال من يحب و من لا يحب، و يضيق على من يحب و من لا يحب، و إنما المدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين، إذا كان غنياً بأن يشكر الله على ذلك، و إذا كان فقيراً بأن يصبر، فإذا و عى المؤمن هذه الحقيقة رضي بقضاء الله، و ارتقى بذلك إلى درجة الزاهدين، و اطلع إلى ما هو أرقى، و هذا حال المهتدى. و قال النبي عليه السلام في الصبر عند فقدان الولد و الحبيب "إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته قبضتم ولد عبدي فيقولون نعم، فيقول قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم، فيقول ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة، و سموه بيت الحمد" (الترمذي عن أبي موسى، تصحيح السيوطي حسن). و قال عليه السلام "عجبت لأمر المؤمن إن أمر المؤمن كله له خير ليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر وكان خيرا و إن أصابته ضراء صبر وكان خيرا". (مسند الإمام أحمد عن صهيب)، و قال صلى الله عليه و سلم "إذا أحب الله عبدا ابتلاه ليعلم تضرعه".

و أبواب الإحسان و حسن الخلق كثيرة، نذكر منها ما يقوله تعالى "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا" {63} (الفرقان) و ما يقوله رسول الله صلى الله عليه و سلم في حديث الأربعين حديثا "و لا تطلب سخط الرب برضى المخلوقين و لا تؤثر الدنيا على الآخرة و إذا سألك أخوك المسلم مما عندك فلا تبخل عليه و انظر في أمر دينك إلى من هو فوقك و في أمر دنياك إلى من هو دونك". و يقول صلى الله عليه و سلم عن الإحسان بالمملوكين "العبيد إخوانكم فأطعموهم مما تأكلون" (صحيح البخاري). و يقول عليه السلام "ثلاث من كن فيه نشر الله تعالى عليه كنفه، و أدخله جنته: رفق بالضعيف، و شفقة على الوالدين، و الإحسان إلى المملوك" (الترمذي عن جابر، تصحيح السيوطي حسن). و يقول عليه السلام ترغيبا لقضاء حوائج الناس "إن لله تعالى عبادا اختصهم بحوائج الناس، يفرع الناس إليهم

في حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله" (الطبراني في الكبير عن ابن عمر، تصحيح السيوطي حسن). و يقول عليه السلام " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بالطريق يمنع منه ابن السبيل، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه ما يريد وفي له، وإلا لم يف له، ورجل بايع رجلاً بسبعة بعد العصر فحلف بالله لقد أعطى كذا وكذا، فصدقه فأخذها ولم يعط بها" (أخرجه البخاري ومسلم). قال المهلب إنما خص النبي صلى الله عليه وسلم هذا الوقت بتعظيم الإثم على من حلف فيه كاذباً لشهود ملائكة الليل و النهار ذلك الوقت، و يمكن أن يكون اختص بذلك لكونه وقت ارتقاع الأعمال. و إذا ورد التغليب بالزمان فقد ورد أيضاً بالمكان، فورد في اليمين على المنبر في حديثين أحدهما حديث جابر مرفوعاً " لا يحلف أحد عند منبري هذا على يمين آثمة ولو على سواك أخضر إلا تباؤاً مقعده من النار" (أخرجه مالك وأبو داود والنسائي وابن ماجه، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهم)، ثانيهما حديث أبي أمامة بن ثعلبة مرفوعاً "من حلف عند منبري هذا بيمين كاذبة يستحل بها مال امرئ مسلم فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً و لا عدلاً" (أخرجه النسائي و رجاله ثقات). و يقول صلى الله عليه وسلم "إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه، وحسن الخلق" (البخاري أبو نعيم في الحلية والحاكم في المستدرک والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي حسن).

و يقول عليه السلام "طوبى لمن تواضع في غير منقصة، وذل في نفسه في غير مسكنة، وأنفق من مال جمعه في غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحم أهل الذل والمسكنة. طوبى لمن ذل نفسه، وطاب كسبه، وحسنت سريرته، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شره. طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله" (البخاري في التاريخ و البغوي، و البارودي، و ابن قانع الطبراني في الكبير والبيهقي في السنن عن ركب المصري، تصحيح السيوطي حسن). و يقول عليه السلام عن الذين يستخفون من الناس و لا يستخفون من الله "إنما يسلط الله تعالى على ابن آدم من خافه ابن آدم، ولو أن ابن آدم لم يخف غير الله لم يسلط الله عليه أحداً. وإنما وكل ابن آدم لمن رجا ابن آدم، ولو أن ابن آدم لم يرج إلا الله لم يكله الله إلى غيره" (الحكيم عن ابن عمر).

و عن معاملة المداحين المتملقين يقول صلى الله عليه وسلم "احثوا التراب في وجوه المداحين" (الترمذي عن أبي هريرة ابن عدي في الكامل وأبو نعيم في الحلية عن ابن عمر). ومن حديث أبي بكر أن رجلاً ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتى عليه رجل خيراً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم "ويحك قطعت عنق صاحبك - يقوله مراراً - إن كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك وحسببه الله ولا يركي على الله أحداً" (أخرجه البخاري) و هذا نهى واضح من النبي صلى الله عليه وسلم أن يفرض في مدح الرجل بما ليس فيه فيدخله في ذلك الإعجاب والكبر، ويظن أنه في الحقيقة بتلك المنزلة فيحمله ذلك على تضييع العمل وترك الأزيد من الفضل.

و عن معاملة الرعية يقول صلى الله عليه وسلم "اللهم من ولى من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولى من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فرفق به" (صحيح مسلم عن عائشة) و يقول عليه السلام "أما وال ولى شيئاً من أمر أمتي فلم ينصح لهم ويجتهد لهم كنصيحتهم وجهده لنفسه، كبه الله تعالى على وجهه يوم القيامة في النار" (الطبراني في الكبير عن معقل بن يسار، تصحيح السيوطي حسن). و من الوصايا المحمدية صلى الله عليه وسلم للخليفة "أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله، وأوصيه بحماية المسلمين أن يعظم كبيرهم، ويرحم صغيرهم، ويوقر عالمهم، وأن لا يضربهم فيذلهم، ولا يوحشهم فيكفرهم، وأن لا يغلق بابهم دونهم، فيأكل قلوبهم ضعيفهم" (البيهقي في السنن عن أبي أمامة، تصحيح السيوطي صحيح).

و في اجتناب مخالطة الشياطين والخوض في الباطل، يقول تعالى "وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ" {116} (النحل). و يقول تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" {87} و كلُّوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون" {88} (المائدة). و يقول تعالى "وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ" {60} (يونس). و يقول تعالى "وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ" {5} (سبا). و يقول تعالى "مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ" {4} (غافر).

و يقول تعالى "إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِيَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" {56} (غافر). و يقول تعالى "إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" {19} (النور). و يقول تعالى "وَدَرُّوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَبْجُزُونَ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ" {180} (الأعراف). و يقول تعالى "وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ" {3} (المؤمنون). و يقول تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا" {70} {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا" {71} (الأحزاب). و عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم هو حرام وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسى شيئاً" ثم تلا "وما كان ربك نسياً" (رواه البزار والطبراني في الكبير وإسناده حسن ورجاله موثقون). عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "لا تتركبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل" (أخرجه الإمام أوب عبد الله بن بطة وفي سنده (أحمد بن محمد بن مسلم) وثقه الحافظ البغدادي وباقي رجاله مشهورون على شرط الصحيح).

و عن عفة النفس و صيانتها و الدعوة إلى تكاثر المسلمين عبر الزواج. يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "شراركم عزابكم. ركعتان من متأهل خير من سبعين ركعة من غير متأهل" (ابن عدي في الكامل عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي حسن) و يقول عليه السلام "أربع حق على الله تعالى عونهم الغازي، والمتزوج، والمكاتب، والحاج" (أحمد في مسنده عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي حسن). ثم يوصي نبينا صلى الله عليه و سلم الْمُحَصَّنِينَ المحظوظين فيقول "و أدب أهلك وولدك بما ينفعه عند الله تعالى و يقربهم إلى الله عز و جل" و معلوم أن الفطرة تتغير بالتربية و التعليم، و إسناد ذلك راجع إلى الأبوين و البيئته و عليه تكتسي التربية أهمية قصوى فهي تنمي عناصر الإسلام و الإيمان و الإحسان و فضائل التقوى لدى الناشئين. فكيف تكون هذه التربية؟ أولاً ليعلم رب الأسرة أن "كل نفقة ينفقها المسلم يؤجر فيها على نفسه، وعلى عياله، وعلى صديقه، وعلى بهيمه؛ إلا في بناء، إلا بناء مسجد يبتغى به وجه الله" (البيهقي في شعب الإيمان عن إبراهيم مرسل) فلا ييخل و لا يشح و ليعلم حديث رسول الله عليه السلام "ليس أحد من أمتي يعول ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فيحسن إليهن إلا كن له سترا من النار" (البيهقي في شعب الإيمان عن عائشة، تصحيح السيوطي حسن) فلا يحزن إذا ما قدر عليه إنجاب البنات، و لينتبه إلى مراحل تربيتهم.

و يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "بروا آبائكم تبركم أبناؤكم، و عفوا تعف نساؤكم" (الطبراني في الأوسط عن ابن عمر). و اقرأ قول الله تعالى "وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا" {54} وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا {55} وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا" {56} وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا" {57} أُولَئِكَ الَّذِينَ

أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا" {58} (مريم). يمثل الآباء محط أنظار أبنائهم، فلا يفتأ هؤلاء من تقليد أفعالهم و ترديد أقوالهم، فلزام إذن على من أراد تربية سليمة لذريته أن يقنن أقواله و أفعاله بقانون الإسلام و ألا يخرج، على الأقل أمام أبنائه، عن هذا الإطار. يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "تطوع الرجل في بيته يزيد على تطوعه عند الناس، كفضل صلاة الرجل في جماعة على صلاته وحده" (ابن أبي شيبه عن رجل، تصحيح السيوطي صحيح) فهذا من شأنه تحبيبهم للصلاة و تمهيدهم عليها . و يقول صلى الله عليه و سلم " اتقوا الله واعدلوا في أولادكم" (ثبت في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير) و هذا من شأنه تلقينهم العدل و ترسيخه في أذهانهم. و من سنته صلى الله عليه و سلم أنه كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك، فمن داوم على هذا لئن أبنائه أهمية افتقاء أثر نبينهم في جميع أمرهم، و عمّ هذا حياتهم فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "التمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر شهيد" (الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة).

و عن الدعاء للأهل بالخير يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذي تحت العرش، فتعلموهما وعلموهما نساءكم و أبناءكم؛ فإنهما صلاة و قرآن و دعاء" (أخرجه الحاكم و صححه و البيهقي في الشعب عن أبي زر) و قال عليه السلام "إن الله تعالى كتب كتابا قبل أن يخلق السموات و الأرض بألفي عام، هو عند العرش، و إنه أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، و لا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان" (الترمذي و النسائي و الحاكم في المستدرک عن النعمان بن بشير، تصحيح السيوطي حسن). و قال عليه السلام "إذا استيقظ الرجل من الليل و أيقظ أهله و صليا ركعتين، كتبا من الذكركين الله كثيرا و الذكرات" (أبو داود و النسائي و ابن ماجه و ابن حبان في صحيحه و الحاكم في المستدرک عن أبي هريرة و أبي سعيد معا، تصحيح السيوطي صحيح).

و قال عليه السلام "إن الله تعالى أمرني أن أعلمكم مما علمني، و أن أؤدبكم. إذا قمتم على أبواب حجركم فانذكروا اسم الله يرجع الخبيث عن منازلكم، و إذا وضع بين يدي أحدكم طعام فليسم الله حتى لا يشارككم الخبيث في أرزاقكم، و من اغتسل بالليل فليحاذر عن عورته، فإن لم يفعل فأصابه لم فلا يلومن إلا نفسه، و من بال في مغتسله فأصابه الوسواس فلا يلومن إلا نفسه، و إذا رفعت المائدة فاكنسوا ما تحتها فإن الشياطين يلتقطون ما تحتها فلا تجعلوا لهم نصيبا في طعامكم" (الحكيم عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي حسن). هذا و قد أشار صلى الله عليه و سلم إلى أدق تفاصيل التربية، و حسن معاملة الوالدين. فقتن ضرب الأبناء و أوصى بالإخافة، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "اجتنبوا الوجوه لا تضربوها" (ابن عدي في الكامل عن أبي سعيد) و عن بر الوالدين يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "احفظ ود أبيك، لا تقطعه فيطفئ الله نورك" (البخاري في الأدب و الطبراني في الأوسط و البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر، تصحيح السيوطي حسن) و يقول عليه السلام "الجنة تحت أقدام الأمهات" (القضاعي الخطيب في الجامع عن أنس، تصحيح السيوطي حسن).

و يقول عليه السلام "أفضل الأعمال الصلاة لوقتها، و بر الوالدين" (صحيح مسلم عن ابن مسعود) يقول عليه السلام "بر الوالدين يجزئ عن الجهاد" (ابن أبي شيبه عن الحسن مرسل، تصحيح السيوطي حسن) و يقول تعالى "وَصَيِّبْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ اأَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ" {15} أولئك الذين نفعيل عنهم أحسن ما عملوا و نتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون" {16} (الأحقاف). و يقول تعالى

"وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا إِلَهُهُ أَفَّ لَكُمْ أَتَعْبَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتْ الثُّرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَنْغِيثَانِ اللَّهَ وَيَلِكُ آمِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ {17} أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالنَّاسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ" {18} (الأحقاف).

وكثيرا ما يقرن الله سبحانه بين عبادته والإحسان إلى الوالدين، كقوله {أن اشكر لي ولوالديك}، وكقوله {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا} وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم "خمس من العبادة النظر إلى المصحف، والنظر إلى الكعبة، والنظر إلى الوالدين، والنظر في زمزم وهي تحط الخطايا، والنظر في وجه العالم" (الدارقطني في السنن والنسائي، تصحيح السيوطي صحيح).

و تجدر الإشارة إلى أن إجابة الأبوين أولى من صلاة التطوع، ذلك أن الاستمرار فيها نافلة و إجابتهم و برهم واجبين، و الشاهد على ذلك قصة جرير، و هي من قصص السنة المشهورة (أنظر الملحق المتحدّث عن قصته) و من تمام برهم أن تستأذنهم قبل سفرك، و أن تصل أهل ودهم بعد وفاتهم و أن تحج عنهما. يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "إن أبر البر أن يصل الرجل أهل و دأبيه، بعد أن يولي الأب" (أخرجه البخاري في الأدب و مسلم و أبو داود و الترمذي و ابن حبان و البيهقي، عن ابن عمر رضي الله عنهما).

ولقد ربط رسول الله صلى الله عليه و سلم الإحسان إلى الجار بالإيمان في العديد من الأحاديث، فقال صلى الله عليه و سلم "اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، و أحسن إلى جارك تكن مؤمنا، و أحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما، و لا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب" (أحمد في مسنده و الترمذي و البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة) و يقول عليه السلام "ليس المؤمن الذي لا يأمن جاره بوائقه" (الطبراني في الكبير عن طلق بن علي، تصحيح السيوطي حسن) و يقول عليه السلام "ليس المؤمن بالذي يشبع و جاره جائع إلى جنبه" (البخاري في الأدب و الطبراني في الكبير و الحاكم في المستدرک و البيهقي في السنن عن ابن عباس، تصحيح السيوطي صحيح) و يقول عليه السلام "حق الجار إن مرض عدته، و إن مات شيعته، و إن استقرضك أقرضته، و إن أعوز سترته، و إن أصابه خير هنأته، و إن أصابته مصيبة عزبته، و لا ترفع بناءك فوق بناءه فتسد عليه الرياح، و لا تؤذيه بريح قدرك إلا أن تعرف له منها" (الطبراني في الكبير و الحاكم في المستدرک عن معاوية بن حيدة).

و عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبه في جداره ثم يقول أبو هريرة ما لي أراكم معرضين والله لأرمن بها بين أكتافكم (متفق عليه). و قد استدل بهذا الحديث على أن الجدار إذا كان لشخص ما و كان له جار فأراد أن يضع جذعه عليه جاز سواء أذن المالك أم لا، فإن امتنع أجبر. و بهذا قال بعض أهل الحديث و الفقه، إلا أنه كان خلاف في المسألة، فقد اشترط الشافعي رحمه الله إذن المالك فإن امتنع لم يجبر و هو قول الحنفية، و استدل المهلب من المالكية بقول أبي هريرة " ما لي أراكم عنها معرضين " بأن العمل كان في ذلك العصر على خلاف ما ذهب إليه أبو هريرة، قال لأنه لو كان على الوجوب لما جهل الصحابة تأويله و لا أعرضوا عن أبي هريرة حين حدثهم به، فلولا أن الحكم قد تقرر عندهم بخلافه لما جاز عليهم جهل هذه الفريضة فدل على أنهم حملوا الأمر في ذلك على الاستحباب.

و قال صلى الله عليه و سلم محذرا من إيذاء الجار " من ظلم من الأرض شيئا طوقه من سبع أرضين" (صحيح البخاري). قال الخطابي قوله " طوقه " له وجهان أحدهما أن معناه أنه يكلف نقل ما ظلم منها في القيامة إلى المحشر ويكون كالطوق في عنقه، لا أنه طوق حقيقة.

الثاني معناه أنه يعاقب بالخسف إلى سبع أرضين أي فتكون كل أرض في تلك الحالة طوقا في عنقه انتهى. وهذا يؤيده حديث ابن عمر " خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين " (صحيح البخاري) أي فمعناه أن من انتقص من أرض أخيه المسلم إلى أرضه ما ليس له يخسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين، و العياذ بالله. و قال صلى الله عليه و سلم أيضا "لأن يزني الرجل بعشرة نسوة خير له من أن يزني بامرأة جاره، ولأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر له من أن يسرق من بيت جاره" (أحمد في مسنده والبخاري في الأدب والطبراني في الكبير عن المقداد بن الأسود، تصحيح السيوطي حسن).

وعن حق الزوج على زوجته وحقها عليه: يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "أعظم الناس حقا على المرأة زوجها، وأعظم الناس حقا على الرجل أمه" (الحاكم في المستدرک عن عائشة، تصحيح السيوطي صحيح). و يقول صلى الله عليه و سلم "لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق" (أبو داود والحاكم في المستدرک عن قيس بن سعد، تصحيح السيوطي صحيح). ويقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "حق الزوج على زوجته أن لا تمنعه نفسها، وإن كانت على ظهر قتب؛ وأن لا تصوم يوما واحدا إلا بإذنه إلا الفريضة، فإن فعلت أثمت ولم يتقبل منها؛ وأن لا تعطي من بيته شيئا إلا بإذنه، فإن فعلت كان له الأجر وكان عليها الوزر؛ وأن لا تخرج من بيته إلا بإذنه، فإن فعلت لعنها الله وملائكة الغضب حتى تتوب أو تراجع، وإن كان ظالما" (الطيالسي عن ابن عمر). "على ظهر قتب" ومعناه لا تمنعه من وطئها ولو حال ولادتها و قد ذكر على سبيل المبالغة. والقصد الحث على طاعة الزوج حتى في هذه الحالة، فكيف بغيرها، "تتوب" المراد ترجع إلى البيت. "وإن كان ظالما" في منعه لها من الخروج، فلو ظلمها حقا من حقوقها، ولم يمكن التوصل إليه إلا بالحكم، فلها الخروج بغير إذنه. واقتضاه صلى الله عليه و سلم على ذكر ما ذكر من الحقوق يبرز لنا أنه لا يجب عليها ما اعتيد من نحو طبخ وإصلاح بيت وغسل ثوب ونحوها، وهو مذهب الشافعي، وعليه فينزل ما يقتضي وجوب ذلك على النذب. يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل" (أحمد في مسنده وابن ماجه والحاكم في المستدرک عن عائشة، تصحيح السيوطي صحيح).

و يقول صلى الله عليه و سلم "أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها كانت في سخط الله تعالى حتى ترجع إلى بيتها، أو يرضى عنها زوجها" (الخطيب في التاريخ عن أنس، تصحيح السيوطي حسن). و يقول صلى الله عليه و سلم "أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس، فحرام عليها رائحة الجنة" (أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن جرير والحاكم وصححه والبيهقي عن ثوبان). "أيما امرأة صامت بغير إذن زوجها، فأرادها على شيء فامتعت عليه، كتب الله عليها ثلاثا من الكبائر" (الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي حسن). و يقول صلى الله عليه و سلم "لأن تصلي المرأة في بيتها خير لها من أن تصلي في حجرتها، ولأن تصلي في حجرتها خير من أن تصلي في الدار، ولأن تصلي في الدار خير لها من أن تصلي في المسجد" (البيهقي في السنن عن عائشة، تصحيح السيوطي حسن). و يقول صلى الله عليه و سلم "لعن الله المسوفات التي يدعوها زوجها إلى فراشه فتقول "سوف" حتى تغلبه عيناه" (الطبراني في الكبير عن ابن عمر، تصحيح السيوطي صحيح). و يقول صلى الله عليه و سلم "لعن الله المفصلة والمسوفة" (النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام ابن الأثير). المفصلة التي إذا طلبها زوجها للوطء قالت إني حائض وليست بحائض، ففُتِل الرجل عنها وتُفُتِر نشاطه، من الفُتولة وهي الفتور في الأمر، و المسوفة تقدم شرحها.

كيفية التعامل مع الزوجة: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود؛ فليتوضأ" (صحيح مسلم). ويقول صلى الله عليه وسلم "لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال "بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا"، فإنه إن قضي بينهما ولد من ذلك، لم يضره الشيطان أبداً" (متفق عليه، البخاري ومسلم). وذات يوم أتى عثمان بن مظعون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال يا رسول الله إني أستحي أن يرى أهلي عورتي، قال ولم! وقد جعلك الله لهم لباساً، وجعلهم لك لباساً، قال أكره ذلك، قال فإنهن يرينه مني، وأراه منهن، قال أنت يا رسول الله. قال أنا، قال، فمن بعدك إذا يا رسول الله! فلما أدبر عثمان قال عليه السلام إن ابن مظعون لحبي ستيير (نصب الراية للزيلعي). ويقول صلى الله عليه وسلم "إذا أتى أحدكم أهله فليستتر ولا يتجردان تجرد العيرين" (ابن أبي شيبه والطبراني في الكبير والبيهقي في السنن عن ابن مسعود ابن ماجه عن عتبة بن عبد النسائي عن عبد الله بن سرجس الطبراني في الكبير عن أبي أمامة، تصحيح السيوطي حسن).

و يقول صلى الله عليه وسلم "اياكم والتعري، فإن معكم من لا يفاركم إلا عند الغائط، وحين يفضي الرجل إلى أهله، فاستحيوهم وأكرمهم" (الترمذي عن ابن عمر، تصحيح السيوطي حسن). ويقول صلى الله عليه وسلم "إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً" (متفق عليه، البخاري ومسلم). ويقول صلى الله عليه وسلم "كان إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه وهي حائض، أمرها أن تتزر، ثم يباشرها" (صحيح البخاري). ويقول صلى الله عليه وسلم "كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا ثلاث: الرجل يكذب في الحرب فإن الحرب خدعة، والرجل يكذب المرأة فيرضيها، والرجل يكذب بين الرجلين ليصلح بينهما" (الطبراني في الكبير وابن السني في عمل يوم وليلة عن النواس، تصحيح السيوطي حسن). ويقول صلى الله عليه وسلم "إن الله تعالى يحب من عباده الغيور" (الطبراني في الأوسط عن علي، تصحيح السيوطي صحيح). وقد حكى البيهقي في الشعب أن أسماء بن خارجة الفزاري، لما أراد إهداء ابنته إلى زوجها، قال لها يا بنية، كوني لزوجك أمة يكن لك عبداً، ولا تدني منه (شدة الدنو) يملك (من الملل)، ولا تبعدني منه (شدة البعد) فتتقلي عليه، وكوني كما قلت لأمك:

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتني حين أغضب
فإني رأيت الحب في الصدر والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

أما بخصوص حق المرأة على زوجها، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "حق المرأة على الزوج أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه، ولا يقبح، ولا يهجر إلا في البيت" (الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرک و أبو داود، وابن ماجه في النكاح، والنسائي في عشرة النساء، كلهم عن معاوية بن حيدة).

وعن أجر الزوجة الصالحة و ما يكفيها كسبيل نجاه: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة" (الترمذي وابن ماجه والحاكم في المستدرک عن أم سلمة، تصحيح السيوطي حسن) ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها؛ دخلت الجنة" (البزار عن أنس أحمد في مسنده عن عبد الرحمن الزهري الطبراني في الكبير عن عبد الرحمن بن حسنة، تصحيح السيوطي صحيح). وهكذا يرينا صلى الله عليه وسلم صوراً و مناهج للتعامل السليم مع الزوجة، فأكد على الاستتار و عدم التجرد و التعري و أكد على استحباب إرضائها و إن اضطرت الزوج إلى الكذب، وعلى صيانة مشاعرها فأمر الزوج إذا ما طالت غيبته، بعدم طرد أهله ليلاً، و أكد على الغيرة عليها، إذ من شأنها إبراز حب الزوج لزوجته و علو شأنها في قلبه، و على الرفق بها إذا ما ولدت، و ذلك بأن يطعمها، كطفل مدلل، رطباً و تمراً، فإيا له من دين

حكيم، يراعي الإنسان في إنسانيته، فيحفظ الزوج في رجولته و الزوجة في أنوثتها، فالحمد لله رب العالمين.

التحذير من فتنه الأهل: قد تكون الفتنة بالمال بأن تشتغل به عن العبادة، و قد تكون بالجار بأن تتفاخر عليه أو تحسده، أما فتنة الأهل و الولد فهي أشد، و الله أعلم، ذلك أنها تقع بالشوق و الميل إليهم، و تقع بالميل إلى الولد دون البنات، و تقع بالميل إلى ولد دون إخوته فتكون أقرب إلى الجور من العدل، و تقع بالتقريب في حقوق الأهل، فعلى المؤمن الحذر منها و عدم الوقوع فيها. يقول تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ" {9} وأنفقوا من مآ رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين" {10} (المنافقون). و يقول تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" {14} إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ" {15} فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" {16} (التغابن).

صفات الزوجة الصالحة: لقد تحدث رسول الله صلى الله عليه و سلم في أكثر من حديث عن صفات الزوجة الصالحة "فهي الولود، الودود، العوود، المواتية، المواسية، المتقية الله التي إذا ظلمت قالت هذه يدي في يدك لا أدوق غمضا حتى ترضى، هي التي ليست بالشهيرة و لا بالnehيرة و لا بالهبدرة و لا بالفوت، بل هي من تسرك إذا نظرت إليها و من تطيعك إذا أمرتها و من تبرك إذا أنت أقسمت عليها و من تحفظك في نفسها و في مالك إذا أنت غبت عنها، و من لا تغفر العشير". أما الودود فهي الأنيسة اللطيفة الرضية المحبة و أما العوود فهي التي تعود على زوجها بالنفع و أما المواتية فهي من تحسن المطاوعة و الموافقة. لا أدوق غمضا أي لا أدوق نوماً، حتى ترضى أي عني، فمن اتصفت بهذه الأوصاف من النساء فهي خليفة بكونها من أهل الجنة. أما الشهيرة فالزرقاء البدينة وفي القاموس الشهير الضخم الرأس وامرأة شهيرة مسمنة، وفيها باقية قوة، وفي النهاية الشهيرة والشهيرة العجوز الكبيرة. وأما النهيرة فالطويلة المهزولة، زاد في القاموس، والمشرفة على الهلاك. وأما الهبرة فالعجوز المدبرة، أي إلى ورائها المعبر عنها بالمقطعة، ولم يذكر صاحب القاموس هذه المرأة ولا صاحب النهاية. وأما الهبدرة فالقصيرة الذميمة أي القبيحة، بأن تكون في غاية القصر لا سيما إذا كانت في نهاية من السمن فتكون كالمرعبة. وأما الفوت فذات الولد من غيرك فهي لا تزال تلتفت إليه وتشتغل به عن الزوج.

وتمام الحديث " تزوج تزدد عفة إلى عفتك، ولا تزوج خمسة لا شهيرة ولا لهبرة ولا نهيرة ولا هبدرة، ولا لفوتا. قال يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما أدري مما قلت شيئا. قال لستم عربا. أما الشهيرة، فالطويلة المهزولة، وأما النهيرة فالزرقاء البدينة وأما النهيرة فالقصيرة الذميمة، وأما الهبدرة فالعجوز المدبرة، وأما الفوت فهي ذات الولد من غيرك " (رواه الديلمي عن أبي هريرة). أما كفران العشير فهو جحود النعمة، بأن تقول الزوجة لزوجها مثلا ما رأيت منك خيرا قط.

الذكر و الدعاء: يقول تعالى "الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ" {28} (الرعد). و يقول تعالى "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَيِّنُ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا" {9} (الإسراء). و يقول تعالى "وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ لَا يَلْمِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَمَنْ يَلْمِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ عَابِدُونَ لِمَا ظَلَمُوا وَاللَّهُ يَخْتَارُ" {135} أُولَئِكَ جَزَاءُ هُم مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ" {136} (آل عمران). و يقول تعالى "وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ

مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا" {28} (الكهف). و يقول تعالى "وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا {100} الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا" {101} (الكهف). و يقول تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّكِرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا {41} وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا {42} هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا {43} (الأحزاب). و يقول تعالى "وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ" {170} (الأعراف). و يقول تعالى "الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ {91} فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {92} عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ {93} فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَن الْمُشْرِكِينَ" {94} (الحجر).

و يقول تعالى " وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ {97} فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ {98} وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ" {99} (الحجر). و يقول تعالى "وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا" {76} (مريم). و يقول تعالى "فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ" {38} {س} (فصلت). و يقول تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَوَدَّى لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {9} فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {10} وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ" {11} (الجمعة). و يقول تعالى "إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُعَدُّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عِلْمَ أَنْ لَنْ نُحْصِيَهُ فَنَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ" {20} (الزمر). و يقول تعالى " و لا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم".

و يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله" (أخرجه أحمد والحاكم عن أبي أمامة الباهلي). و قال الإمام ابن رجب الحنبلي "الدنيا كلها شهر صيام المتقين، يصومون فيه عن الشهوات المحرمات، فإذا جاءهم الموت فقد انقضى شهر صيامهم و استهلوا عيد فطرهم". لذا فكل فعل من شأنه أن يلهي عن ذكر الله، يعد بلا شك من المهلكات، و كل فعل يذكرنا بالخالق عز و جل يعد من أهم المنجيات، فكيف بك إذا ما حمدت الله تعالى على نعمه و أثبتت عليه بما هو أهله و مجدته سبحانه و تعالى، إنه ذكر الله، قال تعالى "ولذكر الله أكبر". و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "ألا أنبئكم بخير أعمالكم و أزكاها عند مليككم و أرفعها في درجاتكم و خير لكم من إنفاق الذهب و الورق و خير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم و يضربوا أعناقكم. قالوا بلى. قال ذكر الله". (الترمذي وابن ماجة والحاكم في المستدرک عن أبي الدرداء، تصحيح السيوطي صحيح). و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "علامة حب الله تعالى حب ذكر الله، وعلامة بغض الله بغض ذكر الله عز و جل" (البيهقي في شعب الإيمان عن أنس، تصحيح السيوطي حسن). و عن ابن عباس رضي الله عنهما "قيل يا رسول الله أي جلسائنا خير. قال من ذكركم الله رؤيته، و زاد في علمكم منطقته، و ذكركم في الآخرة عمله". (رواه أبو يعلى وفيه مبارك بن حسان وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح). و في حديث ابن عمر رضي الله عنهما رفعه "يقول الله تعالى من شغلته ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين" (أخرجه البخاري في التاريخ و البزار في المسند و البيهقي في الشعب من حديث عمر بن الخطاب).

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يقول الله أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة" (أخرجه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة). و من حديث أبي هريرة و أبي سعيد مرفوعا "لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة، و غشيتهم الرحمة و نزلت عليهم السكينة و ذكرهم الله تعالى فيمن عنده " (صحيح مسلم). و من حديث سمرة رفعه "أحب الكلام إلى الله أربع سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت " (صحيح مسلم).

و في فضل ذكر الله عز و جل كذلك عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال "إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء، فإذا تفرقوا عرجوا إلى السماء، فيسألهم ربهم - وهو يعلم - من أين جئتم. فيقولون جئنا من عند عباد لك يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك. فيقول وهل رأوني. فيقولون لا، فيقول فكيف لو رأوني. فيقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدا، وأشد لك تسبيحا. فيقول فما يسألون. فيقولون يسألونك الجنة. فيقول وهل رأوها. فيقولون لا. فيقول فكيف لو رأوها. فيقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة. قال فممتعوا، فيقولون يتعوضون من النار. فيقول وهل رأوها. فيقولون لا. فيقول فكيف لو رأوها. فيقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة. فيقول أشهدكم أنني قد غفرت لهم. فيقول ملك من الملائكة فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة. قال هم القوم لا يشقى بهم جليسهم " (أخرجه البخاري ومسلم والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي هريرة).

يتبين جليا أن طريق الجنة هي طريق الذكر، فمن أخطأها، أخطأ طريق الله، و شرد عليه، قال القاضي أبو بكر بن العربي "ما من عمل صالح إلا و الذكر مشترط في تصحيحه، فمن لم يذكر الله في قلبه عند صدقته أو صيامه مثلا فليس عمله كاملا، فصار الذكر أفضل الأعمال من هذه الحيثية". فبالذكر يصرع العبد الشيطان كما يصرع الشيطان أهل الغفلة و النسيان. قال ابن القيم رحمه الله " في ذكر الله تعالى أكثر من مائة فائدة: يرضي الرحمن و يطرد الشيطان و يزيل الهم و يجلب السرور و يقوي القلب و البدن و ينور القلب و الوجه و يجلب الرزق و يكسب المهابة و الحلاوة و يورث محبة الله و هي روح الإسلام و يورث المعرفة و الإنابة و القرب و حياة القلب و ذكر الله للعبد و قوت القلب و روحه و يجلو الصدأ في القلب و يحط الخطايا و يرفع الدرجات و يحدث الأنس و يزيل الوحشة... " (بتصرف). و الذكر يحيي القلوب فمن تجربة السالكين إلى طريق الله أن من أدمن على ذكر "يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت" أورثه ذلك حياة القلب و العقل.

و الذكر يقع تارة باللسان و يؤجر عليه الناطق، و لا يشترط استحضاره لمعناه و لكن يشترط أن لا يقصد به غير معناه، و إن إنضاف إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل، فإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر و ما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى و نفي النقائص عنه ازداد كمالا، فإن وقع ذلك في عمل صالح مهما فرض من صلاة أو جهاد أو غيرها ازداد كمالا، فإن صح التوجه و أخلص لله تعالى في ذلك فهو أبلغ الكمال.

و ذكر القرطبي في "المفهم" إنما يحصل الثواب الجسيم لمن قام بحق هذه الكلمات فاستحضر معانيها بقلبه و تأملها بفهمه، ثم لما كان الذاكرون في إدراكاتهم و فهمهم مختلفين كان ثوابهم بحسب ذلك، و على هذا ينزل اختلاف مقادير الثواب في الأحاديث، فإن في بعضها ثوابا معينا و نجد ذلك الذكر بعينه في رواية أخرى أكثر أو أقل كما اتفق في حديث أبي هريرة و

أبي أيوب. و نقل عن بعض العارفين قال "الذكر على سبعة أنحاء: فذكر العينين بالبكاء، و ذكر الأذنين بالإصغاء و ذكر اللسان بالثناء، و ذكر اليدين بالعتاء، و ذكر البدن بالوفاء، و ذكر القلب بالخوف و الرجاء، و ذكر الروح بالتسليم و الرضاء". و مما يزيد الذكر كمالاته فهي توجب محبة الله تعالى. يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "ليتكلف أحدكم من العمل ما يطيق فإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا، وقاربوا وسددوا" (أبو نعيم في الحلية عن عائشة، تصحيح السيوطي حسن). و لأهمية ذكر الله، خصصنا ملحقا ضامنا عددا من أعظم الأذكار و أروع الأسرار من الكتاب و السنة و مما اختص به بعض الصالحين.

و عن الدعاء: يقول تعالى "الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَفِنَا عَذَابَ النَّارِ {16} الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ" {17} (آل عمران). و يقول تعالى "وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" {147} فَاتَاهُمُ اللَّهُ تَوَابًا دُنْيَا وَحَسَنَ تَوَابٍ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" {148} (آل عمران). و يقول تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" {35} (المائدة). و يقول تعالى "أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا" {57} (الإسراء). و يقول تعالى "وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا" {65} إِنَّهَا سَاعَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا" {66} (الفرقان). و يقول تعالى "إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ" {15} {س} تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ" {16} فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" {17} (السجدة). و يقول تعالى "وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ" {60} (غافر).

ويقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "الدعاء هو العبادة. قال ربكم ادعوني أستجب لكم" (رواه أبو داود عن النعمان بن بشير)، فسمى الدعاء عبادة، ومنه قوله تعالى كما تقدم "إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين" [غافر: 60] أي دعائي، قال الطيبي الدعاء هو إظهار غاية التذلل و الإفتقار إلى الله و الاستكانة له، و ما شرعت العبادات إلا للخضوع للباري و إظهار الإفتقار إليه، و لهذا ختم الآية بقوله تعالى "إن الذين يستكبرون عن عبادتي" حيث عبر عن عدم التذلل و الخضوع بالاستكبار، و وضع عبادتي موضع دعائي و جعل جزاء ذلك الاستكبار الصغار و الهوان. ومنه قوله صلى الله عليه و سلم "الدعاء مخ العبادة" (أخرجه الترمذي من حديث أنس). فالدعاء عبادة و هو مخ العبادة، ذلك أن المرء بالدعاء يتوجه إلى خالقه تعالى و يتضرع له و يخضع لمشيئته سبحانه. و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل" (أخرجه الترمذي من حديث ابن مسعود).

و قال عليه الصلاة و السلام "إنه من لم يسأل الله تعالى يغضب عليه" (الترمذي عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي حسن). قال الطيبي من لم يسأل الله يغضبه و الميغوض مغضوب عليه و الله يحب أن يسأل. و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "يبتزل ربنا تبارك و تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرنى فأغفر له" (صحيح البخاري). قال ابن بطال فمن أثر القيام لمناجاة ربه و التضرع إليه، أي في وقت الاستغراق في النوم و الاستلذاذ به، دل على خلوص نيته و صحة رغبته فيما عند ربه، فلذلك نبه الله عباده على الدعاء في هذا الوقت الذي تخلو فيه النفس من خواطر الدنيا و علقها، ليستشعر العبد الجد و الإخلاص لربه. أما المراد ببتزل ربنا تبارك و تعالى فنزول الرحمة. و الإجابة مشترطة بالإخلاص، وهو قوله تعالى "فادعوه مخلصين له

الدين" فينبغي للداعي أن يكون داعياً بلسانه راضياً بقلبه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يستجاب لأحدكم ما لم يقل دعوت فلم يستجب لي" (أخرجه مالك). و قال صلى الله عليه وسلم "إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً" (أخرجه أبو داود و الترمذي من حديث سلمان). و قال صلى الله عليه وسلم "ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر" (العقيلي في الضعفاء والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي حسن).

و قال صلى الله عليه وسلم "ثلاث دعوات يستجاب لهن لا شك فيهن دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده" (ابن ماجة عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي حسن). و في حديث سعد بن أبي وقاص رفعه "دعوة ذي النون إذ دعا و هو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله تعالى له" (أخرجه الترمذي و النسائي و الحاكم) و في لفظ للحاكم "فقال رجل أكانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تسمع إلى قول الله تعالى "و كذلك ننجي المؤمنين". فالإجابة تسرع لمن لم يكن متلبساً بالمعصية، فإذا قدم التوبة و الاستغفار قبل الدعاء كان أمكن لإجابته، هذا و "لقد بارك الله لرجل في حاجة أكثر الدعاء فيها، أعطيها أو منعها" (البيهقي في شعب الإيمان والخطيب في التاريخ عن جابر) و قال صلى الله عليه وسلم "ما على الأرض مسلم يدعو بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها" (أخرجه الترمذي و الحاكم من حديث عبادة بن الصامت).

أما بخصوص من لا يستجاب له، و العياذ بالله، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "ثلاثة لا يجيبهم ربك عز وجل: رجل نزل بيتاً خرباً، ورجل نزل على طريق السبيل، ورجل أرسل دابته، ثم جعل يدعو الله أن يحسبها" (أخرجه الطبراني في الكبير عن عبد الرحمن بن عائذ الثمالي، تصحيح السيوطي حسن). فهؤلاء الثلاثة لا يجيب الله دعاءهم، أما الرجل الذي نزل بيتاً خرباً، فلأنه عرض نفسه للهلاك وخالف قول الله تعالى {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة}، و أما الرجل الذي نزل على طريق السبيل أي بالنهار، يتخطاه المارة وربما تعثر به فرس فأهلكه وكذا بالليل فإن لله تعالى دواب يبثها فيه كما هو معروف، ورجل أرسل دابته أي أطلقها عبثاً، ثم جعل يدعو الله أن يحسبها عليه فلا يجيب الله دعوتهم لمخالفتهم ما أمروا به من التحفظ إذ الأول عرض نفسه لانهدام البيت عليه أو للسرقة بنزوله بغير ما هو محفوف بالعمارة والثاني عرض نفسه للمار على الطريق والثالث لم يعمل بخير "أعقلها وتوكل" (من فيض القدير بتصرف).

و إذا كان الداعي ظالماً على من دعا عليه فلا يستجاب دعاؤه، و يؤيده قوله تعالى "و ما دعاء الكافرين إلا في ضلال". و قال الخطابي ما ملخصه إن الداعي إذا دعا بشيء ظلماً فإن الله لا يستجيب له و لا يجد دعاؤه محلاً في المدعو عليه. و له شاهد من حديث جابر قال "سلم ناس على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليكم. قال و عليكم. قالت عائشة و غضبت ألم تسمع ما قالوا. قال بلى قد رددت عليهم فتجاب عليهم و لا يجابون فينا". (فتح الباري، شرح صحيح البخاري). و الدعاء محجوب عن الله، حتى يصل على محمد وأهل بيته، و قد أخرج الترمذي عن عمر رضي الله عنه موقوفاً "الدعاء موقوف بين السماء و الأرض لا يصعد منه شيء حتى يصل على النبي صلى الله عليه وسلم"، و من حديث فضالة بن عبيد قال "سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو في صلاته لم يحمده الله و لم يصل على النبي فقال عجل هذا، ثم دعاه فقال إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه و الثناء عليه ثم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بما شاء". (الفتح)، و من علامات استجابة الدعاء، العطس، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن من أسرق السراق من يسرق لسان الأمير، وإن من أعظم الخطايا من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق، وإن من الحسنات عيادة المريض، وإن من تمام عيادته أن تضع يدك عليه وتسأله كيف

هو، وإن من أفضل الشفاعات أن تشفع بين اثنين في نكاح حتى تجمع بينهما، وإن من لبسة الأنبياء القميص قبل السراويل، وإن مما يستجاب به عند الدعاء العطاس" (الطبراني في الكبير عن أبي رهم السمعي، تصحيح السيوطي حسن). "يسرق لسان الأمير" أي يغلب عليه حتى لا يصير ينطق إلا بما أراه. ليس القميص قبل السراويل" لأن القميص يستر البدن كله قبل لبس السراويل. "وإن مما يستجاب به عند الدعاء العطاس" أي مقارنة العطاس للدعاء، يستدل به على استجابة ذلك الدعاء، كما سبقت الإشارة لذلك.

هذا وقد كان رسول الله صلى الله عليه يحب الجوامع من الدعاء، فكان يعجبه ما جمع خير الدنيا والآخرة نحو "ربنا آتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة" الآية أو ما جمع الأغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة أو ما جمع الثناء على الله وآداب المسألة، ويترك صلى الله عليه وسلم ما سوى ذلك من الأدعية، فعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك. (سنن أبي داود، قال الإمام النووي "بإسناد جيد"). و عن أبي الهياج الأسدي قال كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلاً يقول اللهم قني شح نفسي، لا يزيد على ذلك، ثم قال حين سألته "إني إذا وقيت شح نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أفعل"، وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه (رواه ابن جرير). وفي ملحقات الكتاب ملحق خاص بأدعية رسول الله صلى الله عليه وسلم و صحابته و بعض الصالحين.

مظاهر الحال الحسن و مظاهر الحال السيء: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "تجد المؤمن مجتهداً فيما يطيق، متلهفاً على ما لا يطيق" (أحمد في مسنده في الزهد عن عبيد بن عمير مرسل، تصحيح السيوطي حسن). فإذا كان حالك أنك كلما مررت بمجال من المجالات المذكورة و بسبيل من سبل النجاة الموصوفة اشتدت رغبتك بتحقيقها لوجه الله تعالى، فأنجزت ما تطيق و كنت ذا لهفة على فعل ما لا تطيق، فاعلم أنك من المؤمنين حقاً. و اعلم أن المؤمن كالنخلة، فكما أن النخلة ثابتة، ذات جذور راسخة، مقاومة للرياح، عندما ترمى بالأحجار تلقي بالثمار، تمد أغصانها لتمنح الظلال، فكذلك المؤمن ثابت في أمر دينه، لا تحركه الأهواء و الشهوات، يعفو إذا ما أؤذي، بل و يمد من يؤذيه بالمنح و الصدقات، و يحيي مجتمعه و محيطه بالعمل و الصالحات. و عندما تكون الشجرة صغيرة لا تقوى على مقاومة الرياح تحاط بسياج أو تربط بعضاً ثابتة تسندها و تساعد على استقامتها، كذلك المؤمن لا يغفل عن تربية أبنائه، فيعلمهم و يلقنهم ما ينفعهم عند الله تعالى و ما يقربهم إليه عز و جل، و يبحث لهم عن صحبة صالحة.

و اعلم أن غني النفس كلما زيد في علمه زيد في تواضعه و رحمته، و كلما زيد في عمله زيد في خوفه من الله و حذره، و كلما زيد في عمره نقص من حرصه، و كلما زيد في ماله زيد في سخائه و بذله، و كلما زيد في قدره و جاهه زيد في قربه من الناس و قضاء حوائجهم و التواضع لهم، و هذا هو طريق السعادة و الفلاح.

أما أهل السخافة و العجب فيحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا، وهم خلفاء إبليس و أعداء الحقائق. قال الحسن البصري في عمر رضي الله عنه هكذا المؤمن جمع إحساناً و شفقة، و المنافق جمع إساءة و عزة. و الله ما وجدت إنساناً ازداد إحساناً إلا و جدته ازداد مخافة و شفقة، و لا ازداد إساءة إلا ازداد عزة. و من مظاهر حسن الحال كذلك نذكر ما قاله مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا رأيت كلما طلبت شيئاً من أمر الآخرة وابتغيته يسر لك، وإذا أردت شيئاً من أمر الدنيا وابتغيته عسر عليك، فاعلم أنك على حال حسنة، وإذا رأيت كلما طلبت شيئاً من أمر الآخرة وابتغيته عسر عليك، وإذا طلبت من أمر الدنيا وابتغيته يسر لك، فأنت على حال قبيحة" (ابن المبارك في الزهد عن سعيد بن أبي سعيد مرسل البيهقي في شعب الإيمان عن عمر

بن الخطاب). و قال صلى الله عليه و سلم "خير أمتي الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، والذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا. وشرار أمتي الذين ولدوا في النعيم وغذوا به، وإنما نهمهم ألوان الطعام والثياب ويتشققون في الكلام" (أبو نعيم في الحلية عن عروة بن مريم مرسل، تصحيح السيوطي حسن). "المتشققين" أي المتوسعين في الكلام من غير احتياط وتحرز، أو الذين يلوون أشداقهم به.

و قال صلى الله عليه و سلم "خير شبابكم من تشبه بكهولكم، وشر كهولكم من تشبه بشبابكم" (أبو يعلى في مسنده والطبراني في الكبير عن وائلة البيهقي في شعب الإيمان عن أنس وعن ابن عباس ابن عدي في الكامل عن ابن مسعود، تصحيح السيوطي حسن). فهذه كلها من مظاهر حسن الحال، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المؤمنين المجتهدين فيما يطيقون، المتلهفين على ما لا يطيقون، و ألا يجعلنا من أهل السخافة و العجب، بل من أغنياء النفس، الذين يجمعون بين الإحسان و الشفقة، و الذين يشهدون ألا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و الذين إذا أحسنوا يستبشرون و الذين إذا أساءوا يستغفرون، آمين و الحمد لله رب العالمين.

الإحسان و معرفة الله تعالى: يقول تعالى "وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا {107} يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا" {108} (النساء). يستحيل على المؤمن الإتيان بالمجالات الأربعة مع الاتصاف بحسن الحال إذا ما لم يراقب الله تعالى في جميع أفعاله، فمن الرقيب عليه إذا ما صلى ليلا و الناس نيام. و من الرقيب عليه إذا ما صام وحيدا في بلاد الغربة. و من الرقيب عليه إذا ما أخرج زكاة ماله، طيبة بها نفسه. إنه الله وحده لا شريك له الذي يعلم خائنة الأنفس و ما تخفي الصدور. لذا فالاتباع الصحيح لسبل النجاة يفترض إحساس المرء بأنه واقف أمام الله مراقب من طرفه سبحانه و تعالى، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه، و هذا هو الإحسان. يوصينا رسول الله صلى الله عليه و سلم فيقول "اعبد الله و لا تشرك به شيئا، واعمل لله كأنك تراه، واعد نفسك في الموتى، واذكر الله تعالى عند كل حجر و كل شجر، و إذا عملت سيئة فاعمل بجانبها حسنة، السر بالسر، و العلانية بالعلانية" (الطبراني في الكبير و البيهقي في شعب الإيمان عن معاذ بي جبل، تصحيح السيوطي حسن).

ويقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "اعبد الله كأنك تراه، و عد نفسك في الموتى، و اياك دعوات المظلوم فإنهن مجابات، و عليك بصلاة الغداة و صلاة العشاء فاشهدهما، فلو تعلمون ما فيهما لأتيتوهما ولو حبوأ" (الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء، تصحيح السيوطي حسن). و مما روي عنه صلى الله عليه و سلم أنه " كان يكثر القناع" (الترمذي في الشمائل البيهقي في شعب الإيمان عن أنس، تصحيح السيوطي حسن). أي اتخاذ القناع و المراد هنا تغطية الرأس و أكثر الوجه برداء أو بغيره لنحو برد أو حر، قال الإمام المناوي رحمه الله و سبب إكثاره له أنه كان قد علاه من الحياء من ربه ما لم يحصل لبشر قبله و لا بعده و ما ازداد عبد بالله علماً إلا ازداد حياء من الله فحياء كل عبد على قدر علمه بربه فالحجاء ذلك إلى ستر منبع الحياء و محله وهو العين و الوجه و هما من الرأس، و الحياء من عمل الروح و سلطان الروح في الرأس ثم هو ينشر في جميع البدن فأهل اليقين قد أبصروا بقلوبهم أن الله يراهم فصارت جميع الأمور لهم معاينة فهم يعبدون ربهم كأنهم يرونه و كلما شاهدوا عظمتة و منته ازدادوا حياء فأطرقوا رؤوسهم و جلا و قنعوها خجلاً. انتهى كلام الإمام المناوي رحمه الله.

و للإحسان مقامات، و مقاماته المراقبة وهي حضور القلب مع الله فلا يتصرف المرء تصرفا غير مناسب مع حضور الله سبحانه و تعالى، و مقام المشاهدة و مقام المعرفة، و ثمرة مقامات الإحسان هي معرفة الله عز و جل، فإذا عرف الإنسان ربه، كان أبعد الناس من الحرام و

مما قد يعرضه لسخط ربه، و على معرفة الله تكونت المدرسة الصوفية كمنهج رباني صادق يأخذ من الكتاب و السنة، فالأصل تصوف سني. و التصوف من هذا المنظور أوله خشية الله، ثانيه معاملة الله، وآخره معرفة الله و الاستغراق في حضرته، مما يتمتع الإنسان بحياة روحية موزونة بالكتاب و السنة، و هذا ما تهدف إليها طرق الصوفية. فمعرفة الله هي مطلب الرجال، بها تعلق الهمم حتى يكشف الحجاب، و بها يعرف الرجل نفسه و يقتدي بنبية صلى الله عليه و سلم الذي قال " أنا أعلمكم بالله " (صحيح البخاري)، و أعظم وسيلة لذلك الذكر و الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم.

و للصوفية في ذلك ذوق يهتدون به، فكل واحد منهم يسعى إلى معرفة الله بالذوق، و أسرار الربوبية لا تقشى و إنما يكتشفها المجاهد لنفسه بنفسه. و من الخطأ ما يعمد إليه بعض الجهال من التقريب بين الصوفية و السلفية، فالتصوف سلفي و قد وجد التصوف اسمه في عهد الحسن البصري و الإمام ابن تيمية لم يسبب الصوفية، و إنما رفض ما طرأ عليه من تحريف، و نحن في اختيارنا لطرق و سبل نجاتنا نقر بما وافق الكتاب و السنة فنأخذ به. و كيف لا وشوقنا إلى الترقى إلى أعلى درجات القرب من خالقنا تبارك و تعالى كبير، و اختيارنا للطريق الممكن من هذا صعب، فيكون أخذنا من تجارب المتعبدين الصالحين واتباعنا نهجهم من الفرج و من رحمة الله بنا، فالمؤمن كيس فطن، و ينتقي من السبل أنجعها.

استنتاج: يتبين لنا أنه مما يميز هذا الدين وضوحه وإشراقه و مكاشفته، فكل أحكامه و تشريعاته واضحة، ليس فيها ألغاز و لا طلاسم: عبادات، أمرنا بها و بين لنا أهميتها، فالصلاة تنهانا عن الفحشاء و المنكر و الزكاة تطهرنا، يقول تعالى " خذ من أموالهم صدقة تطهرهم و تزيهم بها" (التوبة 103) و الصيام يقوي تقوانا، يقول تعالى " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون " (البقرة 183) و الحج يمدنا بالخير العميم، يقول تعالى " وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا و على كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم " (الحج 27- 28). و توضيح الأمور في الدين يعم كل الأوامر و النواهي و ذلك حتى يزداد الإنسان اقتناعا، فالأمر بالعدل مثلا واضح إذ بالعدل قامت السماوات و الأرض، يقول تعالى " اعدلوا هو أقرب للتقوى" (المائدة 8)، و كما كان العدل أساسا لقيام السماوات و الأرض فكذلك الأمم تقوم بالعدل، قال أحد الحكماء لا ملك إلا بالرجال و لا رجال إلا بالمال و لا مال إلا بالتعمير و لا تعمير إلا بالعدل فالعدل أساس الملك. و للوضوح في ديننا شواهد أخر... و من مميزات هذا الدين أيضا أنه يصون كرامة المسلم و عزته حيا و ميتا. فيقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر" (متفق عليه، البخاري و مسلم). و من مميزات هذا الدين أنه يصون مال المسلم و يحضه على إظهار نعمة الله عليه و شكر الله عليها حق شكرها. فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول "من قتل دون ماله فهو شهيد" (متفق عليه، البخاري و مسلم). أما الأكل و اقفا أو ماشيا في السوق فيجول دون حسن الاتصاف بالعبودية، بل يمنع الإنسان من التوجه إلى شكر الله على نعمة الطعام أثناء تناوله؛ ففيه مشابهة، ولو في الظاهر فقط، لصورة الاستخفاف بتلك النعمة، و عدم القيام بحق شكرها بالالتفات إلى المولى بأدنى ما يمكن من المحاولة، و أقلها الجلوس. و قد اعتبر كثير من العلماء الأكل في السوق رادا للشهادة إن صدر ممن لا يليق به.

و من مميزات هذا الدين أنه يرتقي بالمسلم إلى أجل المستويات، فهو يأمر بالتسلح بسلاح القوة الرشيدة التي تقف إلى جانب الحق حتى ينتصر و في وجه الباطل حتى يندثر، لأن القوة هي الحياة و الضعف هو الموت، يقول تعالى "إن ربك هو القوي العزيز" و القوة من صفات الملائكة و هي صفة من صفات جبريل عليه السلام. و هو يأمر بالتسلح بسلاح العلم الذي يبني و لا يهدم، يجمع و لا يفرق، يقول تعالى "إنما يخشى الله من عباده العلماء" لقد قصر الله سبحانه و تعالى

خشيته و الخوف منه على العلماء، و أمر نبيه صلى الله عليه و سلم بطلب العلم و بالدعاء بذلك، يقول تعالى "و قل ربي زدني علماً"، و في ملحقات الكتاب ملحق يهتم بالحديث عن العلم و أهميته و كذا بجرد أنواع العلوم، و بإعطاء فكرة حولها.

و من مميزات هذا الدين أنه يمكن من معرفة الله و كيفية التعامل مع النفس و الذنوب و الارتقاء إلى درجات الزهد و الورع: قال سفيان الثوري كان يقال "العلماء ثلاثة، عالم بالله و عالم بأمر الله، و عالم بالله ليس بعالم بأمر الله، و عالم بأمر الله ليس بعالم بالله، فالعالم بالله و بأمر الله الذي يخشى الله تعالى و يعلم الحدود و الفرائض، و العالم بالله ليس بعالم بأمر الله الذي يخشى الله و لا يعلم الحدود و الفرائض، و العالم بأمر الله ليس بعالم بالله الذي يعلم الحدود و الفرائض و لا يخشى الله عزَّ و جلَّ". انتهى كلام الثوري.

فإذا كانت غايتك أيها المؤمن أن تكون حجة، عالماً بالله و بأمره و بآياته، مهتماً بالخشية لله سبحانه، و الورع في الدين و الزهد في الدنيا و الإيثار لله عز و جل، لا أن تكون مجرد عالم بأمره لكن فاقداً خشيته برؤية نفسك و حجبك عن الورع و الزهد و الرغبة و الحرص، فيكون بعدك من بركات علمك هو محبة العلو و الشرف، فعليك أولاً أن تُدكّر نفسك بمهلكات الذنوب و بكبائرها، فتعلم نواهيها تعالى، فضلاً على معرفتك السابقة بأوامره، و ذلك من خلال اطلاعك على سبل النجاة، ثم أن تعلم طريقة التعامل مع الذنب، و ذلك باجتنابه أولاً اتقاء و خشية ثم بتكفيره إذا ما صدر منك، فقد ينفكك الله بذنبك، فلا تقنط من رحمة الله و استر نفسك و حاسبها في الدنيا قبل الآخرة، فهذا من شأنه أن يرتقي بها إلى درجات الزهد و الورع و البحث عن مرضات الله تعالى، كما عليك بالتعرف على بعض أنظمة الله تعالى في الكون، فهذا من شأنه توضيح أصل بعض المعاني كاللجوء إليه سبحانه و تعالى و الخشوع و الاستغراق في حضرة الله الواحد القهار.

ما يهلك المرء من الذنوب: قال ابن حجر الإختلاف في ثبوت الصغائر مشهور، و أكثر من تمسك به من قال ليس في الذنوب صغيرة كونه نظر إلى عظمة المخالفة لأمر الله و نهيه، فالمخالفة بالنسبة إلى جلال الله كيفما كانت فهي كبيرة، لكن بالنسبة لما فوقها تبقى صغيرة، و من الذنوب ما يكفر بالطاعات و منها ما لا يكفر و لهذا قال الغزالي إنكار الفرق بين الكبيرة و الصغيرة لا يليق بالفقيه (انتهى كلام الحافظ ملخصاً). يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم ناهياً عن عدد من المهلكات "قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون" (الطيالسي و الضياء عن أسامة، تصحيح السيوطي صحيح). و يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "دع قيل و قال و كثرة السؤال" (الطبراني في الأوسط عن ابن مسعود، تصحيح السيوطي صحيح). و يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "ياكم و الظن و الظن فإن الظن أكذب الحديث، و لا تجسسوا، و لا تحسسوا و لا تتافسوا و لا تحاسدوا و لا تباغضوا و لا تدابروا، و كونوا عباد الله إخواناً" (أخرجه البخاري و الإمام مالك). التجسس غالباً يطلق في الشر و منه الجاسوس، و أما التجسس فيكون غالباً في الخير، كما قال عزَّ و جلَّ إخباراً عن يعقوب {يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف و أخيه و لا تيأسوا من روح الله}. و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "ثلاثة لا يريحون رائحة الجنة: رجل ادعى إلى غير أبيه، و رجل كذب على نبيه، و رجل كذب على عينيه" (رواه البزار).

اجتناب البخل و الشح: يقول تعالى "الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا" {37} (النساء). و يقول تعالى "وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ" {23} الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ" {24} (الحديد). و عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "ثلاث مهلكات و ثلاث منجيات و ثلاث كفارات و ثلاث درجات، فأما المهلكات فشح مطاع و هوى متبع و إعجاب المرء بنفسه، و أما المنجيات فالعدل في الغضب و الرضا و القصد في الفقر و الغنى و خشية الله في السر و

العلائية، أما الكفارات فانتظار الصلاة بعد الصلاة وإسباغ الوضوء في السبرات (جمع سبرة وهي الغداة الباردة) ونقل الأقدام إلى الجماعات، وأما الدرجات فإطعام الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام" (رواه الطبراني في الأوسط). واختلف في البخل والشح؛ هل هما بمعنى واحد أو بمعنيين. فقيل البخل الامتناع من إخراج ما حصل عندك. والشح الحرص على تحصيل ما ليس عندك. وقيل إن الشح هو البخل مع حرص. وهو الصحيح لما رواه مسلم عن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم). وهذا يرد قول من قال إن البخل منع الواجب، والشح منع المستحب. إذ لو كان الشح منع المستحب لما دخل تحت هذا الوعيد العظيم والذم الشديد الذي فيه هلاك الدنيا والآخرة. ويؤيد هذا المعنى ما رواه النسائي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم (لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري رجل مسلم أبدا ولا يجتمع شح وإيمان في قلب رجل مسلم أبدا). وهذا يدل على أن الشح أشد في الذم من البخل؛ وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكون المؤمن بخيلا. قال (لا).

اجتناب الطمع: عن عطاء قال "سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا، و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، و يتوب الله على من تاب". (الفتح). قال عمر رضي الله عنه اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا، اللهم إني أسألك أن أنفقه في حقه (الفتح). و عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض. قيل و ما بركات الأرض. قال زهرة الدنيا.

اجتناب التكبر: يقول تعالى "وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ" {52} (الأنعام). و يقول تعالى "إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسَبِّحُونَهُ وَكُلُّهُمْ يَسْجُدُونَ" {206} (الأعراف). و يقول تعالى "ص وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ" {1} بل الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ" {2} (ص). و يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا استلقى أحدكم على قفاه فلا يضع إحدى رجليه على الأخرى" (الترمذي عن البراء، تصحيح السيوطي صحيح). و يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "من لبس الحرير في الدنيا حُرِّمه أن يلبسه في الآخرة" (رواه أحمد والطبراني في الكبير). و يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس" (أخرجه مسلم) يعني رد الحق وانتقاص الناس والإزدراء بهم والتعاطم عليهم. وعن عقبه بن عامر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "ما من رجل يموت حين يموت وفي قلبه مثقال حبة خردل من كبر تحل له الجنة أن يريح ريحها ولا يراها"، فقال رجل من قريش يقال له أبو ريحانة يا رسول الله إني لأحب الجمال وأشتهيه حتى أني لأحبه في علاقة سوطي وفي شراك نعلي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ليس ذاك الكبر إن الله عز وجل جميل يحب الجمال ولكن الكبر من سفه الحق وغمص الناس (أي احتقرهم ولم يرههم شيئا) بعينيه" (رواه أحمد).

وعن السائب بن يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر"، قالوا يا رسول الله هلكننا، وكيف لنا أن نعلم ما في قلوبنا من ذات الكبر. وأين هو. فقال النبي صلى الله عليه وسلم "من لبس الصوف أو حلب الشاة أو أكل مع ما ملكت يمينه فليس في قلبه إن شاء الله الكبر" (رواه الطبراني في الكبير). وعن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله عز وجل يقول العز إزاري والكبرياء ردائي فمن ينازعي عذبتة" (رواه مسلم). قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم

القيامة، فقال أبو بكر إن أحد شقي ثوبي يسترخي، إلا أن أتعاهد ذلك منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لست تصنع ذلك خيلاء" (الفتح). قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً وجبت له النار" قال الطبري بأن هذا الخبر إنما فيه نهى من يقيم له عن السرور بذلك، لا نهى من يقيم له إكراماً له، انتهى كلامه، وعليه يكون قيام المرؤوس للرئيس الفاضل والإمام العادل والمتعلم للعالم غير منهي عنه بل مستحب، وقد قال الغزالي القيام على سبيل الإعظام مكروه وعلى سبيل الإكرام لا يكره، وقد أشار ابن قتيبة أن المراد من الحديث من أراد أن يقوم الرجال على رأسه كما يقيم بين يدي ملوك العجم، وليس المراد به نهى الرجل عن القيام لأخيه إذا سلم عليه. أما المنقول عن إمامنا مالك في المسألة فهو إنكار القيام ما دام الذي يقيم لأجله لم يجلس ولو كان في شغل نفسه، فإنه سئل عن المرأة تبالغ في إكرام زوجها فتتلقاه وتزج ثيابه وتقف حتى يجلس فقال أما التلقي فلا بأس به، وأما القيام حتى يجلس فلا فإن هذا فعل الجبابة. أما فيما يخص تقبيل اليد فقد قيل أبو لبابة وكعب بن مالك وصاحبا يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تاب الله عليهم، وقيل أبو عبيدة يد عمر حين قدم، قال الأبهري وإنما كرهها مالك إذا كانت على وجه التكبر والتعظم، وأما إذا كانت على وجه القربة إلى الله لدينه أو لعلمه أو لشرفه فإن ذلك جائز.

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه" (الفتح). وكان ابن عمر إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه، وكذا أخرجه مسلم. ومن طريق سعيد بن أبي الحسن "جاءنا أبو بكره فقام له رجل من مجلسه فأبى أن يجلس فيه وقال إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا". قال النووي قال أصحابنا هذا في حق من جلس في موضع من المسجد أو غيره لصلاة مثلاً ثم فارقه ليعود إليه كإرادة الوضوء مثلاً أو لشغل يسير ثم يعود لا يبطل اختصاصه به، وله أن يقيم من خالفه وقعد فيه، وعلى القاعد أن يطيعه. و اختلف هل يجب عليه على وجهين أحدهما الوجوب، وقيل يستحب وهو مذهب مالك. وقال عياض اختلف العلماء فيمن اعتاد بموضع من المسجد للتدريس والفتوى، فحكي عن مالك أنه أحق به إذا عُرفَ به، قال والذي عليه الجمهور أن هذا استحسان وليس بحق واجب.

اجتناب كبائر الذنوب و العياد بالله: يقول تعالى "إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ" {25} (محمد). و يقول تعالى "الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ" {275} (البقرة). و يقول تعالى "إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَسَّرْنَاهُمْ بَعْدَابِ أَلِيمٍ" {21} أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين " {22} (آل عمران). و يقول تعالى "إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" {77} (آل عمران). و يقول تعالى "إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا" {10} (النساء). و يقول تعالى "قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ" {140} (الأنعام).

وعن أبي سعيد الخدري قال إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات. (أخرجه البخاري من حديث أنس وأحمد، والبخاري من حديث أبي سعيد). وعن عبيد الله بن عمير الليثي عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع "إن أولياء الله المصلون، ومن يقيم الصلوات الخمس التي كتبهن الله عليه ويصوم رمضان ويحتسب صومه ويؤتي الزكاة محتسباً طيبة بها نفسه ويجتنب الكبائر التي نهى الله عنها". فقال رجل من أصحابه يا رسول الله وكم الكبائر. قال هي تسع، أعظمهن

الإشراك بالله وقتل المؤمن بغير حق والفرار من الزحف وقذف المحصنة والسحر وأكل مال اليتيم وأكل الربا وعقوق الوالدين المسلمين واستحلال البيت العتيق الحرام قبلتكم أحياء أمواتاً، لا يموت رجل لم يعمل هؤلاء الكبائر وقيم الصلاة ويؤتي الزكاة إلا رافق محمداً صلى الله عليه وسلم في بحبوحة جنة أبوابها مصاريع الذهب" (مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي). عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "قال إبليس لربه تعالى يا رب قد أهبط آدم، وقد علمت أنه سيكون كتاب ورسول، فما كتابهم ورسولهم. قال رسلهم الملائكة والنبيون، وكتبهم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان. قال فما كتابي. قال كتابك الوشم، وقراءتك الشعر، ورسلك الكهنة، وطعامك ما لم يذكر اسم الله عليه، وشرابك كل مسكر، وصدقك الكذب، وبيتك الحمام، ومصائدك النساء، ومؤذنتك المزمارة، ومسجدك الأسواق". (أخرجه أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس). وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكبائر فقال "الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس" (صحيح البخاري). وقال أكبر الكبائر الإشراك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وشهادة الزور (صحيح البخاري). وقال تعالى "و لا تكتموا الشهادة و من يكتمها فإنه آثم قلبه و الله بما تعملون عليم"، أي أن كتمان الشهادة معطوف على شهادة الزور.

و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الكبائر سبع، الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والرجوع إلى الأعرابية بعد الهجرة" (الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد، صحيح السيوطي صحيح). وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فإن الله يغفر له ما سوى ذلك لمن يشاء: من مات لا يشرك بالله شيئاً، ولم يكن ساحراً يتبع السحرة، ولم يحقد على أخيه" (رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه ليث بن أبي سليم). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من لقي الله عز وجل لا يشرك به شيئاً وأدى زكاة ماله طيباً بها نفسه محتسباً وسمع وأطاع فله الجنة - أو أدخل الجنة، وخمس ليس له كفارة: الشرك بالله، وقتل النفس بغير حق، وبهت المؤمن، والفرار من الزحف، ويمين فاجرة يفتطع بها مالاً بغير حق" (رواه أحمد وفيه بقية وهو مدلس وقد عنعنه). وعن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "أرأيتم الزاني والسارق وشارب الخمر ما تقولون فيهم" قالوا الله ورسوله أعلم، قال "هن فواحش وفيهن عقوبة، ألا أنبئكم بأكبر الكبائر! الإشراك بالله، ثم قرأ {ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً} وعقوق الوالدين ثم قرأ {أن أشكر لي ولوالديك إلي المصير} وكان متكناً فاحتقر فقال ألا وقول الزور" (رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات إلا أن الحسن مدلس وعنعنه).

عن عثمان أنه أشرف عليهم يوم الدار، فقال أنشدكم بالله، أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: زنى بعد إحصان، وارتداد بعد إسلام، وقتل نفس بغير حق. قالوا اللهم نعم، قال فعلام تقتلونني، الحديث. قال الترمذي حديث حسن. عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كفوا عن أهل لا إله إلا الله، لا تكفروهم بذنوب، فمن كفر أهل لا إله إلا الله فهو إلى الكفر أقرب" (رواه الطبراني في الكبير وفيه الضحاك بن حمزة عن علي بن زيد وقد اختلف في الاحتجاج بهما). "لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم" (الترمذي والنسائي عن ابن عمرو، صحيح السيوطي صحيح). "قسمت النار سبعين جزءاً فلأمر تسع وستون، وللقاتل جزء حسيبه". (قسمت النار سبعين جزءاً فلأمر) أي بالقتل (تسع وستون) جزء منها (وللقاتل جزء حسيبه) أي يكفيه هذا المقدار من العقاب ثم يحتمل أن هذا زجر وتهويل وتهديد للأمر ويحتمل أنه فيما لو أكره الأمر المأمور بغير حق. قال عليه السلام "الزنا يورث الفقر" (القضاعي البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر، صحيح السيوطي حسن). قال عليه السلام "رفع عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه" (الطبراني في الكبير عن ثوبان، صحيح السيوطي صحيح). أي (رفع) إثمهم، لا حكمه، إذ حكمه

من الضمان (أو إزالة الضرر) لا يرتفع كما هو مقرر في الفروع. "وما استكرهوا عليه" أي في غير الزنا والقتل، إذ لا يباحان بالإكراه، فالحديث منزل على ما سواهما.

قال عليه السلام "أشهد بالله وأشهد الله لقد قال لي جبريل "يا محمد، إن مدمن الخمر كعابد وثن" (الشيرازي في الألقاب، و أبو نعيم في مسلسلاته وقال صحيح ثابت عن علي، تصحيح السيوطي صحيح). و يقول عليه السلام "درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية" (أحمد في مسنده والطبراني في الكبير عن عبد الله بن حنظلة، تصحيح السيوطي صحيح). و يقول عليه السلام "أكل الربا وموكله وكاتبه وشاهدها إذا لمسوا ذلك، والواشمة، والموشومة للحسن و لاوي الصدقة والمرتد أعرابيا بعد الهجرة ملعونون على لسان محمد يوم القيامة" (النسائي عن ابن مسعود، تصحيح السيوطي صحيح).

نصائح لاجتناب ارتكاب الذنوب: يقول تعالى "وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ" {37} (الشورى). و يقول سبحانه "وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى {31} الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَعْفَرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَنْتَقَى" {32} (النجم). وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال "ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبوابٌ مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال ويحك لا تفتح، فإنك إن تفتحه تلجئه، فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم" (أخرج أحمد والترمذي وحسنه والنسائي وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن النواس بن سمعان).

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم موضعاً سبيل اجتناب المهلكات "اتق الله في عسرك ويسرك" (أبو قرّة الزبيدي في سننه عن طليب بن عرفة). و يقول الله تعالى "وَدَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ" {120} (الأنعام). وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ياكم والمعاصي، إن العبد ليذنب الذنوب فيحرم به رزقاً قد كان هيء له" ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم {فظاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم} (أخرجه ابن أبي حاتم). قد حرموا خير جنتهم بذنوبهم. وروى الإمام أحمد، عن ثوبان قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن العبد ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه، ولا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر". و اعلم بأن الله يغار لك فغر على جوارحك و استحي منه سبحانه. "فليغر" أي فليغر المسلم على جوارحه أن يستعملها في المعاصي.

خشية الله تعالى: يقول عز وجل "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ {48} الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ {49} (الأنبياء). و يقول سبحانه "الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا" {39} (الأحزاب). و يقول سبحانه "إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَّعْفَرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ" {12} (الملك). و يقول سبحانه "إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ" {18} (فاطر). و يقول صلى الله عليه وسلم "ليخشين أحدكم أن يؤخذ عند أدنى ذنوبه في نفسه" (أبو نعيم في الحلية عن محمد بن النضر الحارثي مرسل). فإن محقرات الذنوب قد تكون مهلكة وصاحبها لا يشعر قال الغزالي صغائر المعاصي تجر بعضها إلى بعض حتى

تُفَوَّتْ أصل السعادة بهدم أصل الإيمان عند الخاتمة. و يقول صلى الله عليه و سلم "أقسم الخوف والرجاء أن لا يجتمعا في أحد في الدنيا فيريح ريح النار، ولا يفترقا في أحد في الدنيا فيريح ريح الجنة" (الطبراني في الكبير عن واثلة، تصحيح السيوطي حسن). قال المحاسبي خوف المتقربين خوف إجلال و إعظام (الفتح).

التعامل مع الذنب إذا أذنبت: إن أول مرحلة لتعاملك مع الذنب هي أن تتعرف عليه و تحس بثقله على كاهلك، يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس" (صحيح مسلم). "البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب وإن أفتاك المفتون" (أحمد في مسنده عن أبي ثعلبة، تصحيح السيوطي حسن). عن أبي موسى رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "من عمل حسنة فسرَّ بها وعمل سيئة فسأته فهو مؤمن" (رواه أحمد والبخاري والطبراني في الكبير). عن أبي أمامة أيضاً قال قال رجل ما الإثم يا رسول الله. قال "ما حك في صدرك فدعه" (أخرجه الحافظ الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد، و قال عن الحديث ورجاله رجال الصحيح إلا أن فيه يحيى بن أبي كثير وهو مدلس وإن كان من رجال الصحيح). ويقول ابن تيمية "إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك و انشراحاً، فاتهمه، فإن الرب شكور، يعني أنه لا بد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه، و قوة انشراح و قرّة عين، فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول". و اعلم "إن الله تعالى لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم" (الطبراني في الكبير عن أم سلمة، تصحيح السيوطي صحيح).

ويقول تعالى "وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" {23} (العنكبوت). ويقول تعالى "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" {53} وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ {54} وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ {55} أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ" {56} (الزمر). و عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً أصاب من امرأة قبله، فأتى النبي صلى الله عليه و سلم فأخبره فأنزل الله تعالى: "و أقم الصلاة طرفي النهار و زلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات" فقال الرجل: ألي هذا؟ قال: "الجميع أمي كلهم" (متفق عليه) قال ابن عطاء الله رب معصية أورت ذلاً وافتقاراً، خير من طاعة أورت عزا و استكباراً. و يقول عليه السلام "لو أن العباد لم يذنبوا لخلق الله خلقاً يذنبون ثم يغفر لهم، وهو الغفور الرحيم" (الحاكم في المستدرک عن ابن عمرو، تصحيح السيوطي صحيح). و يقول عليه السلام "ليس أحد أحب إليه المدح من الله، ولا أحد أكثر معاذير من الله" (الطبراني في الكبير عن الأسود بن سريع، تصحيح السيوطي صحيح). فهو لا يسرع بإيقاع العقوبة من غير إعدار منه و من غير قبول للعذر ممن اعتذر إليه. وفيه دلالة على كرم الله و قبوله عذر عباده، فقد بسط عذرهم و دلهم على موضع التملق له و عرفهم أنه يقبل عثراتهم و يعفو عن زلاتهم و يتجاوز عن سقطاتهم.

القصاص كفارة للكبائر: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "الرجم كفارة لما صنعت" (النسائي و الضياء عن الشريد بن السويد، تصحيح السيوطي صحيح). سببه أنه أمر برجم امرأة فرجمت، فجيء إليه فقتل قد رجما هذه الخبيثة. فذكره ليبين بذلك أن الحدود كفارة لأهلها، فإذا أقيم الحد على إنسان في الدنيا سقط عنه الذنب، ولا يعاقب عليه في الآخرة بالنسبة لحق الله تعالى (أما حق العباد فلا يسقط إلا باسترضائهم في الدنيا أو في الآخرة).

ستر الذنب: يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من الجهار أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله تعالى فيقول "عملت البارحة كذا وكذا". وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه" (متفق عليه، البخاري ومسلم).

درء السيئة بالحسنة: يقول تعالى "وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ" {22} (الرعد).

محاسبة المرء نفسه عن الذنوب: عن عمر رضي الله عنه "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا" (أخرجه ابن المبارك). إن الحياة الدنيا لا تعدو أن تكون متاع الغرور، و هي خضرة حلوة يجب أن نأخذ منها بحقها، و يجب ألا نكون من زمرة المسرفين، فالمؤمن يحاسب نفسه على ما اكتسب في هذه الدنيا الخضرة الحلوة، فهو مُطالِبٌ بأخذ المال بحقه و بوضعه موضعه. عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض). قيل وما بركات الأرض. قال (زهرة الدنيا). فقال له رجل هل يأتي الخير بالشر. فصمت النبي صلى الله عليه وسلم حتى ظننت أنه ينزل عليه، ثم جعل يمسح عن جبينه، فقال (أين السائل). قال أنا. قال أبو سعيد لقد حمدناه حين طلع لذلك. قال (لا يأتي الخير إلا بالخير، إن هذا المال خضرة حلوة، وإن كل ما أنبت الربيع يقتل حبطاً أو يُلْمُ، إلا آكلة الخضر، أكلت حتى إذا امتدَّت خاصرتها، استقبلت الشمس، فاجترَّت وتلطت وبالت، ثم عادت فأكلت. وإن هذا المال حلوة، من أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعمة المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع" (متفق عليه، البخاري ومسلم).

محاسبة المرء نفسه على ما قال و فعل: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عزَّ وجلَّ له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه" (رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه) فكان علقمة يقول كم من كلام قد منعه حديث بلال بن الحارث، وقال الأحنف بن قيس صاحب اليمين يكتب الخير وهو أمين على صاحب الشمال، فإن أصاب العبد خطيئة قال له أمسك، فإن استغفر الله تعالى نهاه أن يكتبها وإن لم يستغفره كتبها، فعلياً إذن أن نمسك لساننا و أن نجاهد أنفسنا لمحاسبتها على كل كلمة تصدر منا. و قد قال الحسن البصري متحدثاً عن النفس اللوامة إن المؤمن والله ما نراه إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلمتي، ما أردت بأكلمتي، ما أردت بحديث نفسي، وإن الفاجر يمضي قدماً قدماً ما يعاتب نفسه.

محاسبة المرء نفسه على عمره فيما أفناه: يوضح الإمام الغزالي رحمه الله طريقة محاسبة النفس على تضييع الأوقات و الغفلة عن الطاعات فيقول "إذا أصبح العبد، و فرغ من فريضة الصبح، ينبغي له أن يفرغ قلبه ساعة لمشاركة النفس فيقول للنفس مالي بضاعة إلا العمر، و متى فني فقد فني رأس المال، و هذا اليوم الجديد قد أمهلني الله فيه، و لو توفاني لكنت أتمنى أن يرجعني إلى الدنيا يوماً واحداً حتى أعمل فيه صالحاً، فاحسبي أنك قد توفيت ثم رددت، فإياك ثم إياك أن تضيعي هذا اليوم، فإن كل نفس من الأنفاس جوهرة".

محاسبة المرء نفسه على علمه فيما أنفق: عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال "إنما أخاف أن يقال لي يوم القيامة أعلمت أو جهلت. فأقول علمت، فلا تبقى آية من كتاب الله عز و جل أمرة أو زاجرة إلا جاءتني تسألني فريضتها، فتسألني الأمرة هل ائتمرت، و الزاجرة هل ازدرجت فأعوذ بالله من علم لا ينفع" (جامع بيان العلم و فضله، للإمام ابن عبد البر). فإيا له من إيمان و يا له من إخلاص! و كم نأمل طبعا، و كأى مسلم محب ذا نفس تواقفة، أن نصل و لو إلى جزء بسيط مما

وصل إليه الصحابة الأجلاء الكرام من معرفة الله تعالى. فالمؤمن الحق يرى ذنوبه كالجبل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه". (صحيح البخاري، مقتطف من حديث عبد الله بن مسعود). قال ابن أبي جمرة السبب في ذلك أن قلب المؤمن منور، فإذا رأى من نفسه ما يخالف ما ينور به قلبه عظم الأمر عليه، وهذا شأن المسلم أنه دائم الخوف والمراقبة، يستصغر عمله الصالح ويخشى من صغير عمله السيء. "وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه" (صحيح البخاري، مقتطف من حديث عبد الله بن مسعود). ويستفاد من الحديث أن قلة خوف المؤمن ذنوبه وخفته عليه يدل على فجوره، وفي الحديث إرشاد إلى الحوض على محاسبة النفس، واعتبار العلامات الدالة على بقاء نعمة الإيمان، وفيه أن الفجور أمر قلبي كالإيمان، وفيه دليل لأهل السنة لأنهم لا يُكفَرُونَ بالذنوب، ورد على الخوارج وغيرهم ممن يكفر بالذنوب.

ترك المعصية و الندم عليها و حسن الظن بالله: من الواجب على المؤمن لتوفيق الله له أن يتوب من معصيته و ذلك بتركها و الندم عليها. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي وحسنه و صححه ورواه النسائي وابن ماجة عن أبي هريرة "إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستعنت بقلبه، وإن زاد زادت حتى تعلق قلبه، فذلك الران الذي قال الله تعالى {كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون}" فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله تعالى والطبع، فلا يكون للإيمان إليها مسلك، ولا للكفر عنها مخلص، فذلك هو الختم والطبع الذي ذكره الله في قوله {ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم}. ومعنى استعنت في الحديث رجع عن الإساءة، وطلب الرضا، ولذا كان الشرط الأول لتوفيق الله سبحانه وتعالى هو ترك المعصية.

ويقول صلى الله عليه وسلم "كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون" (أحمد في مسنده و الترمذي وابن ماجة والحاكم في المستدرک عن أنس، تصحيح السيوطي صحيح). ويقول صلى الله عليه وسلم "كل شيء يتكلم به ابن آدم فإنه مكتوب عليه فإذا أخطأ الخطيئة ثم أحب أن يتوب إلى الله عز وجل فليأت بقعة مرتفعة فليمدد يديه إلى الله فيقول اللهم إني أتوب إليك منها لا أرجع إليها أبداً؛ فإنه يغفر له ما لم يرجع في عمله ذلك" (الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرک عن أبي الدرداء، تصحيح السيوطي صحيح). ويقول صلى الله عليه وسلم "التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وإذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب" (القشيري في الرسالة وابن النجار عن أنس، تصحيح السيوطي حسن). و من تمام التوبة أن يكون محسن الظن بالله تعالى. و من أحسن ما قيل في هذا الموضوع:

تقول مع العصيان ربي غافر	صدقت و لكن غافر بالمشيئة
وربك رزاق كما هو غافر	فلم لم تصدق فيهما بالسوية
تسيء به ظنا و تحسن تارة	على حسب ما يقضي الهوى بالقضية

الارتقاء إلى درجات الزهد و الورع: يقول تعالى "وَدَّرَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتَهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرَ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدْلٍ لَأُؤْخَذَ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ" {70} (الأنعام). ويقول تعالى "مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ" {15} أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ" {16} (هود). ويقول تعالى "الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ" {3} (إبراهيم). ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عمر "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" (صحيح البخاري

عن ابن عمر) فالغريب يحن إلى وطنه، و يأمل أن يبلغ مقصده ليستريح من عناء السفر، و يكون دائم الاستعداد لذلك اليوم و دائم التطلع لما بعده من عوالم الآخرة رجاء أن يمن الله عليه ببلوغ الجنة و النجاة من النار. قال الرسول صلى الله عليه و سلم "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، و من كره لقاء الله كره الله لقاءه" (متفق عليه، البخاري ومسلم). و قال صلى الله عليه و سلم (لعائشة) "إن أردت اللحوق بي فليتكفك من الدنيا كزاد الراكب، وإياك ومجالسة الأغنياء، ولا تستخلفي ثوبا من الدنيا حتى ترفعيه". "لا تستخلفي" أي لا تعديه خلقا، قديما. إن أزهّد الناس من لم ينس القبر والبلاء، وترك أفضل زينة الدنيا، و أثر ما يبقى على ما يفنى، ولم يعد غدا من أيامه، وعد نفسه في الموتى، يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له" (أحمد في مسنده والبيهقي في شعب الإيمان عن عائشة البيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود موقوفا، تصحيح السيوطي صحيح). و يقول صلى الله عليه و سلم "إن الله تعالى ليحمني عبده المؤمن من الدنيا، وهو يحبه، كما تحمون مريضكم الطعام و الشراب تخافون عليه" (الجامع الصغير).

و عن الحارث بن مالك الأنصاري أنه مر بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال له "كيف أصبحت يا حارثة." قال أصبحت مؤمناً حقاً، قال "انظر ما تقول فإن لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانك." قال عزفت نفسي عن الدنيا (أي كرهتها) فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني أنظر عرش ربي بارزاً وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها (أي يضجون ويتصايحون) قال "يا حارثة عرفت فالزم" (رواه الطبراني في الكبير، قال الحافظ الهيثمي وفيه ابن لهيعة وفيه من يحتاج إلى الكشف عنه). وهذا يبرز مدى أهمية تخيل موقف يوم القيامة و كذا الجنة و النار، فيصبح الإنسان بالتالي زاهدا مما في أيدي الناس و زاهدا في الدنيا و هذا لا يعني التخلي عن الإنتاج و العمل و انتظار عطاء الناس. و قد سئل الإمام أحمد عن الرجل يكون معه ألف دينار و هل يكون زاهدا. قال نعم بشرط أن لا يفرح إذا زادت و لا يحزن إذا نقصت. ثم قال "فالزهد فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليدين منها". قال صلى الله عليه و سلم " ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة و لا الآخرة للدنيا ولكن خيركم من أخذ من هذه لهذه" (الجامع الصغير).

الورع: قال النبي صلى الله عليه و سلم " الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات [بميم أوله]- فقد استبرأ لعرضه ودينه، ومن وقع في المشبهات وقع في الحرام، كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه. ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله تعالى في أرضه محارمه. ألا وإن في الجسد مضغة إذ صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب" (متفق عليه، البخاري ومسلم). استبان أي ظهر تحريمه. أو شك أي قرب لأن متعاطي الشبهات قد يصادف الحرام و إن لم يتعمده أو يقع فيه لاعتياده التساهل. قال حسان بن أبي سنان ما رأيت شيئا أهون من الورع، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك. و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "خشية الله رأس كل حكمة، والورع سيد العمل" (القضاعي عن أنس). و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "ثلاث خلال من لم تكن فيه واحدة منهن كان الكلب خيرا منه وورع يحجزه عن محارم الله عز وجل، أو حلم يرد به جهل جاهل، أو حسن خلق يعيش به في الناس" (البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن مرسل). و الورع على ثلاثة أقسام: الواجب وهو اجتناب ما يستلزم ارتكاب المحارم و المندوب أي اجتناب معاملة من أكثر ماله حرام و المكروه أي اجتناب الرخص المشروعة على سبيل التنظع. و يمكن تقسيمه إلى ورع الصديقين وهو ترك ما لا يتناول بغير نية القوة على العبادة و ورع المتقين أي ترك ما لا شبهة فيه و لكن يخشى أن يجر إلى الحرام و ورع الصالحين أي ترك ما يتطرق إليه احتمال التحريم بشرط أن يكون لذلك الاحتمال موقع، فإن لم يكن فهو ورع الموسوسين. اما ورع الشهود فهو ترك ما يسقط الشهادة أي أعم من أن يكون ذلك المتروك حراما أم لا. وقد تورع أمير

المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن كثير من طبيبات المآكل والمشرب وتنزله عنها وقال إني أخاف أن أكون من الذين قال الله لهم {أذهبت طبيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها}، وقوله عز وجل {فالיום تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تقسقون}.

إعمال الجوارح فيما يرضي الله تعالى: يقول تعالى "وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا {27} يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا" {28} (النساء). و يقول تعالى "وَالَّذِينَ هُمْ يُفْرَجُهُمْ حَافِظُونَ {5} إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ {6} فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ" {7} (المؤمنون). ويقول تعالى {لقد خلقنا الإنسان في كبد} روي عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم يعني منتصباً، والكبد الاستواء والاستقامة، ومعنى هذا القول لقد خلقناه سوياً مستقيماً، عن مكحول قال؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم "يقول الله تعالى يا ابن آدم قد أنعمت عليك نعماً عظيماً، لا تحصي عددها ولا تطيق شكرها، وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما، وجعلت لهما غطاء، فانظر بعينيك إلى ما أحللت لك، وإن رأيت ما حرمت عليك، فأطبق عليهما غطاءهما، وجعلت لك لساناً وجعلت له غلافاً، فانطق بما أمرتك وأحللت لك فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك، وجعلت لك فرجاً، وجعلت لك ستراً، فأصب بفرجك ما أحللت لك، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك، يا ابن آدم إنك لا تحمل سخطي ولا تطيق انتقامي" (أخرجه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي الربيع الدمشقي).

فالحمد لله رب العالمين على نعمه الظاهرة و الباطنة، و على تسخيره لنا الجوارح، نتحكم بها كيف نشاء، فهل أعطيت أيها المتدبر كل جراحة حظها من العبادة؟ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " أعطوا العين حظها من العبادة، قيل ما حظها يا رسول الله قال النظر في المصحف." (الجامع الصغير)، و إذا كان هذا خاصاً بجراحة البصر، فجوارح الإنسان عديدة، نذكر منها البطن وإعمال البطن فيما يرضي الله يكون بالكف عن الشبهات، وأن لا يستكثر من الطعام حتى يمتلئ بطنه، و الوجه أكرم هذه الجوارح، وفيه بهاء الإنسان وتعظيمه فإذا خضع وجهه لشيء، فقد خضع له الذي هو دونه في الكرامة عليه من جوارح بدنه، لذا فالسجود لله الواحد القهار يعد من أعظم المنجيات، و الوجه يشمل البصر و اللسان و الأذنين، و إعمالها في مرضات الله تعالى يكون بحفظ اللسان عن الكذب، والغيبة، والنميمة، والفحش، والجفاء، والخصومة، وكف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه و غض البصر عن المحارم والمكروه، و عما يلهي عن ذكر الله، وكف بقية الجوارح عن المكروه...

أما عن غض البصر: قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما "أردف رسول الله صلى الله عليه وسلم الفضل بن عباس يوم النحر خلفه على عجز راحلته، و كان الفضل رجلاً وضيعاً فوقف النبي صلى الله عليه وسلم للناس يفتيهم، و أقبلت امرأة من خثعم وضيئة تستفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطفق الفضل ينظر إليها و أعجبه حسنهما، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم و الفضل ينظر إليها، فأخلف بيده فأخذ بذقن الفضل فعدل وجهه عن النظر إليها، فقالت يا رسول الله، إن فريضة الله في الحج على عباده أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يستوي على الرحلة، فهل يقضي عنه أن أحج عنه. قال نعم" (صحيح البخاري). قال ابن بطال في الحديث الأمر بغض البصر خشية الفتنة، و مقتضاه أنه إذا أمنت الفتنة لم يمتنع، قال و يؤيده أنه صلى الله عليه وسلم لم يحول وجه الفضل حتى أدمن النظر إليها لإعجابه بها فخشي الفتنة عليه، قال و فيه مغالبة طباع البشر لابن آدم و ضعفه عما ركب فيه من الميل إلى النساء و الإعجاب بهن. و فيه دليل على أن نساء المؤمنين ليس عليهن من الحجاب ما يلزم زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، إذ لو لزم ذلك جميع النساء لأمر النبي صلى الله عليه وسلم الخثعمية بالاستتار و لما صرف وجه

الفضل. قال: وفيه دليل على أن ستر المرأة وجهها ليس فرضاً لإجماعهم على أن للمرأة أن تبدي وجهها في الصلاة و لو رآه الغرباء. قال عياض خص أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بستر الوجه والكفين، و اختلف في نديه في حق غيرهن. وقال سعيد بن أبي الحسن للحسن إن نساء العجم يكشفن صدورهن و رؤوسهن. قال اصرف بصرك عنهن، يقول الله عز و جل " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم و يحفظوا فروجهم" قال قتادة عما لا يحل لهم (الفتح). و قال الزهري في النظر إلى التي لم تحض من النساء لا يصلح النظر إلى شيء منهن ممن يشتهي النظر إليه و إن كانت صغيرة. و كره عطاء النظر إلى الجواري التي يُعْنُ بمكة إلا أن يريد أن يشتري. و في صحيح مسلم "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن نظرة الفجأة فقال اصرف بصرك" و قال لعلي "لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى و ليست لك الثانية". و قد شرع الاستئذان من أجل البصر لأن المستأذن لو دخل بغير إذن لرأى بعض ما يكره. و عن عمر "من ملأ عينه من قاع بيت قبل أن يؤذن له فقد فسق" (صحيح البخاري).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "عورة الرجل على الرجل كعورة المرأة على الرجل، و عورة المرأة على المرأة كعورة المرأة على الرجل" (الحاكم في المستدرک عن علي، تصحيح السيوطي حسن). "غطوا حرمة عورتهم؛ فإن حرمة عورة الصغير كحرمة عورة الكبير، و لا ينظر الله إلى كاشف عورة" (الحاكم في المستدرک عن محمد بن عياض الزهري، تصحيح السيوطي صحيح). يقول الإمام ابن القيم رحمه الله قد جعل الله سبحانه العين مرآة القلب، فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته و إرادته، و إذا أطلق بصره أطلق شهوته" (روضة المحبين و نزهة المشتاقين). فمن غض بصره غض قلبه و من غض قلبه عن الشهوات حفظ دينه.

معرفة الله و أهمية العلم بالله: يقول تعالى "قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لَلْأَدْقَانِ سُجَّدًا {107} وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا {108} وَيَخِرُّونَ لَلْأَدْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا" {109} {س} (الإسراء). و يقول تعالى "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ" {28} (فاطر). و عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "طلب العلم فريضة على كل مسلم" (مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي). و عن أنس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم "إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر و البحر فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة" (أحمد في مسنده عن أنس، تصحيح السيوطي حسن). و عن ابن مسعود قال يا أيها الناس عليكم بالعلم قبل أن يُقبض و قبضه ذهاب أهله، و عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفقر إلى ما عنده، و عليكم بالعلم و إياكم التتبع و التعمق و عليكم بالعنق فإنه سيجيء قوم يتلون كتاب الله ينبذونه وراء ظهورهم (مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي). و عن عبد الله قال اغد عالماً أو متعلماً و لا تغد بين ذلك فإن لم تفعل فأحب العلماء و لا تبغضهم. و عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام فبينه وبين النبيين درجة واحدة في الجنة " (رواه الدارمي عن الحسن رفعه مراسلاً و لابن النجار عن أنس "من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام لم يكن بينه وبين الأنبياء إلا درجة واحدة"، و للطبراني عن ابن عباس "من جاءه الموت وهو يطلب العلم لقي الله ولم يكن بينه وبين الأنبياء إلا درجة النبوة"، و للخطيب عن ابن عباس بلفظ "من جاءه أجله وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام لم يفضلته النبيون إلا بدرجة").

و عن ثعلبة بن الحكم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يقول الله عز و جل للعلماء يوم القيامة (إذا قعد على كرسيه لفصل عباده) إني لم أجعل علمي و حلمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان فيكم و لا أبالي" (رواه الطبراني في الكبير و رجاله موثقون). و عن أبي

هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين، وفقه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه" (مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي). وعن ابن مسعود أيضاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا عالم، وذكر الله وما والاه" (مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي). وعن أبي هريرة وأبي ذر قال "الباب من العلم يتعلمه الرجل أحب إلي من ألف ركعة تطوعاً" (مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي). وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أربع لا يشبعن من أربع عين من نظر، وأرض من مطر، وأنثى من ذكر، وعالم من علم" (مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي). و قد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخالطة الحكماء ومساءلة العلماء والنظر في وجههم، فقال صلى الله عليه وسلم "جالسوا الكبراء، وسألوا العلماء، وخالطوا الحكماء" (الطبراني في الكبير عن أبي جحيفة، تصحيح السيوطي صحيح). "الكبراء" الشيوخ الذين لهم التجارب، وقد سكنت حذتهم وذهبت خفتهم.

و يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "خمس من العبادة النظر إلى المصحف، والنظر إلى الكعبة، والنظر إلى الوالدين، والنظر في زمزم وهي تحط الخطايا، والنظر في وجه العالم" (الدارقطني في السنن والنسائي، تصحيح السيوطي صحيح). وقال صلى الله عليه وسلم "خير الناس أقرؤهم وأفقههم في دين الله وأتقاهم لله وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم" (أحمد في مسنده والطبراني في الكبير عن درة بنت أبي لهب، تصحيح السيوطي صحيح). وقد أبرز نبينا صلى الله عليه وسلم أهمية حفظ أحاديثه والتمسك بسنته، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "التمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر شهيد". (الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة) ولأهمية أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أفردنا ملحقاً خاصاً يسرد مائة حديث، يسهل حفظها، والله الموفق سبحانه وتعالى.

كيف يواجه العالم المسائل بعلمه: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "الشاهد يرى ما لا يرى الغائب" (أحمد في مسنده عن علي والقضاعي عن أنس، تصحيح السيوطي صحيح). إن العالم الحق هو من إذا تصدت له المشاكل كشف حقائقها بالنظر، فلا يُفقد ما ظهر من الكلام فقط و يكتفي بذلك، بل ينظر إلى المقصود ويراعي الأوضاع، ولا يفتي في المسألة وحده، بل يبحث عن الإجماع، فهو يعلم أن أمة رسولنا صلى الله عليه وسلم أمة لا تجتمع على ضلالة وخطأ، والعالم الحق هو من يحبب الله إلى عباده، فلا يقتطعهم من روحه، ويذكرهم آياته. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق" (أحمد في مسنده عن أنس، تصحيح السيوطي صحيح). فعلى الموجه أن يوجه طلبه العلم التوجيه السوي السليم من شوائب الغلو و يعلمهم ما فيه خلاص أنفسهم من بلاء الدنيا وعذاب النار.

من آفات العالم: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم محذراً من الآفات التي قد يتعرض لها العالم "العلماء أمناء الرسل، ما لم يخالطوا السلطان ويدخلوا الدنيا؛ فإذا خالطوا السلطان ودخلوا الدنيا فقد خانوا الرسل فاحذروهم" (الحسن بن سفيان العقيلي في الضعفاء عن أنس، تصحيح السيوطي حسن). يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "الطمع يذهب الحكمة من قلوب العلماء" (في نسخة سمعان عن أنس، تصحيح السيوطي حسن). وعن يحيى بن أبي كثير قال من قال إني عالم فهو جاهل، ومن قال إني جاهل فهو جاهل، ومن قال إني في الجنة فهو في النار، ومن قال إني في النار فهو في النار. (رواه الطبراني في الصغير). يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بنفسه" (البیهقي في شعب الإيمان عن مسروق مرسلًا، تصحيح السيوطي حسن، و تمام الحديث "كفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بنفسه"). لجمعه بين العجب والكبر والاعتزاز بالله. قال الغزالي وهذه الآفة قلما ينفك عنها العلماء والعباد. قال ومن اعتقد جزءاً أنه فوق أحد من عباد الله فقد أحبط بجهله جميع عمله، فإن

الجهل أفحش المعاصي وأعظم شيء يبعد العبد عن الله، وحكمه لنفسه بأنه خير من غيره جهل محض، وأمن من مكر الله {ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون}.

الحكمة ومعرفة صفات الله: الحكمة هي العلم المشتمل على المعرفة بالله. يقول الإمام ابن القيم "إن لكل صفة من صفات الله عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها. فتفرده تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يؤكّد التوكل على الله باطنا، و سمعه تعالى وبصره و علمه بالسر وأخفى و علمه خائنة الأعين و ما تخفي الصدور يؤكّد حفظ اللسان و الجوارح و خطرات القلب عن كل ما لا يرضي الله والحياء باطنا و اجتناب المحرمات و القبايح ظاهرا. أما غنى الله و جوده و كرمه و بره و إحسانه و رحمته فيولد سعة الرجاء، أما جلال الله و عظمته و عزته فيولد الخضوع و الاستكانة و المحبة لله. و الخضوع و الاستكانة مقترنان بالخشوع لله تعالى، و يتأتى ذلك بزيارة الصالحين و قراءة القرآن و حضور المحاضرات. أما كماله عز و جل و جماله و صفاته العلى فيولد منها محبة خاصة لله. انتهى كلام ابن القيم بتصرف.

أقول (عبد ربه المؤلف) إن حفظ خطرات القلب عن كل ما لا يرضي الله يقتضي إخلاص النية لله تعالى و هي من أهم المنجيات إذ أن المباح إذا قصد به وجه الله صار طاعة. يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "استحبوا من الله تعالى حق الحياء؛ فإن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم" (البخاري في التاريخ عن ابن مسعود، تصحيح السيوطي حسن) و يقول صلى الله عليه و سلم "إن الله تعالى إذا أنعم على عبد نعمة يحب أن يرى أثر النعمة عليه، و يكره اليأس و التباؤس و يبغض السائل الملحف، و يحب الحبي العفيف المتعفف" (البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي حسن) و "الحيي" من "الحياء". أما عن حسن الظن بالله تعالى، فيتأتى بالعلم بغنى الله و جوده و كرمه و بره و إحسانه و رحمته، و يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "إن حسن الظن بالله من حسن عبادة الله" (أحمد في مسنده و الترمذي و الحاكم في المستدرک عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي صحيح). وإذا أعز المرء أمر الله تعالى و خضع و استكان أعزه الله، يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "أعز أمر الله يعزك الله" (الدلمي في مسند الفردوس عن أبي أمامة).

هذا و قد اهتم بعض العلماء كذلك بجرد صفاته تعالى و كذا أسمائه الحسنى، مؤكدين على أن كل ظاهرة أو منهج من مناهج الكون هو في كنهه إنما ينضوي تحت إسم من هذه الأسماء. و من أصح الروايات المتحدثة عن أسماء الله الحسنى ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال "إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة". و أخرج كذلك في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه "لله تسعة وتسعون اسما، مائة إلا واحدا، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر". قال القرطبي الوتر يراد به التوحيد فيكون المعنى أن الله في ذاته و كماله و أفعاله واحد و يحب التوحيد، أي أن يُوحَدَ و يُعَنَّدَ انفراداً بالألوهية دون خلقه.

وعن التوكل على الله يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "إن الله تعالى يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيس، فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله و نعم الوكيل" (أبو داود عن عوف بن مالك). و "العجز" التقصير و التهاون. أي أنت مقصر بترك الاحتياط، و عدم رعاية ما أقام الله لك من الأسباب، و ترك التدبير بالإشهاد و إقامة الحجة، و غير ذلك مما يوجب الغلبة و ثبوت الحق. و العجز، و إن كان صفة وجودية قائمة بالعجز، لكن العبد ملام عليه لما ذكر. "عليك بالكيس" قال الإمام السيوطي رحمه الله و حاصل المعنى لا تكن عاجزا و (ثم) تقول "حسبي الله"، ولكن كن يقظا حازما، فإذا غلبك أمر فقل ذلك، إذ ليس من التوكل ترك الأسباب و إغفال الحزم في

الأمر. بل على العاقل أن يتكيس في الأمور بأن يتيقظ فيها، ويطلب ما يعين عليه، بالتوجه إلى (تأمين) أسباب جرت عادة الله على ارتباط تلك المطالب بها، ويدخل عليها من أبوابها، ثم إن غلبه أمر وعسر عليه مطلوب ولم يتيسر له طريق، كان معذورا فليقل (عندها) "حسبي الله ونعم الوكيل"، فإن الله تعالى يأخذ بئارك وينصرك على خصمك. إنتهى.

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "اطلبوا الخير دهركم كله، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن الله عز وجل نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، وأسألوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم" (أخرج الحكيم الترمذي وابن أبي الدنيا في الفرج، والبيهقي في الأسماء والصفات، عن أنس بن مالك رضي الله عنه). وفي الحديث الصحيح "استعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك أمر فقل قدر الله وما شاء فعل، ولا تقل لو أني فعلت لكان كذا، فإن لو تفتح عمل الشيطان" (مختصر ابن كثير للإمام الصابوني). فالتوكل على الله سبحانه وتعالى مطلوب، فهو المعطي سبحانه "إنما أنا مبلغ والله يهدي، وإنما أنا قاسم والله يعطي" (الطبراني في الكبير عن معاوية، تصحيح السيوطي حسن)، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "كل باسم الله، ثقة بالله وتوكلا على الله" (الأربعة [أبو داود، الترمذي، النسائي، ابن ماجه] وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرک عن جابر، تصحيح السيوطي صحيح)، وهو الهادي سبحانه وقد تكفل لمن صح توكله بنصره و عونته في الدنيا و الآخرة حتى أنه جعله من زمرة السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة دون حساب.

يقول تعالى "إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا لِمَ تَكُنُّ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجَرُوا فِيهَا قَالُوا لِنَا مَاؤَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا {97} إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا {98} قَالُوا لِنَا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا" {99} (النساء). و يقول تعالى "وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ فُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" {103} (آل عمران). و يقول تعالى "وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ" {122} (آل عمران). و يقول تعالى "وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" {41} الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" {42} (النحل).

عالمنا كما لاحظنا عالم أسباب و مسببات، عليك بطلب الخير أولا ثم التوكل على الله تعالى، فالعلم لا يكون إلا بالتعلم، و المنفعة تكون بجلدها و طلب أسبابها، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "يا أيها الناس تعلموا، إنما العلم بالتعلم، والفقہ بالفقہ، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" (الطبراني من حديث معاوية و إسناده حسن).

الخاتمة:

لقد تعرفت أيها المؤمن على بعض من أنظمة هذا الكون، و على منجيات في تعاملك مع ربك و مع ذنبك، فأقلع عن المعصية و تب و استحي من الله تعالى و اخشاه، و كن حجة عالما بالله تعالى و بأمره، و اخضع له و استكن، و استعن في خشوعك بما عرفت من خبايا الآخرة و علومها، فالزم ذكرها، و اعلم أن الدنيا دار من لا دار له و مال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له، فخذ منها ما ينفك في آخرتك، تكن بذلك فعلا فيهما بالسوية، في مجتمعك الدنيوي و في آخرتك، و حاسب نفسك و املك لسانك، و حقق ما أطقت من سبل النجاة المذكورة و لو مرة في حياتك ثم اختر طريقا إلى الله يناسبك و داوم عليه، و اشتهر به، فيراك الناس فيه و يرونه فيك، فهم شهود الدنيا و الآخرة، اجنح إلى ذكر الله و الجماعة و المحبة و الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم، و إذا وَقَّتَ لأمر صالح، فإياك و الانتكاسة، و ابتعد عن لهو الكلام، و أحب الناصح الأمين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة و السلام، اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق و الخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق و الهادي إلى صراطك المستقيم و على آله حق قدره و مقداره العظيم.

و كخاتمة اعلم أيها المؤمن أن لكل سبيل من سبل النجاة التي تعرفت عليها علاقة و طيدة عن قرب أو عن بعد بعوالم الآخرة، و فعالية خاصة لإنقاذك من ورطتك، فوضوئك من شأنه أن ينقذك من ملائكة العذاب، و اغتسالك من الجنابة من شأنه أن يجلسك إلى جنب رسول الله صلى الله عليه و سلم، و صلاتك من شأنها أن تتفدك من عذاب القبر، و صومك رمضان من شأنه أن ينقذك من العطش، و حجك و عمرتك من شأنهما أن يخرجاك من الظلمات، و أمرك بالمعروف و نهيك عن المنكر ينقذتك من الزبانية، و إبلاغك حاجة من لا يستطيع إبلاغها تثبت قدميك على الصراط، و صدقتك تستر وجهك من وهج النار، و صلة رحمك تحشرك إلى جماعة المؤمنين، و برك بالوالدين يرد عنك ملك الموت، و أفراطك يتقلوا ميزانك، و ذكرك الله يخلصك من الشياطين، و صلاتك على النبي صلى الله عليه و سلم تأخذ بيدك و تجيز بك الصراط، و خوفك من الله تعالى يجعل صحيفتك في يمينك، و دموعك التي بكيت بها في الدنيا من خشية الله تخرجك من النار، و جللك من الله تعالى ينقذك من شفير جهنم، و حسن ظنك بالله تعالى يسكن رعدتك، أما شهادتك ألا إله إلا الله فهي التي تأخذ بيدك و تدخلك الجنة. اللهم رحمتك نرجو، فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، و أصلح لنا شأننا كله، لا إله إلا أنت.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغ حاجته، فمن أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله تعالى قدميه على الصراط يوم القيامة" (الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء، تصحيح السيوطي حسن). اللهم اجعلنا ممن يخاف و عيدك، و يرجو موعودك، يا بار يا رحيم، اللهم ارزقنا عيين هطاليتين، تشفيان القلب بذروف الدموع من خشيتك، قبل أن تكون الدموع دما، و الأضراس جمرا، اللهم اكتبنا في ديوان السعداء في الدنيا و الآخرة، اللهم اكتبنا في ديوان أوليائك المقربين و صفوتك العليا من أكابر الصديقين، اللهم أدم نظرك فينا بعين عنايتك بنا و رضاك عنا و محبتك لنا و اجبتناك لنا و اصطفائك لنا في الدين و الدنيا و الآخرة، اللهم اجعل سعادتنا عندك كسعادة المصطفين الذين استخلصتهم و اصطفتيتهم بسابق العناية الدائمة و المشيئة النافذة. يا من أظهر الجميل، و ستر القبيح، و لم يؤاخذ بالجريرة، و لم يهتك الستر، يا عظيم العفو، و يا حسن التجاوز، و يا واسع المغفرة، و يا باسط اليدين بالرحمة، و يا سامع كل نجوى و يا منتهى كل شكوى، يا كريم الصفح، و يا عظيم المن، و يا مبتدئا بالنعم قبل استحقاقها، يا ربنا و يا سيدنا و يا مولانا و يا غاية رغبتنا نسألك ألا تشوه خلقنا ببلاء الدنيا و لا بعذاب النار، آمين و الحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
و الصلاة و السلام على مولانا رسول الله و على آله و صحبه

اللهم صل و سلم على سيدنا و نبينا و مولانا محمد و على آل سيدنا محمد
صلاة أهل الحب قصدا بالحب صلاة ندخرها عندك يا مؤمن و اجعلها لنا إليك يا الله
قربا من القرب

محبة الله تعالى و محبة رسوله الناصح الأمين صلى الله عليه وسلم

قال بعض العلماء: محبة الله على قسمين، فرض وندب. فالفرض يهم المحبة التي تبعث على امتثال أوامره، والانتهاز عن معاصيه، والرضا بما يقدره، فمن وقع في معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصيره في محبة الله حيث قدم هوى نفسه، والتقصير تارة يكون مع الاسترسال في المباحات والاستكثار منها، فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجاء فيقدم على المعصية فيقع. أما الندب فإن يواظب على النوافل، ويتجنب الوقوع في الشبهات، والمتصف عموما بهذا نادر. و لمحبة الله عز و جل علامات، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "علامة حب الله تعالى حب ذكر الله، وعلامة بغض الله بغض ذكر الله عز و جل" (البيهقي في شعب الإيمان عن أنس، تصحيح السيوطي حسن). و بصفة عامة، فإن علامات حب الله سبحانه و تعالى تدور حول حب ما يحب الله و بغض ما يبغضه، قال تعالى "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله"، وعن خالد بن الوليد قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني سائلك عما في الدنيا والآخرة، فقال له سل عما بدا لك، و من جملة الأشياء التي سأل عنها قال أحب أن أكون من أحب الله ورسوله، فأجابه صلى الله عليه وسلم أحب ما أحب الله ورسوله وأبغض ما أبغض الله ورسوله (و تمام الحديث بتخرجه موجود في ملحق نصائح محمدية). فالأمور التي يحبها الله سبحانه و تعالى وردت في القرآن الكريم، فالله يحب المحسنين و التوابين و المتطهرين و المطهرين و المتقين و الصابرين و المتوكلين و المقسطين كما في قوله تبارك و تعالى "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" (البقرة 195، المائدة 13)، و يقول سبحانه "وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" (آل عمران، الآيات 134، 148، المائدة 93)، و يقول تعالى "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ" (البقرة 222)، و يقول تعالى "وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ" (التوبة 108)، و يقول "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ" (آل عمران 76)، و يقول "وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ" (آل عمران 146)، و يقول "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ" (آل عمران 159)، و يقول "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" (المائدة 42، الحجرات 9، الممتحنة 8)، و كلها من سبل النجاة و قد تم الحديث عنها في الفصل السابق.

أما ما يبغض الحق عز و جل و ما لا يحبه، فنذكر ما جاء في القرآن الكريم: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" (البقرة 190، المائدة 87) "إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" (الأعراف 55)، "وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَّادَ" (البقرة 205)، "وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ" (المائدة 64)، "إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ" (القصص 77)، "فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ" (آل عمران 32)، "وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ" (البقرة 276) "إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ" (الروم 45)، "وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ" (آل عمران 57 و 140) "إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ" (الشورى 40)، "إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ" (الأنعام 141، الأعراف 31) "إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ" (القصص 76)، "إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ"

(النحل 23)، " إِنْ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الخَائِنِينَ " (الأفال 58)، " إِنْ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ " (الحج 38)، " إِنْ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا " (النساء 107)، " إِنْ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فُخُورًا " (النساء 36) " إِنْ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَلٍ فُخُورٍ " (لقمان 18) " وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَلٍ فُخُورٍ " (الحديد 23)، " لَا يُحِبُّ اللّٰهُ الجَهْرَ بالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللّٰهُ سَمِيعًا عَلِيمًا " (النساء 148)، و كلها من المهلكات و العياذ بالله.

هذا و قد اهتمت السنة النبوية الشريفة بجرد موسع للأعمال التي يحبها الحق سبحانه و تعالى و التي لا يحبها، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم "أما إن ربك يحب المدح" (أحمد في مسنده و البخاري في الأدب و النسائي و الحاكم في المستدرک عن الأسود بن سريع، تصحيح السيوطي صحيح). و عن البراء بن عازب قال كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال "أي عرى الإسلام أوثق؟" فقالوا الصلاة، قال "حسنة وما هي بها" قالوا صيام رمضان قال "حسن وما هو به" قالوا الجهاد قال "حسن وما هو به" قال "إن أوثق عرى الإيمان أن تحب الله و تبغض في الله". و قال صلى الله عليه و سلم فيما يرويه عن ربه " قال الله تعالى و جبت محبتي للمتحابين في، و المتجالسين في، و المتبازلين في، و المتزاورين في " (أحمد في مسنده و الطبراني في الكبير و الحاكم في المستدرک و البيهقي في شعب الإيمان عن معاذ، تصحيح السيوطي صحيح) و قال صلى الله عليه و سلم "حبوا الله إلى عباده يحبكم الله"، "حبوا": أي ذكروهم بآلائه عليهم ليحبوه (الطبراني في الكبير و الضياء عن أبي أمامة، تصحيح السيوطي صحيح) و قال صلى الله عليه و سلم "إني لأعرف ناساً ما هم أنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء و الشهداء بمنزلتهم يوم القيامة، الذين يحبون الله و يحبونه إلى خلقه، يأمرونهم بطاعة الله، فإذا أطاعوا الله أحبهم الله" (مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي).

و قال صلى الله عليه و سلم "آيتان هما قرآن، و هما يشفيان، و هما مما يحبهما الله، الآيتان من آخر سورة البقرة" (أخرجه الديلمي عن أبي هريرة) و قال صلى الله عليه و سلم "زار رجل أخا له في قرية فأرصد الله له ملكاً على مدرجته فقال أين تريد، قال أخا لي في هذه القرية. فقال هل له عليك من نعمة ترُبُّها، قال لا، إلا إني أحبه في الله. قال فإني رسول الله إليك، إن الله أحبك كما أحببتك" (صحيح مسلم). "مدرجته" الطريق، سميت به لأن الناس يدرجون فيها، أي يمشون. "ترُبُّها" أي تراعيها كما يربي الرجل ولده. و عن ابن عمر قال قال عمر بن الخطاب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يا أبا الحسن ربما شهدت وغبنا، و ربما شهدنا وغبنا. ثلاث أسألك عنهن هل عندك منهن علم، قال علي وما هن، قال الرجل يحب الرجل و لم ير منه خيراً و الرجل يبغض الرجل و لم ير منه شراً، قال نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الأرواح في الهوى أجناد مجندة تلتقي فتشاءم فما تعارف منها ائتلف و ما تناكر منها اختلف". قال واحدة. و قال الرجل يحدث الحديث إذ نسيه إذ ذكره، قال علي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "ما من القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر بينما القمر يضيء إذ علتته سحابة فأظلم إذ تجلت عنه فأضاء و بينا الرجل يحدث الحديث إذ علتته سحابة فنسي إذ تجلت عنه فذكر". قال عمر اثنتان. قال و الرجل يرى الرؤيا فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب، قال نعم، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "ما من عبد ولا أمة ينام فيستنقل نوماً إلا عرج بروحه إلى العرش فإني لا تستيقظ إلا عند العرش فتلك الرؤيا التي تصدق و التي تستيقظ دون العرش فهي الرؤيا التي تكذب". فقال عمر ثلاث كنت في طلبهن فالحمد لله الذي أصبتهن قبل الموت (رواه الطبراني في الأوسط). و روى البخاري، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ {قل هو الله أحد}، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال "سلوه لأي شيء يصنع ذلك" فسألوه، فقال لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم "أخبروه أن الله تعالى يحبه" (أخرجه البخاري في كتاب التوحيد).

و روى الإمام أحمد عن أسماء بنت يزيد بن السكن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "ألا أخبركم بخياركم" قالوا بلى يا رسول الله، قال "الذين إذا رؤوا ذكر الله عز وجل"، ثم قال "ألا أخبركم بشراركم؟ المشاؤون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبراء العنت". و قال صلى الله عليه وسلم "أربعة يبغضهم الله: البياع الحلاف، والفقير المختال، والشيخ الزاني، والإمام الجائر" (النسائي والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي صحيح) و قال صلى الله عليه وسلم "أبغض الخلق إلى الله من آمن، ثم كفر" (الجامع الصغير للإمام السيوطي، تمام عن معاذ) و قال صلى الله عليه وسلم "أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم" (متفق عليه) و قال صلى الله عليه وسلم "أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهرق دمه" (صحيح البخاري). هذه جملة من المنجيات التي يحبها الله عز وجل و من المهلكات التي لا يحبها، فيحبك لهذه المنجيات و بعملك بها و ببغضك لهذه المهلكات و باجتنبها، سيتسنى لك الارتقاء إلى درجة أحبها الله و رسوله، فاعمل أيها المؤمن و جاهد نفسك عليها، و اعلم أنها يسيرة لمن أخلص نيته لله سبحانه و تعالى. يقول تبارك و تعالى في سورة الأنفال "إِن يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" {70}، و ضع دائما نصب عينيك أن الله سبحانه و تعالى هو المنعم الحق و هو الرحمن الرحيم، فمظاهر محبته لنا و رحمته بنا عديدة، و هي توجب حقا محبته سبحانه و تعالى، فنذكر منها على سبيل المثال ما رواه عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "العبد المسلم إذا بلغ أربعين سنة خفف الله حساباه، وإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الإنابة إليه، وإذا بلغ سبعين سنة أحبه أهل السماء، وإذا بلغ ثمانين سنة ثبت الله تعالى حسناته و محاسناته، وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله ما تقدم من ذنبه و ما تأخر و شفعه في أهل بيته، و كتب في السماء أسير الله في أرضه" (أخرجه الحافظ الموصلي، و روي من غير هذا الوجه في مسند الإمام أحمد). سبحانك يا الله، اللهم أنت ربنا و نحن عبادك، ظلمنا أنفسنا و اعترفنا بذنوبنا، فاغفرها لنا، إنك أنت ربنا، و إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، سبحان الذي تعطف بالعز و قال به، سبحان الذي لبس المجد و تكرم به، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له، سبحان ذي الفضل و النعم، سبحان ذي المجد و الكرم، سبحان ذي الجلال و الإكرام.

أما عن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول تعالى لرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {ورفعنا لك ذكرك}. قال مجاهد لا أذكر (أي الله) إلا ذكرت معي (يا محمد) "أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمداً رسول الله"، و قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا و الآخرة، فليس خطيب و لا متشهد و لا صاحب صلاة إلا ينادي بها، أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله. لقد قرن الحق عز و جل ذكره بذكر رسوله الحبيب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، و محبته سبحانه و تعالى بمحبته صلى الله عليه وسلم، و هذا ملحوظ من خلال الأحاديث السابقة، و قد وضح صلى الله عليه وسلم منطق هذه المحبة، فقال "أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، و أحبوني لحب الله، و أحبوا أهل بيتي لحبي" (الترمذي و الحاكم في المستدرک عن ابن عباس، تصحيح السيوطي صحيح). و أشار صلى الله عليه وسلم إلى نتيجة هذه المحبة و إلى مظهر آخر من مظاهر رحمة الله تعالى بعباده فقال "المرء مع من أحب" (متفق عليه [البخاري و مسلم]) و عن أنس رضي الله عنه أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال متى الساعة؟ قال و ما أعددت لها؟ قال لا شيء، إلا أنني أحب الله و رسوله صلى الله عليه وسلم. فقال أنت مع من أحببت. قال أنس فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم و أبا بكر و عمر، و أرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، و إن لم أعمل بمثل أعمالهم" (صحيح البخاري). و قال صلى الله عليه وسلم و سلم مخبرا عن محبة بعض أمته له في آخر الزمن "أشد أمتي لي حبا قوم يكونون بعدي، يود أحدهم أنه فقد أهله و ماله و أنه رأني" (أحمد في مسنده عن أبي ذر، تصحيح السيوطي حسن). و قال صلى الله عليه وسلم "عجبت و ليس بالعجب، و عجبت و هو العجب العجيب. عجبت

وليس بالعجب أني بعثت إليكم رجلا منكم فأمن بي من آمن بي منكم وصدقني من صدقني منكم، فإنه العجب وما هو بالعجب. ولكني عجبت وهو العجب العجيب العجيب لمن لم يرني وصدق بي" (ابن زنجويه في ترغيبه عن عطاء مرسلًا، تصحيح السيوطي صحيح). صلى الله عليك يا رسول الله، كيف لا نصدقك، وقد جئت بالمعجزات وآيات الله تعالى، بل كيف لا نحبك ونحن لرؤيتك، وقد حنت الشجرة إليك شوقًا إلى لقاءك، نحن أحق أن نشتاقي إليك، فنحن لا نتلقى شيئًا من المأمورات والمنهيات إلا من مشكاتك، ولا نسلك إلا طريقك، ونتخلق بأخلاقك، ونرضى بما شرعته، ولا نجد في أنفسنا حرجًا مما قضيته، فحمدا لله على ذلك، نسأل الله الكريم أن يعيننا على ما قلناه وصدقنا فيه فنستكمل إيماننا ونجد حلاوته في قلوبنا. اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تستغرق العد وتحيط بالحد ما ساحت الأرياح في السماء وتروحت، وما صاحت الديكة وأصرخت، عدد الأشعار والأرياش والأوبار وأضعاف ما تحركت، عدد كل ناطق وصامت وما تروحت.

روى البخاري رحمه الله من حديث عبد الله بن هشام أن عمر بن الخطاب قال للنبي صلى الله عليه وسلم "لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال له عمر فإنك الآن والله أحب إلي من نفسي، فقال الآن يا عمر". قال الداودي وقوف عمر أول مرة واستثناؤه نفسه إنما اتفق حتى لا يبلغ ذلك منه فيحلف بالله كاذبا، فلما قال له ما قال تقرر في نفسه أنه أحب إليه من نفسه فحلف. وقال الخطابي حب الإنسان نفسه طبع، وحب غيره اختيار بتوسط الأسباب، وإنما أراد عليه الصلاة والسلام حب الاختيار إذ لا سبيل إلى قلب الطباع وتغييرها عما جبلت عليه. وقال ابن حجر العسقلاني كان جواب عمر أولا بحسب الطبع، ثم تأمل فعرّف بالاستدلال أن النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والآخرة فأخبر بما اقتضاه الاختيار، ولذلك حصل الجواب بقوله "الآن يا عمر" أي الآن عرفت فنطقت بما يجب. انتهى كلام ابن حجر. فعلى هذا نجزم بأن من لم يجد في نفسه هذا الحب الكامل لم يكمل إيمانه، وقال القرطبي كل من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم إيمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة، غير أن المتحابين فيه عليه السلام متفاوتون، فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى، ومنهم من أخذ منها بالحظ الأدنى، كمن كان مستغرقا في الشهوات محجوبا في الغفلات في أكثر الأوقات، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اشتاقوا إلى رؤيته، بحيث يؤثرونها على أهلهم وأموالهم لما وقر في قلوبهم من محبته، غير أن ذلك سريع الزوال بتوالي الغفلات، والله المستعان، انتهى كلام القرطبي ملخصا. وهكذا لا يكمل الإيمان في قلب مؤمن إلا بمحبة النبي عليه السلام. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار" متفق عليه [البخاري ومسلم].

انتبه بعض المفسرين إلى طابع الاستعارة التخيلية في كلمة "حلاوة الإيمان"، فشبهوا المؤمن المستكمل بالإيمان بالصحيح والمؤمن الضعيف بالإيمان بالمريض، فالمريض يجد طعم العسل مرا، والصحيح يذوق حلاوته على ما هي عليه، وكلما نقصت الصحة نقص ذوقه بقدر ذلك. قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة إنما عبر بالحلاوة لأن الله شبه الإيمان بالشجرة في قوله تعالى (مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة) فالكلمة هي كلمة الإخلاص، والشجرة أصل الإيمان، وأغصانها اتباع الأمر واجتناب النهي، وورقها ما يهتم به المؤمن من الخير، وثمرها عمل الطاعات، وحلاوة الثمر جني الثمرة، وغاية كماله تنهائي نضج الثمرة وبه تظهر حلاوتها. وقال الشيخ محيي الدين هذا حديث عظيم، أصل من أصول الدين، ومعنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات، وتحمل المشاق في الدين، وإيثار ذلك على أعراض الدنيا، ومحبة العبد لله تحصل بفعل

طاعته وترك مخالفته، وكذلك الرسول، وإنما قال "مما سواهما" ولم يقل "ممن" ليعم من يعقل ومن لا يعقل. يقول صلى الله عليه وسلم "وأن يحب المرء" قال يحيى بن معاذ حقيقة الحب في الله أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء. انتهى كلامه، فإذا قلت لشخص إنني أحبك في الله، فأنت محاسب أن تتبها، و أن تأمره بالمعروف و أن تنهاه عن المنكر، و أن تثبته على ما كان يفعل من أمور صالحة. أما في قوله صلى الله عليه وسلم "وأن يكره أن يعود في الكفر"، فقد زاد أبو نعيم في المستخرج من طريق الحسن بن سفيان عن محمد ابن المثنى شيخ المصنف "بعد إذ أنقذه الله منه". قال ابن حجر العسقلاني "إن قيل فلم عدى العود بفي ولم يعده بالي، فالجواب أنه ضمنه معنى الاستقرار، وكأنه قال يستقر فيه، ومثله قوله تعالى "وما كان لنا أن نعود فيها".

أما الأعمال التي تقوي محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرهن على ذلك فهي أن تصلي عليه و أن ترقبه في آل بيته فتحبهم. عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام ذلك الكتاب" (رواه الطبراني في الأوسط وفيه بشر بن عبيد الدارسي كذبه الأزدي وغيره) وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من ذكرني فليصل علي" (رواه أبو يعلى وفيه الأزرق بن علي وثقه ابن حبان وقال يغرب، وبقية رجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد). و عن أبي بكر رضي الله عنه قال "ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته" (صحيح البخاري)، أي لا تؤذوهم و لا تسيئوا إليهم. و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "سبعة لعنتهم، وكل نبي مجاب" الزائد في كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمستحل حرمة [وفي رواية "حرم"]- الله، والمستحل من عترتي ما حرم الله، والتارك لسنتي، والمستأثر بالفيء، والمتجبر بسلطانه ليعز من أذل الله ويذل من أعز الله" (الطبراني في الكبير عن عمرو بن شعوي، تصحيح السيوطي حسن) "وكل نبي مجاب" أي من شأن كل نبي كونه مجاب الدعوة. وفي رواية "سبعة لعنتهم، لعنهم الله وكل نبي مجاب". (الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي) "والمستحل من عترتي ما حرم الله" أي من فعل بأقاربي ما لا يجوز من إيذاء وترك تعظيم. "والتارك لسنتي" استخفافا بها وقلة مبالاة، أو بترك العمل بها والجري على منهاجها. "والمستأثر بالفيء" أي من إمام أو أمير، فلم يصرفه لمستحقه. "الفيء" ما أخذ من الكفار بلا قتال ولا إيجاف خيل.

أما عن آل البيت: فقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة والحسن والحسين فقال "اللهم هؤلاء أهلي" (فتح الباري شرح صحيح البخاري). وفي تحديد آل النبي صلى الله عليه وسلم أقوال مشهورة نذكر منها إن آل النبي صلى الله عليه وسلم هم علي وفاطمة وحسن وحسين وأولادهم وهم الذين ورد ذكرهم في حديث أم سلمة وتاممه قالت نزلت هذه الآية 33 الأحزاب في بيتي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فدخل معهم تحت كساء خيري وقال هؤلاء أهل بيتي وقرأ الآية وقال اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فقالت أم سلمة وأنا معهم يا رسول الله؟ قال أنت على مكانك وأنت على خير. وقال القشيري أدخلت رأسي في الكساء وقلت أنا منهم يا رسول الله؟ قال نعم. أخرجه الترمذي وغيره وقال هذا حديث غريب. و قد يكون آل النبي صلى الله عليه وسلم هم زوجاته الطاهرات، ويدل له ورود آية الصلاة على آل البيت {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً} في سورة الأحزاب الآية -33-، حيث وردت الآية في سياق الحديث عن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم. و قد يكون آل النبي صلى الله عليه وسلم هم الأتقياء من أمته، وقد أخرج الطيالسي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "آل محمد كل تقي". و قد يكون آل النبي صلى الله عليه وسلم هم بنو هاشم وبنو المطلب، وهم الذين دخلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في شعب أبي طالب وناصروه بأنفسهم وأموالهم، وهذا هو المختار عند الشافعية، وعليه فإن الصدقة لا تحل لبني هاشم ولا لبني المطلب. وهذا القول من حيث المال يشتمل على

القول الأول والثاني حيث لا يوجد للنبي صلى الله عليه وسلم اليوم نسل إلا من فاطمة عليها السلام. (شرح المعتمد في أصول الفقه لمحمد الحبش) وأخرج مسلم والترمذي وابن المنذر والحاكم والبيهقي في سننه عن سعد بن أبي وقاص قال لما نزلت هذه الآية {قل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم} دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا، وفاطمة، وحسنا، وحسينا، فقال "اللهم هؤلاء أهلي". وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال "جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فاطمة، ومعه حسن وحسين وعلي حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة فاجلسهما بين يديه، وأجلس حسنا وحسينا، كل واحد منهما على فخذه، ثم لف عليهم ثوبه وأنا مستديرهم، ثم تلا هذه الآية {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا} " وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة رضي الله عنها إذا خرج إلى صلاة الفجر ويقول "الصلاة يا أهل البيت الصلاة {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا} " وأخرج مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "أذكركم الله في أهل بيتي، فقيل لزيد رضي الله عنه ومن أهل بيته، أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده: آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس."

ومن محبته عليه السلام أن تحب أصحابه: قال مالك رضي الله عنه بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الحوارين فيما بلغنا، وصدقوا في ذلك، فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة، ولهذا قال سبحانه وتعالى ههنا {ذلك مثلهم في التوراة}، ثم قال {ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه} أي فراخه {فأزره} أي شدّه {فاستغلظ} أي شبّ وطال {فاستوى على سوقه يعجب الزراع} أي فكذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أزروه وأيدوه ونصروه، فهم معه كالشطء مع الزرع {ليغيظ بهم الكفار}.

وتتويها ببعض الصحابة الكرام نذكر **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر" (الفتح). وقد جزم أبو أحمد العسكري أن المحدث هو الرجل الصادق الظن وهو من ألقى في ورعه شيء من قبل الملائكة الأعلى فيكون كالذي حدثه غيره به. وقيل من يجري الصواب على لسانه من غير قصد. وقيل مكلم تكلمه الملائكة بغير نبوة وهذا ما ورد من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا ولفظه "قيل يا رسول الله وكيف يحدث؟ قال تتكلم الملائكة على لسانه". وقال الطيبي المراد بالمحدث الملهم البالغ في ذلك مبلغ النبي صلى الله عليه وسلم في الصدق. أما **عثمان بن عفان** رضي الله عنه فقد كان رجلا تستحي منه الملائكة وكان رجلا شديدا الحياء. وهو ابن بنت عمّة النبي صلى الله عليه وسلم. وقد أسلمت أم عثمان أما أبوه فقد هلك في الجاهلية (الفتح). وعن **علي بن أبي طالب** كرم الله وجهه قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم "أنت مني وأنا منك" (الفتح). وقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك "من أشقى الأولين؟ قال عاقر الناقة، قال فمن أشقى الآخرين؟ قال الله ورسوله أعلم، قال قاتلك"، أخرجه الطبراني (الفتح). وعن **جعفر بن أبي طالب** قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم "أشبهت خلقي و خلقي" و جعفر هو أخو علي أي شقيقه وكان أسن منه بعشر سنين. وكان جعفر يحب المساكين ويسكن إليهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكنيه بأبي المساكين، في رواية الترمذي. وكان عليه السلام يطلق على **عبد الله بن جعفر** ابن ذي الجناحين. قال عبد الله بن جعفر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء، أخرجه الطبراني بإسناد حسن. وعن ابن عمر

رضي الله عنهما "كنا نقول إذا ذهب أبو بكر و عمر و عثمان استوى الناس، فيسمع النبي صلى الله عليه و سلم ذلك فلا ينكره". و أهل السنة يقدمون الخلفاء الراشدين على من سواهم ثم يقدمون بقية العشرة ثم أهل بدر على من لم يشهدا (الفتح).

و من محبته عليه السلام أن تبحث في سننه و تصرفاته من خلال دعائه و ذكره و أخلاقه و صلواته و نصائحه و تصرفات صحابته رضوان الله عليهم أجمعين إذ لا بد لمن أراد السير في طريق التزكية أن يكون له اهتمام دائم و شغف متواصل بمطالعة سيرة رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه الأبرار و ما كلفوا عليه من ثبات على منهج الإسلام. و تذكيراً بصفته صلى الله عليه و سلم و بأسماءه يقول عليه السلام: "صفتي أحمد المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، يجزي بالحسنة الحسنة، ولا يكافئ بالسيئة، مولده بمكة، ومهاجره طيبة، وأمه الحمادون، يأترون على أنصافهم، ويوضئون أطرافهم، أناجيلهم في صدورهم، يصفون للصلاة كما يصفون للقتال، قربانهم الذي يتقربون به إلي دماؤهم، رهبان بالليل، ليوث بالنهار" (الطبراني في الكبير عن ابن مسعود، تصحيح السيوطي حسن). و من أسمائه صلى الله عليه و سلم أحمد و محمد و الحاشر و المقفي و نبي الرحمة و الخاتم و العاقب و الشاهد و المبشر و النذير و المبين و الداعي إلى الله و السراج المنير و المذكر و الرحمة و النعمة و الهادي و الشهيد و الأمين و المزمّل و المدثر و المختار و المصطفى و الشفيع المشفع والصادق المصدق واللينة و موضع اللبنة. و كان النبي صلى الله عليه و سلم يكنى أبا القاسم بولده القاسم وكان أكبر أولاده. أما ولده إبراهيم فقد ولد في المدينة بعد القاسم من مارية. و كان أهل الكتاب يعرفونه صلى الله عليه و سلم بخاتم النبوة و هو شيء بارز أحمر عند كتفه الأيسر أي من جهة القلب خلف ظهره، قدره بين بيضة الحمامة و جمع اليد، والخاتم لم يكن موجوداً حين ولادته صلى الله عليه و سلم. و أخرج البيهقي أن النبي صلى الله عليه و سلم " كان أبيض مشرباً بياضه بحمرة، وكان صلى الله عليه و سلم أسود الحدقة أهدب الأشفار" (البيهقي في الدلائل عن علي، تصحيح السيوطي صحيح). و عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه و سلم مربوعاً، بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنيه، رأيته في حلة حمراء، لم أر شيئاً قط أحسن منه. و عن أحمد وابن سعد وابن حبان عن أبي هريرة قال " ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه و سلم، كأن الشمس تجري في جبهته " قال الطيبي شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه صلى الله عليه و سلم. و أخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه و سلم أحسن الناس صفة وأجملها، كان ربعة إلى الطول ما هو، بعيد ما بين المنكبين، أسيل الخدين، شديد سواد الشعر، أكحل العينين، أهدب الأشفار، إذا وطأ بقدمه وطأ بكلها ليس له إخمص، إذا وضع رداءه عن منكبيه فكانه سبيكة من فضة، وإذا ضحك يتلألأ. و عن أنس كان النبي صلى الله عليه و سلم ضخم الكفين والقدمين، لم أر بعده شبيهاً له (صحيح البخاري) و عن أنس رضي الله عنه كذلك قال ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف النبي صلى الله عليه و سلم (صحيح البخاري)، و بهذا يكون صلى الله عليه و سلم جمع بين نعومة البدن و قوة العظام، فعظمه ضخم و جلده صلى الله عليه و سلم لين.

و من محبته عليه السلام أن تعلم و توقن أنه أدى الأمانة و بلغ الرسالة و أنه أنقذ الناس من بحر الظلمات. و أن تعلم أن أحب الناس إلى الله عز و جل هو رسول الله صلى الله عليه و سلم، ذلك لأنه أعرفهم به تعالى. فمعرفة الله سبحانه و تعالى بها تُكَنَسَبُ محبته. اللهم اكتبنا في ديوان المحبوبين عندك و عند رسول الله عليه السلام.

و من محبته عليه السلام أن تراه أيها المؤمن نعمة أنعمها الله عليك و تحمده عليها. فأمة سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم هي أمة الحمادين. و قد خص سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم بسورة الحمد و بلواء الحمد و بالمقام المحمود، و شرع له الحمد بعد الأكل و بعد الشرب و بعد

الدعاء و بعد القدوم من السفر. فهو الحبيب الشفيق. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال "لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، و أريد أن أختبىء دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة" (صحيح البخاري). و في حديث أنس "فجعلت دعوتي" و زاد "يوم القيامة" و زاد أبو صالح "فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً" (صحيح مسلم) قال النووي فيه كمال شفقتة صلى الله عليه و سلم على أمتة و رأفته بهم و اعتناؤه بالنظر في مصالحهم، فجعل دعوته في أهم أوقات حاجتهم. و أما قوله "فهي نائلة" ففيه دليل لأهل السنة أن من مات غير مشرك لا يخلد في النار، و لو مات مصراً على الكبائر. و عن ابن عمر رضي الله عنهما "إنا كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه و سلم في المجلس رب اغفر لي و تب علي إنك أنت التواب الغفور، مائة مرة" (فتح الباري). فاستغفاره صلى الله عليه و سلم تشريع لأمتة، و يجوز أن يكون استغفاراً من ذنوب الأمة فهو كالشفاعة لهم. فحمداً لله على نبينا رسول الهدى محمد صلى الله عليه و سلم. اللهم ارزقنا حيك و حبه، وحب من ينفعنا حبه عندك، اللهم وما رزقتنا مما نحب فاجعله قوة لنا فيما تحب، اللهم وما زويت عنا مما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما تحب.

خاتمة عامة

روى البخاري و مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: إن أعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه و سلم: متى الساعة؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: "ما أعددت لها؟" قال: حب الله و رسوله، قال: أنت مع من أحببت، و هذا لفظ مسلم، و في رواية لهما: ما أعددت لها من كثير صوم و لا صلاة و لا صدقة و لكني أحب الله و رسوله. قال أنس: فما رأيتُ المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بها! و زاد أنس في رواية: فأنا أحب النبي صلى الله عليه و سلم و أبا بكر و عمر و أرجو أن أكون معهم بحبي إياهم. فهذا حديث صحيح قاضي بأن المحبة تلحق المقصّر في الأعمال بدرجات عظيمة خاصة بالخواص و ذلك لمحبتة إياهم بهم. لكن إياك و الغرور! أنظر إلى ما يقول الحسن البصري رضي الله عنه: "يا ابن آدم! لا يُعْرَتُك قولٌ من يقول: المرء مع من أحب! فإنك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم، فإن اليهود و النصارى يحبون أنبياءهم و ليسوا معهم"، و انظر إلى ما يقول الفضيل بن عياض رضي الله عنه في بعض كلامه: هاه، تريد أن تسكن الفردوس و تجاور الرحمن في داره مع النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين؟! بأي عمل عملته؟ بأي شهوة تركتها؟ بأي غيظ كظمته؟ بأي رحم قاطعة وصلتها؟ بأي زلة لأخيك غفرتها؟ بأي قريب باعدته في الله؟ بأي بعيد قربته في الله؟

أيها القارئ المخلص الصادق تتساءل ما الحل؟ تريد من صميم القلب أن تسكن الفردوس و تجاور الرحمن في داره مع النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين، فكيف تتعامل مع نفسك و مع محبتك حتى لا تكون هذه المحبة مجرد دعوى و محض تمن؟ كيف تغيّر حالك؟

الجواب: إن المُحِبَّ لِقَوْمٍ لا يخلو حاله إما:

● أن يكون موافقا لهم في كل أعمالهم و أخلاقهم بحسب إمكانه:
فإن كان موافقا لهم في كل أعمالهم و أخلاقهم فهذا منهم و معهم بلا شك (لأن محبتة إياهم أدت به إلى اتصافه بكل أوصافهم، و تشبه بهم في كل أحواله فكيف لا يكون منهم؟)

● أو مخالفا لهم في كلها:

إن كان مخالفا في كل أفعالهم، مباينا لهم في كل أحوالهم فهذا ليس منهم قطعا، و هذا ما يُحمل عليه كلام الفضيل بن عياض رضي الله عنه.

● أو موافقا في البعض مخالفا في البعض، فهذا:

(أ) إما أن يُخالفهم في أصل الإيمان الذي هو عقيدتهم و هذا عين العداوة فأين المحبة؟! و من هذا القبيل محبة اليهود و النصارى لأنبيائهم.

(ب) إما أن يوافقهم في أصل الإيمان و يخالفهم في غيره من الطاعات و مكارم الأخلاق، و هذا:

(ب-1) إما أن تكون مخالفتهم لهم في الطاعات و الأخلاق و الآداب رغبة عنها و أنفة منها و محبة لما سواها و هذا لا تنفعه أيضا محبتة لهم و لا تلحقه بهم.

(ب-2) و إما أن تكون مخالفتهم لهم لا عن طريقة الرغبة عن أخلاقهم و لا على سبيل الأنفة عن أحوالهم، بل تكون هذه المخالفة على سبيل العجز و التقصير عن بلوغ درجاتهم و الانحطاط عن علو همهم، و لو تيسر له اللحاق بهم في وصف لم يتأخر عن الاتصاف به أو في خُلُقٍ لم يتوان عن التخلق به، فهذا التقصير لا يُقَعده عن اللحاق بمن يحبهم و لا يؤخره عن الكينونة معهم، و في حديث أبي ذر رضي الله عنه: "و لا يستطيع أن يعمل بعملهم"! دليل على أن المُحِبَّ لِقَوْمٍ معهم، و إن قصر عنهم في الأعمال و

الأحوال، و لذلك اشتد فرح المسلمين بذلك، كما قال أنس رضي الله عنه: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه و سلم: "أنت مع من أحببت".

الحمد لله رب العالمين، فسبحان ربنا ذي الفضل و النعم، سبحان من لا ينبغي التسبيح إلا له، سبحانه ما أعظمه، أرسل لنا نبيه المصطفى الحبيب صلى الله عليه و سلم، أرسله إلينا حاملاً اليقين بأنه تعالى جدُّ ربنا، موضحاً حقيقة الكون المحيط لنا، حقيقة الدنيا، مبرزاً حكمة هذا الوجود، لنعلم أننا في دار بلاء و ابتلاء و أننا هنا لنعبد الله وحده لا شريك له و أن الدار الآخرة هي الحيوان و أنها دار الخلود، راسماً سُبُل نجاتنا، مُحدِّثاً بأعظم الأحاديث، محبباً في صالح الأعمال، فمن عمل بها، و قدَّره الله على فعلها، فمصيره جنة الفردوس و مجاورة الرحمن في داره مع النبيين و الصديقين و الشهداء و حسن أولئك رفيقا و هذا هو الفوز العظيم. و من عجز عن العمل بها و لكنه أحبها و أحب المخلصين من عباد الله القائمين بها و عليها فمصيره اللحاق بهم بمحبتهم إياهم و هذا هو الفضل الكبير، الحمد لله رب العالمين.

أيها القارئ المخلص الصادق، هذا فضل الله علينا فما أكثر الغافلين، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم، "و قليل من عبادي الشكور"، ضع ما تعرَّضنا له من صالح الأعمال و من سبل النجاة نصب عينيك، و اعلم أنه يكفيك و يلزمك البعض منها لحصول الفوز لكن لا تهمل البعض الآخر حاول فعله و لو مرة في العمر، أحبه و أحب فاعله تلحق به و تُوجر، و أحسن الظن بربِّك و الله الموفق.

"رب أوزعني أن أشكر نعمتك عليّ و على والديّ و أن أعمل صالحاً ترضاه و أصلح لي في ذريتي إني تُبِت إليك و إني من المسلمين"

وتم تأليف هذا الكتاب بحمد الله الملك الوهاب بالرباط، المغرب الأقصى
يوم الخميس 14 رمضان عام 1425 الموافق 28 أكتوبر 2004.

الملحق الأول نبذة في علم الحديث و مصدر حديث الأربعين حديثاً

أقسام الحديث عديدة، أولها **الصحيح** وهو ما اتصل إسناده، ولم يشذ أو يعل، يرويه عدل ضابط عن مثله، معتمد في ضبطه و نقله و **الحسن** ما عرف مخرجه و طريقه ولم يشتهر رجاله اشتهار رجال الصحيح، و كل ما قصر عن رتبة الحسن، فهو **الضعيف** و هو أقسام أكثر.

أما الحديث **المرفوع** فهو ما أضيف للنبي صلى الله عليه وسلم، و ما أضيف لتابع فهو **المقطوع** و **المسند** عند أهل الحديث هو الذي اتصل إسناده من راويه إلى منتهاه، وأكثر ما يستعمل ذلك فيما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دون ما جاء عن الصحابة وغيره، وقد يكون **متصلاً**، مثل: مالك، عن نافع، عن ابن عمر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد يكون **منقطعاً**، مثل: مالك، عن الزهري، عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهذا مسند، لأنه قد أسند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منقطع، لأن الزهري لم يسمع من ابن عباس، رضي الله عنهم و **الموقوف** هو ما يروي عن الصحابة رضي الله عنهم من أقوالهم أو أفعالهم ونحوها، فيوقف عليهم، ولا يتجاوز به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و **المرسل** هو حديث التابعي الكبير إذا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و **المنقطع** هو المرسل الذي في إسناده، قبل الوصول إلى التابعي راوٍ لم يسمع من الذي فوقه، والساقط بينهما غير مذكور، لا معيئاً ولا مبهماً و **المعضل** نوع خاص من المنقطع و هو ما سقط من إسناده اثنان فصاعداً ومثاله: ما يرويه تابعي التابعي قائلاً فيه: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك ما يرويه من دون تابعي التابعي، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عن أبي بكر وعمر وغيرهما، غير ذاك للوسائط بينه وبينهم و **المدلس** قسمان: أحدهما: **تدليس الإسناد**، وهو أن يروي عن لقيه ما لم يسمع منه، موهماً أنه سمعه منه، أو عن عاصره ولم يلقه، موهماً أنه قد لقيه وسمعه منه ومثال ذلك: عن علي بن خشرم قال: كنا عند بن عيينة، فقال: قال الزهري، فقيل له: حدثكم الزهري؟ فسكت، ثم قال: قال الزهري، فقيل له: سمعته من الزهري؟ فقال: لا، لم أسمع من الزهري، ولا ممن سمعه من الزهري، حدثني عبد الرزاق، عن معمر عن الزهري، والقسم الثاني **تدليس الشيوخ**، وهو: أن يروي عن شيخ حديثاً سمعه منه، فيسميه، أو يكئيه، أو ينسبه، أو يصفه بما لا يعرف به، كي لا يعرف و **الشاذ** من الحديث، أن يروي الثقة حديثاً يخالف ما روى الناس و **المنكر** من الحديث هو الحديث الذي ينفرد به الرجل، ولا يعرف من غيره روايته، لا من الوجه الذي رواه منه ولا من وجه آخر و **الأفراد** تنقسم إلى ما هو فرد مطلقاً، وإلى ما هو فرد بالنسبة إلى جهة خاصة، أما الأول فهو ما ينفرد به واحد عن كل أحد، وأما الثاني فهو ما هو فرد بالنسبة، ومثل ما يقال فيه: هذا حديث تفرد به أهل مكة، أو تفرد به أهل الشام، و الحديث **المعلل** هو الحديث الذي اطلع فيه على علة تقدر في صحته، مع أن ظاهره سليم، ويتطرق ذلك إلى الإسناد الذي رجاله ثقات، الجامع شروط الصحة من حيث الظاهر، ويستعان على إدراك الضعف بتفرد الراوي وبمخالفة غيره له، مع قرائن تنضم إلى ذلك، تنبه العارف بهذا الشأن على إرسال في الموصول، أو وقف في المرفوع، أو دخول حديث في حديث، أو وهم واهم بغير ذلك، بحيث يغلب على ظنه ذلك، فيحكم به، أو يتردد فيتوقف فيه و **المضطرب** من الحديث هو الذي تختلف الرواية فيه، فيرويه بعضهم على وجه، وبعضهم على وجه آخر مخالف له فيسمى مضطرباً إذا تساوت الروايتان و **المدرج** في الحديث أقسام منها ما أدرج في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلام بعض رواته، بأن يذكر الصحابي أو من بعده عقيب ما يرويه من الحديث كلاماً من عند نفسه، فيرويه من بعده موصولاً بالحديث، غير فاصل بينهما بذكر قائله، فيلتبس الأمر فيه على من لا يعلم حقيقة الحال، ويتوهم أن الجميع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و **المختلق المصنوع** و هو شر الأحاديث الضعيفة، ولا تحل روايته لأحد علم حاله في أي معنى

كان، إلا مقروناً ببيان وضعه، بخلاف غيره من الأحاديث الضعيفة التي يحتمل صدقها في الباطن، حيث جاز روايتها في الترغيب والترهيب وإنما يعرف كون الحديث موضوعاً بإقرار واضعه، أو ما ينتزل منزلة إقراره و **المقلوب** من الحديث قسماً، فإبدال راو براو قسم، و قلب إسناد لمتن قسم و **الغريب** من الحديث هو الذي يتقرد به بعض الرواة، فإذا روى عنهم رجالن وثلاثة، واشتركوا في حديث يسمى: **عزيزاً**، فإذا روى الجماعة عنهم حديثاً سمي: **مشهوراً**. (من مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث و من المنظومة البيقونية لطفه بن محمد البيقوني ملخصاً)

و في فضل علم الحديث جاء في العهود المحمدية كان سفيان الثوري وابن عيينة وعبد الله بن سنان يقولون لو كان أحدنا قاضياً لضربنا بالجريد فقيهاً لا يتعلم الحديث ومحدثاً لا يتعلم الفقه، وفي الفتوحات المكية لابن العربي الحاتمي رحمه الله أن العالم لا يطلق يوم القيامة إلا على المحدث وأما غيره فيتميز بعمله إن كان له عمل ويحشر في عموم الناس وأما أهل الحديث فيحشرون مع الرسل وهم ورثة الأنبياء، هذا ويروى مرفوعاً: "اللهم ارحم خلفائي قيل ومن هم قال الذين يأتون من بعدي يروون أحاديثي وسنتي".

مصدر حديث الأربعين حديثاً

و جدد الحديث في كتاب "متن الأربعين حديث النبوية" للشيخ الإمام العارف الهمام أبو عبد الله محمد بن العارف بالله أبي بكر الدلائي رحمه الله، قال الشيخ الزاهد الحاج نجم الدين النسفي رحمه الله متحدثاً عن الحديث: لقد أتيناكم كما أتانا في حديث الأربعين حديثاً فافهموها و لا تكونوا كقوم لا يكادون يفقهون حديثنا، انتهى، و للحديث شواهد، و هو ينصوي تحت لواء فضائل الأعمال، ففي مسند سلمان الفارسي رضي الله عنه أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبیین والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره من الله، وأن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة بوضوء سابق لوقتها، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن كان لك مال، وتصلي اثنتي عشرة ركعة في كل يوم وليلة، والوتر لا تتركه في كل ليلة، ولا تشرك بالله شيئاً، ولا تعق والديك، ولا تأكل مال اليتيم ظلماً ولا تشرب الخمر، ولا تزن، ولا تحلف بالله كاذباً، ولا تشهد شهادة زور ولا تعمل بالهوى ولا تغترب أخاك، ولا تقذف المحصنة، ولا تغل أخاك المسلم، ولا تلعب، ولا تله مع اللاهين، ولا تقل للقصير يا قصير تريد بذلك عيبه، ولا تسخر بأحد من الناس، ولا تمش بالنميمة بين الإخوان، واشكر الله على نعمته، وتصبر عند البلاء والمصيبة، ولا تأمن من عقاب الله، ولا تقطع أرباعهم وصلهم، ولا تلعن أحداً من خلق الله، وأكثر من التسبيح والتكبير والتهليل، ولا تدع حضور الجمعة والعيدین، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولا تدع قراءة القرآن على كل حال. (أخرجه الحافظ أبو القاسم بن عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن منده والحافظ أبو الحسن علي بن أبي القاسم بن بابويه الرازي في الأربعين وابن عساكر والرافعي - عن سلمان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأربعين حديثاً التي قال: من حفظها من أمتي دخل الجنة قلت: وما هي يا رسول الله؟ قال - فذكره، وفي آخره: قلت يا رسول الله ما ثواب من حفظ هذه الأربعين؟ قال حشره الله تعالى مع الأنبياء والعلماء يوم القيامة.)

الملحق الثاني حال اليهود قتلة الأنبياء

علماء اليهود يعرفون النبي كما يعرفون أبناءهم:
(أ) كهانة ابن هيبان

قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة: هل تدري عما كان إسلام أسد، وثعلبة، ابني شعبة، وأسد بن عبيد، لم يكونوا من بني قريظة ولا النصير، كانوا فوق ذلك؟ فقلت: لا، قال: فإنه قدم علينا رجل من الشام من اليهود، يقال له: ابن الهيبان، فأقام عندنا، والله ما رأينا رجلا يصلي خيرا منه، فقدم علينا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين، فكنا إذا قحطنا وقل علينا المطر، نقول: يا ابن الهيبان اخرج فاستسق لنا: فيقول: لا والله حتى تقدموا أمام مخرجكم صدقة، فنقول: كم؟ فيقول: صاع من تمر، أو مدين من شعير، فنخرجه، ثم يخرج إلى ظاهر حرتنا ونحن معه نستسقي، فوالله ما يقوم من مجلسه حتى تمطر ويمر بالشعاب. قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثة، فحضرتة الوفاة واجتمعنا إليه فقال: يا معشر يهود! أترون ما أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قالوا: أنت أعلم، قال: فإني إنما خرجت أتوقع خروج نبي قد أظل زمانه هذه البلاد مهاجرة، فاتبعوه ولا يسبقن إليه غيركم إذا خرج، يا معشر اليهود! فإنه يبعث بسفك الدماء، وسبي الذراري والنساء ممن يخالفه فلا يمنعكم ذلك منه ثم مات، فلما كانت الليلة التي فتحت فيها قريظة، قال أولئك الثلاثة الفتية وكانوا شبانا أحداثا: يا معشر اليهود! والله إنه للذي ذكر لكم ابن الهيبان، فقالوا: ما هو به، قالوا: بلى والله إنه لصفته، ثم نزلوا، وأسلموا وخلوا أموالهم وأهليهم. قال ابن إسحاق وكانت أموالهم في الحصن مع المشركين، فلما فتح ردت عليهم.

(ب) شهادة يهودي

وقال ابن إسحاق: حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد، قال: كان بين أبياتنا يهودي، فخرج على نادي قومه بنى عبد الأشهل ذات غداة، فذكر البعث، والقيامة، والجنة، والنار، والحساب، والميزان، فقال ذلك لأصحاب وثن: لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت، وذلك قبيل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ويحك يا فلان. وهذا كائن أن الناس يُبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار، ويجزون بأعمالهم؟ قال: نعم، والذي يحلف به لو ددت أن حظي من تلك النار أن توقدوا أعظم تنور في داركم فتحمونته، ثم تقدفوني فيه، ثم تطبقون علي، وأنى أنجو من النار غدا، فقيل: يا فلان ما علامة ذلك؟ قال: نبي يُبعث من ناحية هذه البلاد، وأشار بيده نحو مكة واليمن. قالوا: فمتى نراه؟ فرمى بطرفه فرآني وأنا مضطجع بفناء باب أهلي، وأنا أحدث القوم، فقال: إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه، فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم، وإنه لحي بين أظهرنا، فأما به، وصدقناه، وكفر به بغيا وحسدا، فقلنا: يا فلان، ألسنت الذي قلت ما قلت وأخبرتنا به؟! قال: ليس به.

حال اليهود و شهاداتهم قبل مجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(أ) أقوالهم مع أهل الوثن

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، قال: حدثني أشياخ منا قالوا: لم يكن أحد من العرب أعلم بشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم منا، كان معنا يهود، وكانوا أهل كتاب،

وكنّا أصحاب وثن، وكنّا إذا بلغنا منهم ما يكرهون، قالوا إن نبيا مبعوثا الآن، قد أظل زمانه، نتبعه فنقتلكم قتل عاد وإرم. فلما بعث الله عز وجل رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، اتبعناه وكفروا به ففينا وفيهم أنزل الله عز وجل: "وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين."

(ب) بعض أدعيته

قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فلما التقوا هُزمت يهود خيبر، فعادت اليهود بهذا الدعاء فقالت: اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم، قال: فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان. فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به، فأُنزل الله عز وجل: (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) يعني: بك يا محمد (فلعنة الله على الكافرين) و(يستفتحون) أي: يستتصرون. وذكر الحاكم وغيره عن ابن أبي نجیح، عن علي الأزدي، قال: كانت اليهود تقول: اللهم ابعث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس.

بيان بعض خطبهم بعد مجيء النبي صلى الله عليه وسلم و التي تُظهر معرفتهم الحق و نكرانه:

ذكر الحاكم وغيره: أن بني النضير لما أجلوا من المدينة أقبل عمرو بن سعد فأطاف بمنزلهم فرأى خرابها، ففكر، ثم رجع إلى بني قريظة فوجدهم في الكنيسة فنفخ في بوقهم، فاجتمعوا، فقال الزبير بن باط: يا أبا سعيد، أين كنت منذ اليوم، فلم نرك، وكان لا يفارق الكنيسة، وكان يتأله في اليهودية، قال: رأيت اليوم عبرا اعتبرنا بها، رأيت إخواننا قد جلوا بعد ذلك العز والجلد والشرف الفاضل، والعقل البارح، بد تركوا أموالهم وملكها غيرهم، وخرجوا خروج ذل، ولا والتوراة، ما سلط هذا على قوم قط لله بهم حاجة. وقد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف في عزة بنيانه في بيته آمنة، وأوقع بابن سنيّة سيدهم، وأوقع ببني قينقاع فأجلاهم وهم جل اليهود، وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة. فحصرهم النبي عليه السلام، فلم يخرج إنسان منهم رأسه حتى سباهم، فكلّم فيهم، فتركهم، على أن أجلاهم من يثرب، يا قوم، قد رأيت ما رأيتم فأطيعوني، وتعالوا نتبع محمداً، فوالله أنكم لتعلمون أنه نبي، وقد بشرنا به وبأمره ابن الهييان، وأبو عمرو بن حواس، وهما أعلم اليهود، جاء من بيت المقدس، يتوكفان قدومه، وأمرانا باتباعه، وأمرانا أن نقرئه منهما السلام، ثم ماتا على دينهما ودفناهما بحرتنا. فأسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم، فأعاد هذا الكلام ونحوه، وخوفهم بالحرب والسبأ والجلأ. فقال الزبير بن باط: قد والتوراة قرأت صفته في كتاب التوراة التي أنزلت على موسى، ليس في المثاني التي أحدثنا، فقال له كعب بن أسد: ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتباعه؟ قال: أنت، قال: ولم فوالتوراة ما حلت بينك وبينه قط؟ قال الزبير: بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا، فإن اتبعته اتبعناه، وإن أبيت أبينا، فأقبل عمرو بن سعد على كعب فذكر ما تقاولا في ذلك، إلى أن قال كعب: ما عندي في ذلك إلا ما قلت، ما تطيب نفسي أن أصير تابعا. وهذا المانع هو الذي منع فرعون من اتباع موسى، فإنه لما تبين له الهدى، عزم على اتباع موسى عليه السلام، فقال له وزيره هامان: بينا أنت إله تعبد، تصبح تعبد ربا غيرك؟! قال: صدقت.

ما تقاولوا عندما شاهدوا النبي محمدا صلى الله عليه وسلم:

ذكر ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر، قال: حدثت عن صفية بنت حيي أنها قالت: كنت أحبّ ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة،

غدوا عليه، ثم جاء من العشي، فسمعت عمي يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: أتعرفه وتثبته؟! قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت. فهذه أمة اليهود معروفة بعبادة الأنبياء قديما وأسلافهم وخيارهم، قد أخبرنا الله سبحانه عن أذاهم لموسى، ونهانا عن التشبه بهم في ذلك، فقال: (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها). وأما خلفهم: فهم قتلة الأنبياء قتلوا زكريا، وابنه يحيى، وخلقا كثيرا من الأنبياء، حتى قتلوا في يوم سبعين نبيا، وأقاموا السوق في آخر النهار كأنهم لم يصنعوا شيئا، واجتمعوا على قتل المسيح وصلبه، فصانه الله من ذلك، وأكرمه أن يهينه على أيديهم، وألقى شبهه على غيره، فقتلوه، وصلبوه، وراموا قتل خاتم النبيين مرارا عديدة، والله يعصمه منهم. ومن هذا شأنهم لا يكبر عليهم اختيار الكفر على الإيمان لسبب من الأسباب التي ذكرنا بعضها أو سببين أو أكثر.

قصة عبد الله بن سلام:

و من الأدلة الدالة على أن علماء اليهود يعرفون النبي كما يعرفون أبناءهم، ولكنهم ينكرون الحق، نجد أيضا قصة عبد الله بن سلام: لما خلا نبي الله صلى الله عليه وسلم جاء عبد الله بن سلام، فقال: أشهد أنك نبي الله حقا وأنت جئت بالحق، ولقد علمت اليهود أنني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أنني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أنني قد أسلمت قالوا في ما ليس فيّ. فأرسل نبي الله صلى الله عليه وسلم إليهم فدخلوا عليه، فقال لهم نبي الله صلى الله عليه وسلم: يا معشر اليهود ويلكم! اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنني رسول الله حقا، وأني جننكم بحق، أسلموا. قالوا: ما نعلمه فأعادها عليهم ثلاثا وهم يجيبونه، كذلك، فقال: "أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟" قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: "أفرأيتم إن أسلم" قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم، فقال: يا ابن سلام اخرج عليهم فخرج إليهم، فقال: يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله! فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله حقا، وأنه جاء بالحق، فقالوا: كذبت فأخرجهم النبي صلى الله عليه وسلم.

و عن عبدالله بن سلام قال: "لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، انجفل الناس إليه، فجننته لأنظر في وجهه فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعت منه أن قال: "يا أيها الناس، أطعموا الطعام، وأفشوا السلام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام" (أخرج الترمذي والحاكم وصححه، وابن ماجه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل)

فعلماء القوم وأخبارهم كلهم كانوا كما قال الله عز وجل: (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) فمنهم من آثر الله ورسوله والدار الآخرة، ومنهم من آثر الدنيا وأطاع داعي الحسد والكبر.

الملحق الثالث حال النصارى

من الأدلة على ضلالتهم

إذا جاز اتفاق أمة على أن رب العالمين، وخالق السموات والأرضين نزل عن عرشه، وكرسي عظمته، ودخل في بطن امرأة في محل الحيض والطمث، عدة شهور، ثم خرج من فرجها طفلاً يمص الثدي ويبيكي، ويكبر شيئاً فشيئاً، ويأكل ويشرب ويبول، ويصح ويمرض، ويفرح ويحزن، ويلذ ويألم. ثم دبر حيلة على عدوه إبليس، بأن مكن أعداء اليهود من نفسه، فأمسكوه وساقوه إلى خشبتين يصلبونه عليهما، وهم يجرونه إلى الصלב، والأوباش الأراذل قدامه وخلفه، وعن يمينه وعن يساره، وهو يستغيث ويبيكي، فقربوه من الخشبنتين، ثم توجه بتاج من الشوك، وأوجعه صفعا، ثم حملوه على الصليب، وسمروا يديه ورجليه، وجعلوه بين لصين، وهو الذي اختار هذا كله لتتم له الحيلة على إبليس ليخلص آدم وسائر الأنبياء من سجنه، ففداهم بنفسه، حتى خلصوا من سجن إبليس، وإذا جاز اتفاق هذه الأمة، وفيهم: الأحرار، والرهبان، والقسيسون، والزهاد، والعباد، والفقهاء، على هذا القول في معبودهم وإلههم، حتى قال قائل منهم وهو من أكابرهم عندهم: اليد التي خلقت آدم هي التي باشرت المسامير، ونالت الصלב، فكيف لا يجوز عليهم الاتفاق على تكذيب من جاء بتكفيرهم، وتضليلهم، ونادى سرا وجهرا بكذبهم على الله، وشتمهم له أقبح شتم، وكذبهم على المسيح، وتبديلهم دينه، وعاداهم وقاتلهم، وبرأهم من المسيح وبرأه منهم، وأخبر أنهم وقود النار وحصب جهنم. فهذا أحد الأسباب التي اختاروا لأجلها الكفر على الإيمان (كتاب هداية الحيارى لابن القيم بتصرف). و من جملة الأسباب المانعة لأحبارهم و رهبانهم و قسيسهم و عبادهم من الدخول في الدين، الرياسة والمأكلة، وقد ناظر العديد من علماء الإسلام أمثال ابن القيم وغيره جماعة منهم، فلما تبين لبعضهم فساد ما هم عليه، قالوا: لو دخلنا في الإسلام لكننا من أقل المسلمين، لا يُأبئ لنا، ونحن متحكمون في أهل ملتنا، في أموالهم، ومناصبهم، ولنا بينهم أعظم الجاه، وهل منع فرعون وقومه من اتباع موسى إلا ذلك؟! !

ثم أين عقول اليهود والنصارى، الذين أضحكوا سائر العقلاء على عقولهم، ودلوهم على مبلغها، بما قالوه في معبودهم من عقول المسلمين؟ فمن ألوان سخافتهم أنهم أمة أطبقت على صلب معبودها وإلهها، ثم عمدت إلى الصليب فعبدته وعظمته، وكان ينبغي لها أن تحرق كل صليب تقدر على إحراقه، وأن تهينه غاية الإهانة، إذ صلب عليه إلهها الذي يقولون تارة: أنه الله، وتارة يقولون: أنه ابنه وتارة يقولون: ثالث ثلاثة، فجحدت حق خالقها، وكفرت به أعظم كفر، وسبته أقبح مسبة. قال بعض ملوك الهند: أما النصارى، فإن كان أعداؤهم من أهل الملل يجاهدونهم بالشرع فأنا أرى جهادهم بالعقل، وإن كنا لا نرى قتال أحد لكني أستنتي هؤلاء القوم من جميع العالم؟ لأنهم قصدوا مضادة العقل، واعتقدوا كل مستحيل ممكنا، وبنوا من ذلك شرعا لا يؤدي إلى صلاح نوع من أنواع العالم، ولكنه يُصَيِّرُ العاقل إذا شرع به أحرق، والرشيد سفيها، والحسن قبيحا، والقبیح حسنا، لأن من كان في أصل عقيدته التي جرى نشؤه عليها الإساءة إلى الخلاق والنيل منه، وسبه أقبح مسبة، ووصفه بما يغير صفاته الحسنى، فأخلق به أن يستسهل الإساءة إلى مخلوق، وأن يصفه بما يغير صفاته الجميلة. و من ألوان سخافتهم كذلك أنهم اختاروا عبادة صور خطوها بأيديهم في الحيطان، مزوقة بالأحمر والأصفر والأزرق، لو دنت منها الكلاب لبالت عليها، فأعطوها غاية الخضوع والذل والخشوع والبكاء، وسألوها المغفرة والرحمة والرزق والنصر.

ليس لدينا في دين الإسلام رهبان و لا قسيسين

إن أكثر المسيحيين الذين لا ينتمون لهذا النوع جهال، مقلدون لرؤسائهم وكبرائهم وعلمائهم. و هذا النوع الأخير يشكل أقلية الأقلية، وهم الذين اختاروا الكفر على الإيمان بعد تبين الهدى، وأي إشكال يقع للعقل في ذلك، فلم يزل في الناس من يختار الباطل، فمنهم من يختاره جهلا وتقليدا، لمن يحسن الظن به، ومنهم من يختاره مع علمه ببطلانه كبرا وعلوا، ومنهم من يختاره طمعا ورغبة في مآكل أو جاه أو رياسة، ومنهم من يختاره حسدا وبغيا، ومنهم من يختاره محبة في صورة وعشقا، ومنهم من يختاره خشية، ومنهم من يختاره راحة ودعة، فلم تنحصر أسباب اختبار الكفر في حب الرياسة والمأكلة.

تبيان من و كيف آمن بعض كبار علماء المسيحية (أ) قصة النجاشي:

سأل النجاشي ملك الحبشة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من هذه الأمم؟ وكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: أيها الملك! كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف: نسبه، وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وأباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فعدد جعفر رضي الله عنه عليه أمور الإسلام، فصدقناه وأمانا به واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا.

قال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه علي، فقرأ عليه صدرا من (كهيعص) فبكى والله النجاشي، حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم. ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقوا فوالله لا أسلمهم إليكم أبدا ولا أكاد.

قالت أم سلمة: فلما خرجنا من عنده، قال عمر بن العاص: والله لآتينه غدا أعيبيهم عنده بما استأصل به خضراءهم، قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد. قالت: ثم غدا عليه من الغد، فقال له: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولا عظيما، فأرسل إليهم فاسألهم عما يقولون فيه، قالت: فأرسل إليهم فاسألهم عنه، فلما دخلوا عليه، قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا، هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته التي ألقاها إلى مريم العذراء البتول، وروح منه، فضرب النجاشي يده إلى الأرض، فأخذ منها عودا، ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارفته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم، وإن نخرتم، والله اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي (والسيوم الأمنون) من سبكم غرم، من سبكم غرم، ما أحب أن لي دبر ذهب وأني أدبت رجلا منكم (والدبر بلسان الحبشة الجبل) ردوا عليهما هدايهما ولا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فأخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه، قالت: فخرجنا من عنده مقبوحين، مردودا عليهما ما جاؤا به.

ب) قصة وفد نصارى نجران

قال ابن إسحق: ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران بالمدينة، فحدثني محمداً بن جعفر بن الزبير، قال: لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلوا عليه مسجده بعد العصر، فحانت صلاتهم فقاموا يصلون في مسجده فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دعوهم" فاستقبلوا المشرق، فصلوا صلاتهم، وكانوا ستين راكبا، منهم أربعة وعشرون رجلاً من أشرفهم، منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم: العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون إلا عن رأيه وأمره، واسمه عبد المسيح. والسيل عقالهم وصاحب رحلهم ومجمعهم. وأبو حارثة ابن علقمة أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم، وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم، وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات، لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم. فلما وجهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران، جلس أبو حارثة على بغلة متوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى جنبه أخ له يقال له: كرز بن علقمة يسايره، إذ عثرت بغلة أبي حارثة، فقال له كرز: تعس الأبعد، يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له أبو حارثة: بل أنت تعست. فقال: ولم يا أخي؟! فقال: والله إنه للنبي الذي كنا ننتظره، فقال له كرز: فما يمنعك من اتباعه، وأنت تعلم هذا؟! فقال: ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا ومولونا وأكرمونا، وقد أبوا إلا خلفه، ولو فعلت نزعوا منا كل ما ترى، فأصر عليها أخوه كرز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك. فهذا وأمثاله من الذين منعتهم الرياسة والمآكل من اختيار الهدى، وأثروا دين قومهم، وإذا كان هذا حال الرؤساء المتبوعين الذين هم علماءهم وأخبارهم كان بقيتهم تبعاً لهم، وليس بمستكر أن تمنع الرياسة والمناصب والمآكل للرؤساء، ويمنع الاتباع تقليدكم، بل هذا هو الواقع والعقل لا يستشكله.

ج) قصة هرقل

هرقل هو ملك الشام، وكان أحد أكابر علماء النصارى، وله قصة مع أبي سفيان حيث أدخله عليه، وأجلسه بين يديه، وأجلس أصحابه خلفه، ودعا بترجمانه، فقال: قل لهم إني سألت هذا عن الرجل الذي يزعم أنه نبي، فإن كذبتني فكذبوه، فقال أبو سفيان: وأيم الله، لولا مخافة أن يُؤثّر عليّ الكذب لكذبت، ثم قال لترجمانه: سلّه كيف حسبه فيكم؟ قال أبو سفيان هو فينا ذو حسب، قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قال: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا. قال: ومن اتبعه أشرف الناس أم ضعفاءهم؟ قال: بل ضعفاؤهم، قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قال: لا، بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد منهم بعد أن يدخل فيه سخطة له؟ قال: لا، قال: فهل قاتلتموه؟ قال: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قال: يكون الحرب بيننا وبينه سجالاتاً، يصيب منا ونصيب منه، قال: فهل يغدر؟ قال: لا، ونحن منه في مدة ما ندري ما هو صانع فيها، قال: فوالله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه، قال: فهل قال هذا القول أحد قبليه؟ قال: لا، قال لترجمانه: قل له أي سألتك عن حسبه، فزعمت أنه فيكم ذو حسب، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها. وسألتك هل كان في آبائه ملك، فزعمت أن لا، فقلت: لو كان في آبائه ملك، لقلت رجل يطلب ملك آبائه. وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم أم أشرفهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس، ثم يذهب فيكذب على الله عز وجل. وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخله سخطة له؟ فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب. وسألتك هل يزيدون أم ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون؟ وكذلك الإيمان حتى يتم. وسألتك هل قاتلتموه؟ فزعمت أنكم قاتلتموه فيكون الحرب بينكم وبينه سجالاتاً ينال منكم وتنالون منه، وكذلك الرسل تبئلي، ثم تكون لها العاقبة. وسألتك هل يغدر؟ فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك

الرسول لا تغدر. وسألتك هل قال هذا القول أحد قبله؟ فزعمت أن لا، فقلت: لو قال هذا القول أحد من قبله قلت: رجل إنتم بقول قيل قبله. ثم قال: فيم يأمركم؟ قلت: يأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصلة، والعفاف، قال إن يكن ما تقول حقا إنه لنبي، وقد كنت أعلم أنه خارج ولكن لم أكن أظنه منكم، ولو أعلم أنني أخلص إليه لا حببت لقاؤه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، وليبلغن ملكه ما تحت قدمي. ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراه، فإذا فيه "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فأني أدعوك بدعاية إذ أسلم تسلم، أسلم يؤتلك الله أجره مرتين، وإن توليت فإن عليك لعنة الأريسيين و يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا أشهد بأنا مسلمون" فلما قرأه، وفرغ من قراءة الكتاب، ارتفعت الأصوات عنده، وكثر اللغط، وأمر بنا فأخرجنا.

ثم أذن هرقل عظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم! هل لكم في الفلاح والرشد، وأن تثبت مملكتكم فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حصية حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم، وأيس من الإيمان، قال: ردوهم علي، فقال: إني قلت مقالتي أنفا أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت، فسجدوا له، ورضوا عنه. فهذا ملك الروم، وكان من علمائهم أيضا، عرف وأقر أنه نبي، وأنه سيملك ما تحت قدميه، وأحب الدخول في الإسلام، فدعا قومه إليه فولوا عنه معرضين كأنهم حمر مستنفرة، فرت من قسورة، فمنعه من الإسلام الخوف على ملكه ورياسته، ومنع أشباه الحمير ما منع الأمم قبلهم.

و الأسباب المانعة من قبول الحق كثيرة جدا، فمنها: (أ) الجهل به

قال ابن القيم: من جهل شيئا عاداه، وعادى أهله، فإن انضاف إلى هذا السبب بغض من أمره بالحق، ومعاداته له، وحسده، كان المانع من القبول أقوى، فإن انضاف إلى ذلك ألفه وعاداته ومرباه على ما كان عليه أبأوه، ومن يحبه ويعظمه، قوي المانع، فإن انضاف إلى ذلك، توهمه أن الحق الذي دعي إليه يحول بينه وبين جاهه وعزه وشهوته وأغراضه، قوى المانع من القبول جدا، فإن انضاف إلى ذلك، خوفه من أصحابه وعشيرته وقومه على نفسه وماله وجاهه. كما وقع لهرقل ملك النصارى بالشام على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ازداد المانع من قبول الحق قوة، فإن هرقل عرف الحق وهم بالدخول في الإسلام فلم يطاوعه قومه وخافهم على نفسه، فاختر الكفر على الإسلام، بعد ما تبين له الهدى.

(ب) الحسد

يقول تعالى في سورة البقرة: "وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" يرى الحاسد المحسود قد فضّل عليه، وأوتي ما لم يؤت نظيره، فلا يدعه الحسد أن ينقاد له، ويكون من أتباعه، وهل منع إبليس من السجود لآدم إلا الحسد؟! فإنه لما رآه قد فضل عليه، ورفع فوقه، غص بريقه، واختار الكفر على الإيمان بعد إن كان بين الملائكة. وهذا الداء هو الذي منع اليهود من الإيمان بعبسى ابن مريم، وقد علموا علما لا شك فيه أنه رسول الله جاء بالبينات والهدى، فحملهم الحسد على أن اختاروا الكفر على الإيمان وأطبّقوا عليه، وهم أمة فيهم الأحبار، والعلماء، والزهاد، والقضاة، والأمراء. هذا وقد جاء المسيح بحكم التوراة لم يأت بشريعة يخالفها ولم يقاتلهم، وإنما أتى بتحليل بعض ما حرم عليهم، تخفيفا ورحمة وإحسانا، وجاء مكملا لشريعة التوراة، ومع هذا اختاروا الكفر على الإيمان. فكيف يكون حالهم مع

نبي جاء بشريعة مستقلة، ناسخة لجميع الشرائع، مخرجاً لهم من ديارهم، وقد قاتلوه وحاربوه، وهو في ذلك كله ينصر عليهم ويظفر بهم، ويعلو هو وأصحابه، وهو معه دائماً في سفال، فكيف لا يملك الحسد والبغي قلوبهم؟ وأين يقع حالهم معه من حالهم مع المسيح، وقد أطبقوا على الكفر به من بعد ما تبين لهم الهدى، وهذا السبب وحده كاف في رد الحق، فكيف إذا انضاف إليه زوال الرياسات والمأكّل كما تقدم. وقد قال المسور بن مخرمة (وهو ابن أخت أبي جهل) لأبي جهل: يا خالي هل كنتم تتهمون محمداً بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقال: يا ابن أختي، والله لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم فينا وهو شاب يُدعى الأمين، فما جربنا عليه كذبا قط. قال: يا خال! فما لكم لا تتبعونه؟! قال: يا ابن أختي، تنازعنا نحن وبنوا هاشم الشرف، فأطعموا وأطعمنا، وسقوا وسقينا، وأجاروا وأجرنا، حتى إذا تجاثنا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي فمتى ندرك مثل هذه. وقال الأحنس بن شريق يوم بدر لأبي جهل: يا أبا الحكم! أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس ها هنا من قریش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا؟ فقال أبو جهل: ويحك! والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء، والحجابه، والسقاية، والنبوة، فماذا يكون لسائر قریش؟!.

الملحق الرابع علامات المؤمن و المنافق

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أئتمن خان" (متفق عليه [البخاري ومسلم])، وقال صلى الله عليه و سلم: "أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر" (متفق عليه [البخاري ومسلم])، وعن سلمان الفارسي قال: دخل أبو بكر وعمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من خلال المنافق: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أئتمن خان"، فخرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما ثقيلان فلقيتهما فقلت: مالي أراكما ثقيلين؟ فقالا: حديثاً سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من خلال المنافق إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أئتمن خان"، قال: أو لا سألتماه؟ قالا: هبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لكني سأسأله، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: لقيني أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وهما ثقيلان وذكرت ما قالوا فقال: "قد حدثتهما ولم أضعه على الموضوع الذي يضعانه، ولكن المنافق إذا حدث بحديث وهو يحدث نفسه إنه يكذب، وإذا وعد وهو يحدث نفسه أنه يخلف، وإذا أئتمن وهو يحدث نفسه أنه يخون" (رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو النعمان عن أبي وقاص وكلاهما مجهول - قاله الترمذي - وبقيّة رجاله موثقون) و عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خمس من الإيمان من لم يكن فيه شيء منها فلا إيمان له: التسليم لأمر الله والرضا بقضاء الله والتفويض إلى أمر الله والتوكل على الله والصبر عند الصدمة الأولى ولم يطعم امرؤ حقيقة الإسلام حتى يأمنه الناس على دمائهم وأمواهم" فقال قائل: يا رسول الله أي الإسلام أفضل؟ قال: "من سلم المسلمون من لسانه ويده، علامات كمنار الطريق: شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحكم بكتاب الله وطاعة النبي الأمي والتسليم على بني آدم إذا لقيتموهم". (رواه البزار) وعن عمرو بن الحمق قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يحق العبد حقيقة الإيمان حتى يغضب لله ويرضى لله فإذا فعل ذلك فقد استحق حقيقة الإيمان، وإن أحبابي وأوليائي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم". (رواه الطبراني في الأوسط) وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في المزاحة والمرء وإن كان صادقا". (رواه أحمد والطبراني في الأوسط) وقال صلى الله عليه وسلم: "تجد المؤمن مجتهدا فيما يطيق، مثلها على ما لا يطيق". مثلها "... أي ذو لهفة على ما لا يطيق فعله من أعمال الخير، يود فعلها. (أحمد في مسنده، تصحيح السيوطي: حسن) وقال صلى الله عليه وسلم: "ثلاث من الإيمان: الحياء، والعفاف، والعِي - عِي اللسان، غير عِي الفقه والعلم. وهن مما ينقصن من الدنيا ويزدن في الآخرة، وما يزدن في الآخرة أكثر مما ينقصن من الدنيا. وثلاث من النفاق: البذاء، والفحش، والشح. وهن مما يزدن في الدنيا وينقصن من الآخرة، وما ينقصن من الآخرة أكثر مما يزدن في الدنيا"، "عِي اللسان": أي عن الكلام عند المخاصمة، أما عِي اللسان عن الفقه والعلم فهو نقص وخسران، "البذاء والفحش": القبح، وذلك في القول أو في الفعل، "الشح": هو أشد البخل. (رسته عن عون بن عبد الله بن عتبة، تصحيح السيوطي: حسن) وقال رجل لعبد الله بن مسعود: إني أخاف أن أكون منافقا قال: لو كنت منافقا ما خفت ذلك. وقال الحسن البصري في عمر رضي الله عنه: هكذا المؤمن جمع إحسانا وشفقة، و المنافق جمع إساءة و عزة. و الله ما وجدت إنسانا ازداد إحسانا إلا وجدته ازداد مخافة و شفقة، و لا ازداد إساءة إلا ازداد عزة. نسأل الله أن يوفقنا حتى يكتمل إيماننا فنزيد مع الإحسان شفقة و يكون صدرنا جامعا رجاء و خشية.

الملحق الخامس سنن الصلاة

أهمية صلاة الجماعة:

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلته في بيته وصلاته في سوقه بضعا وعشرين درجة وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة لا يريد إلا الصلاة فلم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه يقولون اللهم أرحمه اللهم اغفر له اللهم تب عليه ما لم يؤذ فيه ما لم يحدث فيه" (صحيح مسلم)، و يقول صلى الله عليه وسلم: "صلاة رجلين يوم أحدهما صاحبه أركى عند الله من صلاة أربعة تترى، وصلاة أربعة يؤمهم أحدهم أركى عند الله من صلاة ثمانية تترى، وصلاة ثمانية يؤمهم أحدهم أركى عند الله من صلاة مائة تترى" تترى، تترى: الواحد بعد الآخر (الطبراني في الكبير والبيهقي في السنن عن قباث بن أشيم، تصحيح السيوطي: صحيح) و قال صلى الله عليه وسلم: "لقد هممت أن أمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأحرق عليهم بيوتهم" (متفق عليه) و قال صلى الله عليه وسلم: "إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة" (الأربعة [أبو داود، الترمذي، النسائي، ابن ماجه]، تصحيح السيوطي: حسن) و قال صلى الله عليه وسلم: "بشر المشائين في الظلم إلى المساجد، بالنور التام يوم القيامة" (أبو داود والترمذي، تصحيح السيوطي: صحيح)، "في الظلم" أي في الظلام .

من سننه صلى الله عليه وسلم في الوضوء و الطهارة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن ينام، وهو جنب، غسل فرجه، وتوضأ للصلاة". و عن ابن عمر رضي الله عنهما رفعه: "من بات طاهرا بات في شعاره ملك فلا يستيقظ إلا قال الملك: اللهم اغفر لعبدك فلان". (فتح الباري شرح صحيح البخاري)

من سننه صلى الله عليه وسلم في الصلاة:

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ارصوا صفوفكم، وقاربوا بينها، وحاذوا بالأعناق" [بقية الحديث: فوالذي نفسي بيده، إني لأرى الشيطان يدخل من خلال الصف كأنها الحذف] (النسائي عن أنس، تصحيح السيوطي: صحيح)، "حاذوا بالأعناق": بأن يكون عنق كل منكم على سمت عنق الآخر. يقال "حذوت النعل بالنعل" إذا حاذيته به. و "حذاء" الشيء: "إزاؤه". "الحذف": غنم سود صغار. فكأن الشيطان يتصغر حتى يدخل (ويندس كالغنم الصغار) في تضاعيف الصف. قال الإمام جلال الدين السيوطي: وبتعيينه صلى الله عليه وسلم الأعناق لا يبقى شك في أن معنى "المحاذاة" المراد في أحاديث رص الصفوف إنما هو كما فسره العلماء، ومنهم الإمام المناوي في شرحه المذكور أعلاه: جعلها على سمت وخط واحد، وليس المراد "إصاقها" ببعض إذ يستحيل ذلك بالأعناق. هذا ومع أنه لم يرد الأمر، لا من النبي صلى الله عليه وسلم، ولا من الخلفاء الراشدين، ولا من الأئمة المجتهدين، "بالصاق" الأقدام، فإننا نرى من يأمر الناس بذلك عند تسوية الصفوف. ورغم حسن نية من يتبع أدعياء العلم هؤلاء، فلا يخفى ما في عملهم من المساوئ بسبب عدم فهمهم لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبسبب اعتمادهم على ذلك الفهم الخاطئ دون الرجوع إلى شروح الحديث ولا إلى أقوال الصحابة

والأئمة المجتهدين. فمن تلك المساوى الاشتغال عن تطبيق السنة المذكورة أعلاه، أي المحاذاة بالمناكب والأعناق. ومنها أنهم ينحنون، وبذلك يتعذر تطبيق تلك السنة على غيرهم كذلك. ومنها أن المبالغين منهم يتعدون أثناء الصلاة فلا يزالون يمددون أقدامهم ليلصقونها بأقدام رفاقهم في الصف، حتى تصل أقدامهم إلى مكان جارهم أو تحت كتفه أو أكثر، ولا يخفى ما في ذلك من الانشغال عن تدبر صلاتهم، وتشويشهم على الغير. ومنها أن وقفهم لا تخلو من تقريج القدمين وهو تصنع وتفعل مخالف للسنة والفتنة حيث ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان "كما وقف كبر" أي بدون تفعل وتصنع في جميع ما يتعلق بوقفته. ومنها أن الوقفة مع تقريج القدمين إنما هي وقفة التكبر والتحدي، وليست وقفة العبد المتذلل لربه. فنسأل الله تعالى أن يوفقنا لفهم واتباع السنة كما وردت، غير مبدلين ولا مغيرين. آمين. دار الحديث.

و عن طلحة بن عوف "أن ابن عباس صلى على جنازة فقراً بفاتحة الكتاب فقلت له فقال إنه من السنة أو من تمام السنة". قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. (تحفة الأحوذى للمباركفوري) و "كان إذا قام في الصلاة قبض على شماله بيمينه" (الطبراني في الكبير عن وائل بن حجر، تصحيح السيوطي: حسن) و أخرج الطبراني عن ابن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم "كان يعد الآي في الصلاة" و الظاهر أن المراد يعد الآيات التي يقرأها بعد الفاتحة بأصابعه ثم يحتمل كون ذلك خوف النسيان فيما إذا كان مقصده قراءة عدد معلوم كثلاث مثلاً ويحتمل أنه لتشهد له الأصابع. و قال صلى الله عليه وسلم "إذا اشتد الحر فابردوا بالصلاة". (نظم المتناثر)، و قال صلى الله عليه وسلم "لولا أن أشق على أمتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة" (نظم المتناثر). و "كان يوتر على البعير" (البخاري ومسلم) و عن جابر رضي الله عنه "اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلينا وراءه و هو قاعد، فالتفت إلينا فرأنا قياماً، فأشار إلينا فقعدنا، فلما سلم قال: إن كدتم لتفعلوا فعل فارس و الروم، يقومون على ملوكهم و هم قعود، فلا تفعلوا" (أخرجه مسلم). و قال صلى الله عليه وسلم "عجلوا الركعتين بعد المغرب؛ فإنهما ترفعان مع المكتوبة" (ابن نصر عن حذيفة، تصحيح السيوطي: حسن) و من سنن الصلاة كذلك ما وجدت في صحيح البخاري و في شرحه فتح الباري: التقريج بين اليدين حتى يبدو بياض الإبطين. و صلاة التطوع على الدواب حيث توجهت بك (في قبلة أو في غيرها) و ينزل الإنسان منها لصلاة مكتوبة. وكذلك التكبير قبل سجودي السهو. و رفع اليدين عند التكبير في الصلاة ما عدا في السجود و النهوض من السجود. و نصب اليمنى و ثني اليسرى عند الجلوس. و دخول المسجد بالرجل اليمنى: التيمن. هذا و قد شكى إلى النبي صلى الله عليه وسلم الرجل يجد في الصلاة شيئاً أيقطع الصلاة؟ قال: لا، حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً.

و يقول صلى الله عليه وسلم: "إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير، وليضع يديه قبل ركبته" (أبو داود والنسائي عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي: صحيح) و قد كان صلى الله عليه وسلم: "إذا ركع فرج أصابعه، وإذا سجد ضم أصابعه" (الحاكم في المستدرک والبيهقي في السنن عن وائل بن حجر، تصحيح السيوطي: صحيح) و من أدبيات الصلاة أيضاً و سننها أن تخفف على من تأم، فمما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "كان أخف الناس صلاة على الناس، وأطول الناس صلاة لنفسه" (أحمد في مسنده، تصحيح السيوطي: صحيح)

من سنن يوم الجمعة و العيدين:

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا في أربعة: عبداً مملوكاً، أو امرأة، أو صبياً، أو مريضاً" (أبو داود والحاكم في المستدرک عن طارق بن شهاب، تصحيح السيوطي: حسن)، و يقول صلى الله عليه وسلم: "احضروا الجمعة؛ وادنوا من الإمام؛ فإن الرجل لا يزال يتباعد حتى يؤخر في الجنة وإن دخلها" (أحمد في مسنده، تصحيح السيوطي: صحيح)، و يقول صلى الله عليه وسلم: "الغسل يوم الجمعة واجب على كل

محتلم". (متفق عليه [البخاري ومسلم]) و قال صلى الله عليه و سلم: "إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعاً" (صحيح مسلم) و "كان لا يصلي الركعتين بعد الجمعة، ولا الركعتين بعد المغرب، إلا في أهله" (الطيالسي عن ابن عمر، تصحيح السيوطي: حسن) و كان الصحابة رضوان الله عليهم لا يتغذوا إلا بعد الجمعة. و كان (عراك بن مالك) رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: اللهم إني أحببت دعوتك و صليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين (رواه ابن أبي حاتم) و "كان إذا خرج يوم العيد في طريق رجع في غيره" (الترمذي والحاكم في المستدرک عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي: صحيح) و "كان لا يصلي قبل العيد شيئاً؛ فإذا رجع إلى منزله صلى ركعتين" (ابن ماجة عن أبي سعيد، تصحيح السيوطي: حسن) و "كان يخرج إلى العيد ماشياً، ويرجع ماشياً" (ابن ماجة عن ابن عمر، تصحيح السيوطي: حسن) و "كان يذبح أضحيته بيده" (أحمد في مسنده عن أنس، تصحيح السيوطي: صحيح).

تبيان أن 12 ركعة هو الحد الأدنى للدخول إلى دائرة السنة:

سنقوم فيما يلي بمحاولة لجرد ما كان يقوم به صلى الله عليه و سلم من صلاة و الجرد مقتبس من طريقة تفصيل إمامنا مالك، و الله الموفق: قبل صلاة الظهر وبعدها، وقبل صلاة العصر، وبعدها صلاة المغرب، وبعدها صلاة العشاء، وهي غير محدودة العدد ويكفي في تفصيل الندب ركعتان وإن كان الأولى أربع ركعات، إلا بعد المغرب فست ركعات. هذا النوع من النوافل المندوبة ندبا مؤكدا يسمى بالرواتب و هو القسم التابع للفرائض (حسب تقسيم إمامنا مالك). أما بالنسبة للعدد فإن إذا قمت بالأدنى تك أدبت $2+2+2+2=14$ ركعة أي فوق 12 المذكورة. أما إذا قمت بالأولى تك أدبت فقط في هذا القسم من النوافل في اليوم: $4+4+4+4=22$ ركعة (و هو رقم يزيد على 12 المذكورة في حديث الأربعين حديثاً). هذا و قد جاءت آثار حسان في فضل الصلاة بين المغرب والعشاء. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من ركع عشر ركعات بين المغرب والعشاء بني له قصر في الجنة) فقال له عمر بن الخطاب: إذا تكثرت قصورنا وبيوتنا يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الله أكبر وأفضل - أو قال - أطيب) (أخرجه ابن المبارك في الزهد من حديث عبد الكريم بن الحارث)، ومن صلواته صلى الله عليه وسلم كذلك صلاة الضحى و هي صلاة تمتد من طلوع الشمس قدر رمح إلى الزوال. ولا تُضَي إذا خرج وقتها. و أقلها ركعتان، وأوسطها ست، وأكثرها ثمان، ويكره ما زاد على الثماني بنية الضحى أما بنية النفل المطلق فلا مانع. و تتدرج الضحى في قسم النوافل المندوبة ندبا مؤكدا الغير التابعة للفرائض و الموقوتة، شأنها في ذلك شأن التهجد و التراويح و الشفع. ومن صلواته صلى الله عليه وسلم كذلك التهجد و هو نفل الليل وأفضل وقته الثلث الأخير من الليل، لما روى عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله وهل من ساعة أقرب إلى الله تعالى من أخرى؟ قال: جوف الليل الأخير. ويندب الجهر بنفل الليل ما لم يشوش على مصلٍّ آخر. أما عدده فصلاة الليل ركعتين أو أربع أو أكثر. و في فضله: عن أبي تر قال: ثلاثة يضحك الله إليهم ويستبشر الله بهم: رجل قام من الليل وترك فراشه ودفنه، ثم توضأ فأحسن الوضوء، ثم قام إلى الصلاة؛ فيقول الله لملائكته: (ما حمل عبيدي على ما صنع) فيقولون: ربنا أنت أعلم به منا؛ فيقول: (أنا أعلم به ولكن أخبروني) فيقولون: رجيته شيئاً فرجاه وخوفته فحافه. فيقول: (أشهدكم أنني قد أمنتهم مما خاف وأوجب له ما رجاه) قال: ورجل كان في سرية فلقى العدو فانهمز أصحابه وثبت هو حتى يقتل أو يفتح الله عليهم؛ فيقول الله لملائكته مثل هذه القصة. ورجل سرى في ليلة حتى إذا كان في آخر الليل نزل هو وأصحابه، فنام أصحابه وقام هو يصلي؛ فيقول الله لملائكته) وذكر القصة. (أخرجه ابن المبارك) ومن صلواته صلى الله عليه وسلم كذلك التراويح وهي قيام رمضان و تكون بعد صلاة العشاء بعد مغيب الشفق وقبل صلاة الوتر إلى الفجر. ويكره تأخيرها عن الوتر، لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترأ) (البخاري ومسلم). وإذا خرج وقتها فلا

تقضى. أما عددها: 20 ركعة عدا الشفع والوتر، ثم جُعِلت في زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه 36، لكن الذي عليه السلف والخلف أنها 20، والدليل ما روي عن السائب بن يزيد الصحابي رضي الله عنه قال: (كانوا يقومون على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في شهر رمضان، بعشرين ركعة، قال: وكانوا يقومون بالمئين، وكانوا يتوكؤون على عصيهم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه من شدة القيام) (البيهقي بسند صحيح). ومن صلواته صلى الله عليه وسلم كذلك الشفع ووقته بعد صلاة العشاء وقبل صلاة الوتر وأقله ركعتان، وأكثره لا حد له. و مندوباته: أن تقرأ فيه بعد الفاتحة في الركعة الأولى سورة (الأعلى)، وفي الركعة الثانية (الكافرون). وأن تفصل بينه وبين الوتر بسلام، لما روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفصل بين الوتر والشفع بتسليمة ويسمعناها) (رواه أحمد وابن حبان وابن السكن في صحيحهما، والطبراني من حديث إبراهيم الصائغ عن نافع عن ابن عمر به وقواه أحمد). و أن تُأخَّرَ مع الوتر إلى آخر الليل. و أن تجهر به. و أن تصليه جماعة في رمضان. ومن صلواته صلى الله عليه وسلم كذلك تحية المسجد وهي من النوافل المندوبة ندبا مؤكدا الغير التابعة للفرائض و من النوافل ذات السبب (حسب التقسيم الذي جاء به إمامنا مالك)، و يندرج تحت نفس النوعية ركعتا الخروج من السفر و كذا القدوم منه، و ركعتا الاستخارة وهي مندوبة لمن أراد أمراً من الأمور، فيصلي ركعتين بنية الاستخارة ثم يدعو بما ورد في حديث جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلم السورة من القرآن، يقول: (إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر ثم تسميه بعينه - خيراً لي في عاجل أمري وأجله قال: أو في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فأقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، اللهم وإن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: عاجل أمري وأجله - فاصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به) (صحيح البخاري) و ركعتا قضاء الحاجة، و هي مندوبة كذلك لما روى عبد الله بن أبي أوفى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كانت له إلى الله حاجة أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ فليحسن الوضوء، ثم ليصل ركعتين، ثم ليؤمن على الله، وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ليقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، لا تدع لي ذنباً إلى غفرتة، ولا همماً إلا فرجته، ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين) (سنن الترمذي، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب في إسناده مقال). و ركعتا الفزع، و ركعتا التوبة، و ركعتا الطهارة، و الركعتين بين الأذان و الإقامة و من صلواته صلى الله عليه وسلم كذلك الوتر و هو من السنن المؤكدة وهو ركعة واحدة لا قنوت فيها، ولا تقضى إذا فات وقتها. و من مندوباته أن يقرأ فيه بالإخلاص والمعوذتين بعد الفاتحة. و أن يجهر بالقراءة فيه. و من صلواته صلى الله عليه وسلم كذلك ركعتا الطواف و صلاة العيدين و صلاة الكسوف و الخسوف، و كخلاصة وضَّح لنا حديث الأربعين حديثاً سنة نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم في الصلاة: "و تصلي اثنتي عشرة ركعة كل يوم و ليلة، و هي سنتي و ثلاث ركعات وتر". و في حديث آخر: "كان إذا نام من الليل أو مرض صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة" (صحيح مسلم) مما يدل على أنه كان يصلها ليلاً، و يدل أيضاً تبعا لما توصل إليه جردنا أن 12 ركعة هي العدد الأدنى الذي علينا الإتيان به حتى ندخل في دائرة السنة. و صدق الإمام البوصري رحمه الله في برده:

ظلمت سنة من أحيى الظلام إلى أن اثنكت قدماء الضر من ورم

الملحق السادس سنن الصوم

كان صلى الله عليه وسلم يصوم تسع ذي الحجة، ويوم عاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر: أول اثنين من الشهر، والخميس والإثنين من الجمعة الأخرى (أحمد في مسنده وأبو داود والنسائي عن حفصة، تصحيح السيوطي: حسن) وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا صمت من الشهر ثلاثاً فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة" (أحمد في مسنده والترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه عن أبي ذر، تصحيح السيوطي: صحيح) وقال صلى الله عليه وسلم: "صوم يوم عرفة يكفر سنتين: ماضية ومستقبلة. وصوم عاشوراء يكفر سنة ماضية" (صحيح مسلم) والمراد الصغائر. ولا يخفى أن يوم عرفة سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويوم عاشوراء سنة موسى، فجعل سنة نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم تضاعف على سنة موسى في الأجر. وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا انتصف شعبان فلا تصوموا حتى يكون رمضان" (أحمد في مسنده والأربعة [أبو داود، الترمذي، النسائي، ابن ماجه] عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي: حسن) و "كان إذا أفطر عند قوم قال: أفطر عندكم الصائمون، وصلت عليكم الملائكة" (الطبراني في الكبير عن ابن الزبير، تصحيح السيوطي: حسن) وقال صلى الله عليه وسلم: "ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث؛ فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل: "إني صائم، إني صائم" (الحاكم في المستدرک والبيهقي في السنن عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي: صحيح) و من سننه صلى الله عليه وسلم كذلك أنه كان يأمر بالتسحر ويحث عليه (نظم المتناثر)، و كان إذا أدركه الفجر وهو جنب من أهله يغتسل ثم يصوم (نظم المتناثر)، و كان يُقَبَّلُ وهو صائم (متفق عليه [البخاري ومسلم]) فدل ذلك أن القبلة غير مفطرة للصائم...

الملحق السابع سنن الحج

يقول تعالى: "الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَرَوُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ {197}" (سورة البقرة) و الرفث هو كأن تتكلم مع زوجتك في جماع أو ما إلى ذلك. و الفسوق هو العصيان. و الجدال بمعنى الصياح بالكلام. أما أشهر الحج فهي شوال و ذو القعدة و العشر الأوائل من ذي الحجة و ينتهي الحج بيوم النحر، فمن كان موجودا في مكة إذ ذاك وجب عليه الحج و يبدأ المناسك يوم التروية 8 ذي الحجة.

و مما جاء من سنن الحج، يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم: "إن مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحطان الخطايا حطا" (أحمد في مسنده عن ابن عمر، تصحيح السيوطي: حسن) و قال صلى الله عليه و سلم: "الحجر الأسود ياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة، وإنما سودته خطايا المشركين. يبعث يوم القيامة مثل أحد، يشهد لمن استلمه وقبله من أهل الدنيا" (ابن خزيمة عن ابن عباس، تصحيح السيوطي: صحيح) و قال صلى الله عليه و سلم: "إذا قضى أحدكم حجه فليجعل الرجوع إلى أهله؛ فإنه أعظم لأجره" (الحاكم في المستدرک والبيهقي في السنن عن عائشة، تصحيح السيوطي: صحيح) و قال صلى الله عليه و سلم: "ير الحج: إطعام الطعام، وطيب الكلام" (الحاكم في المستدرک عن جابر، تصحيح السيوطي: صحيح) و قال صلى الله عليه و سلم: "الحج سبيل الله، تضعف فيه النفقة سبعمئة ضعف" (سمويه عن أنس) و قال صلى الله عليه و سلم: "التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق" (الأزرقي في تاريخ مكة عن ابن عباس، تصحيح السيوطي: حسن) و قد ذكر الشيخ محمد بن جعفر الكتاني عددا من سننه صلى الله عليه و سلم في الحج و ذلك في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر"، فذكر "أحاديث القرآن": أنه عليه السلام عام حجة الوداع أحرم بالحج قارنا، و أشار إلى "وقوفه يوم الجمعة" بمعنى أن وقوفه عليه السلام بعرفة في حجة الوداع كان يوم الجمعة، و أشار كذلك إلى حديث "رمي الجمار في الحج بسبعين حصاة" و قد ذكر الرافعي في شرحه الكبير أنها متواترة ونصه: وجملة ما يرمي به في الحج سبعون حصاة يرمي إلى جمرة العقبة بسبع حصيات يوم النحر وإحدى وعشرين في كل يوم من أيام التشريق إلى الجمرات الثلاث إلى كل واحدة بسبع، تواتر النقل بذلك قولا وفعلا، ثم ذكر الشيخ الكتاني حديث "لم يزل يلبي إلى أن رمى الخ" أي أنه عليه الصلاة والسلام لم يزل يلبي بعد عرفة إلى أن رمى جمرة العقبة. وفي شرح معاني الآثار للطحاوي ما نصه وقد جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم آثار متواترة بتلبيته بعد عرفة إلى أن رمى جمرة العقبة .

وقال النبي صلى الله عليه و سلم مبرزا ما يقتضيه تحريم مكة: "إن الله حرم مكة و لم تحل لأحد قبلي، و لا لأحد بعدي، و إنما أحلت لي ساعة من نهار، لا يختلى خلاها، و لا يعضد شجرها، و لا ينفر صيدها، و لا يلتقط لقطتها إلا لمعرف". قال عكرمة: هل تدري ما ينفر صيدها؟ هو أن تتحيه من الظل و تنزل مكانه. (صحيح البخاري)

الملحق الثامن سنن الجهاد

أخرج الطبراني في الكبير عن ابن أبي أوفى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه "كان يعجبه أن يلقى العدو عند زوال الشمس" (تصحیح السيوطي: حسن) "كان يعجبه أن يلقى العدو" أي للقتال، "عند زوال الشمس" وذلك لأنه وقت هبوب الرياح ونشاط النفوس وخفة الأجسام كذا قيل وأولى منه أن يقال إنه وقت تفتح فيه أبواب السماء كما ثبت في الحديث وهو يفسر بعضه بعضاً فقد ثبت أنه كان يستحب أن يصلي بعد نصف النهار فقالت عائشة: أراك تستحب الصلاة في هذه الساعة قال: تفتح فيها أبواب السماء وينظر الله تبارك وتعالى بالرحمة إلى خلقه وهي صلاة كان يحافظ عليها آدم وإبراهيم ونوح وموسى وعيسى رواه البزار عن ثوبان وهذا بخلاف الإغارة على العدو فإنه يندب أن يكون أول النهار لأنه وقت غفلتهم كما فعل في خيبر. و "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طلع الفجر أمسك عن القتال حتى تطلع الشمس فإذا طلعت قاتل، فإذا انتصف النهار أمسك حتى تزول الشمس، فإذا زالت الشمس قاتل، فإذا دخل وقت العصر أمسك حتى يصلبها ثم يقاتل، و كان يقال عند ذلك تهيج رياح النصر و يدعو المؤمنون لجيوشهم في صلاتهم" (فتح الباري شرح صحيح البخاري). و قد تعرض الصحابة للأذية محافظة على هذه السنة (أي القتال حتى تزول الشمس) فكانوا يقولون: و تزول الشمس و يطيب القتال و ينزل النصر (فتح الباري شرح صحيح البخاري). و من سننه صلى الله عليه وسلم كذلك "كان يحب أن يخرج إذا غزا يوم خميس" (أحمد في مسنده وصحيح البخاري عن كعب بن مالك، تصحيح السيوطي: صحيح) و كان يذكر الله كثيراً عند القتال: "كان إذا غزا قال: اللهم أنت عضدي، وأنت نصيري، بك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل" (أحمد في مسنده وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والضياء عن أنس، تصحيح السيوطي: صحيح) و "كان إذا أراد أن يستودع الجيش قال: أستودع الله دينكم وأمانتكم، وخواتيم أعمالكم" (أبو داود والحاكم في المستدرک عن عبد الله بن يزيد الخطمي، تصحيح السيوطي: حسن) هذا و قد تعرضت في صحيح البخاري و شرحه فتح الباري على عدد من سننه صلى الله عليه وسلم في الجهاد و منها: الصلاة عند القتال، بمعنى أنه إذا حُكِمَ على المرء بالقتل أو الإعدام فليصلي ركعتين. و القتال بنية أن تكون كلمة الله هي العليا. و النفور عبر سرايا متفرقة: "انفروا ثبات"، و التهليل عند إدخال الرجل في الغرز: غرز ركاب الدابة. و الوضوء و صلاة ركعتين بالمسجد ثم إتيان بيته و زوجاته بعد القدوم من الحرب.

و من سنن الصحابة في الجهاد ما ذكره الإمام ابن حجر رحمه الله كذلك في كتابه فتح الباري، و من جملة ذلك: أمر خالد بن الوليد رضي الله عنه الجيش بالسماح لسورة الأنفال حتى تُحْمَسَهم و تقويهم على عدوهم (في معركة اليرموك)، و منع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس من ركوب البحر في الغزو حتى جاءت خلافة عثمان فأذن لمعاوية في ذلك. هذا و تجدر الإشارة أن الجهاد في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فرض عين، و بعده صلى الله عليه وسلم أصبح فرض كفاية و يتأدى هذا الفرض بفعله في السنة مرة عند الجمهور و من حجتهم أن الجزية تجب بدلا عنه و لا تجب في السنة أكثر من مرة. (فتح الباري شرح صحيح البخاري) و من لطائفه صلى الله عليه وسلم في الجهاد أنه كان يسمي خيله و قد تعرضت لأسمائها فوجدتها مذكورة في فتح الباري، و هي ستة أسماء و هي: اللخيف و اللخيف و الجرادة و لزار و الطرب و عفير و يعفور.

الملحق التاسع نصائح محمدية

إن الدين هو النصيحة، يقول الله تبارك و تعالى: "وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد" والمقصود بالعزة القوة والغلبة. هذه صفة الكافر والمنافق الذاهب بنفسه زهواً، فإياك أخي المؤمن أن يوقعك الحرج في بعض هذا فكفى بالمرء إثماً أن يقول له أخوه: اتق الله، فيقول: عليك بنفسك، مثلك يوصيني! ولأهمية النصيحة في الإسلام ولارتباطها المباشر بالدين، أكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم من نصح أصحابه و أمته، فأمدنا صلى الله عليه وسلم بنصائح جامعة لا تنسقى بعدها أبداً، و قد ارتأيت جمع بعض منها، و هي مرتبة حسب المواضيع، ففيما يتعلّق بالتمسك بالقرآن الكريم، عن أبي شريح الخزاعي قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟" قالوا: بلى، قال: "إن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً". (رواه الطبراني في الكبير)، و فيما يتعلّق بالصلاة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ستكون بعدي أئمة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها. صلوا لوقتها، فإذا حضرتم معهم الصلاة فصلوا"، أي فصلوا معهم تطوعاً (الطبراني في الكبير عن ابن عمرو، تصحيح السيوطي: صحيح) و قال صلى الله عليه وسلم: "فضل الصلاة بالسواك على الصلاة بغير سواك سبعين ضعفاً" (أحمد في مسنده والحاكم في المستدرک عن عائشة، تصحيح السيوطي: صحيح) و قال صلى الله عليه وسلم: "خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في خفافهم ولا نعالهم" (أخرجه أبو داود والحاكم وصححه عن شداد بن أوس)، و قال صلى الله عليه وسلم: "إذا صلى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع على جنبه الأيمن" (أبو داود والترمذي وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي: صحيح)، و فيما يتعلّق بالجهاد، قال صلى الله عليه وسلم: "الحرب خدعة" (متفق عليه [البخاري ومسلم])، قال النووي: اتفقوا على حل خداع الكفار في الحرب كيف كان، حيث لا نقض عهد ولا أمان (أي بشرط عدم نقض العهد، وبشرط عدم وجود أمان مسبق). وهذا الحديث قد عد من الحكم والأمثال. و فيما يتعلّق بالحث على ترك الدنيا لأهلها، قال صلى الله عليه وسلم: "اتركوا الدنيا لأهلها؛ فإنه من أخذ منها فوق ما يكفيه أخذ من حنقه وهو لا يشعر" (الدليمي في مسند الفردوس عن أنس) و قال صلى الله عليه وسلم: "أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: صدق الحديث، وحفظ الأمانة، وحسن الخلق، وعفة مطعم" (أحمد في مسنده، تصحيح السيوطي: حسن) و جاء في حديث أنس رفعه: "أما إن كل بناء وبال على صاحبه إلا ما لا، إلا ما لا" أي إلا ما لا بد منه. (الفتح)، و في الحظ على العمل، قال صلى الله عليه وسلم: " ما كسب الرجل أطيب من عمل يديه" (ابن ماجة من طريق عمر بن سعد عن خالد بن معدان)، و قال صلى الله عليه وسلم: " ما أكل رجل طعاماً قط أحل من عمل يديه" (ابن المنذر)، و قال صلى الله عليه وسلم: " من بات كالا من عمله بات مغفورا له" (في فوائد هشام بن عمار عن بقية)، و فيما يتعلّق بالمعاملات، قال صلى الله عليه وسلم: "ابتغوا الرفعة عند الله: تحلم عن جهل عليك، وتعطي من حرمك" (ابن عدي في الكامل عن ابن عمر) و قال صلى الله عليه وسلم: "إذا أتاك الله مالا فليبر عليك، فإن الله يحب أن يرى أثره على عبده حسنا، ولا يحب البؤس ولا التباؤس" (البخاري في التاريخ والطبراني في الكبير والضياء عن زهير بن أبي عقبة، تصحيح السيوطي: صحيح)، وقال صلى الله عليه وسلم: "أربعون خصلة أعلاهن منحة العنز، لا يعمل عبد بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله تعالى بها الجنة" (صحيح البخاري). و "منحة العنز": أي إعطاء المعز لغيره لينتفع بها مدة، ثم يعيدها. قال ابن حجر "و معلوم أنه صلى الله عليه وسلم كان عالماً بالأربعين المذكورة و إنما لم يذكرها لمعنى هو أنفع لنا من ذكرها، و ذلك خشية أن يكون التعيين لها مزهدا في غيرها من أبواب البر، قال وقد بلغني أن بعضهم تطلبها فوجدها تزيد على أربعين، فما زاده: إعانة الصانع. و الصنعة

للأخرق. و إعطاء شسع النعل. و الستر على المسلم. و الذب عن عرضه. و إدخال السرور عليه. و التمسح في المجلس. و الدلالة على الخير. و الكلام الطيب. و الغرس و الزرع. و الشفاعة. و عيادة المريض. و المصافحة. و المحبة في الله و البغض لأجله. و المجالسة لله و النزاور. و النصح و الرحمة. و كلها من الأحاديث الصحيحة. و فيما يتعلق بما يعيشه الناس في حياتهم اليومية، قال صلى الله عليه و سلم: "لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون". و قال صلى الله عليه و سلم: "الاقتصاد نصف العيش، وحسن الخلق نصف الدين" (الخطيب في التاريخ عن أنس) و "نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم عن قتل النملة و النحلة". (حديث ابن عباس في السنن) و قال صلى الله عليه و سلم: "أقتلوا الحيات و اقتلوا ذا الطفيتين و الأبتير، فإنهما يطمسان البصر و يستسقطان الحمل" أي يسقط الولد. و ذا الطفيتين: جنس من الحيات يكون على ظهره ختان أبيضان. و الأبتير: مقطوع الذنب (و قيل الأبتير الحية القصيرة الذنب) (الفتح)، و قال صلى الله عليه و سلم: "أقتلوا الحيات، فمن تركهن مخافة ثأرهن فليس مني" (الفتح) فنبه الله عز و جل نبيه محمدا صلى الله عليه و سلم على أن الجنس المؤذي يُقتل و إن لم يؤذ، و تُقتل أولاده و إن لم تبلغ الأذى (الفتح)، و فيما يتعلّق بطلب البركة قال صلى الله عليه و سلم: "اتخذوا الغنم فإنها بركة" (الطبراني في الكبير والخطيب في التاريخ عن أم هانئ، ورواه ابن ماجة بلفظ "اتخذني غنما فإنها بركة، تصحيح السيوطي: حسن) و قال صلى الله عليه و سلم: "اختضبوا بالحناء؛ فإنه يزيد في شبابكم، وجمالكم، و نكاحكم" (البخاري، و أبو نعيم في الطب عن أنس) و قال صلى الله عليه و سلم: "عليكم بالسواك، فنعيم الشيء السواك: يذهب بالحفر و ينزع البلغم، و يجلو البصر، و يشد اللثة، و يذهب بالبخار، و يصلح المعدة، و يزيد في درجات الجنة، و يحمد الملائكة، و يرضي الرب، و يسخط الشيطان" (عبد الجبار الخولاني، في تاريخ داريا عن أنس) و "الحفر" داء يفسد أصول الأسنان، و البلغم هو الثخامة، و البخر هو رائحة الفم الكريهة. و قال صلى الله عليه و سلم: "ألبان البقر شفاء، و سمنها دواء، و لحومها داء" (الطبراني في الكبير عن مليكة بنت عمرو، تصحيح السيوطي: حسن)، "وسمنها دواء": لبعض السموم، و فيما يتعلّق ببعض الأدبيات قال صلى الله عليه و سلم: "مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا" (البیهقي في شعب الإيمان عن أنس، تصحيح السيوطي: حسن) و العنب: الشرب بلا تنفّس. و منه الحديث "الْكَبَادُ مِنَ الْعَبِّ" الْكَبَادُ: دَاءٌ يَعْرِضُ لِلْكَدِّ و قال صلى الله عليه و سلم: "إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمنى، وإذا خلع فليبدأ باليسرى، لتكن اليمنى أولهما تتعل، و آخرهما تنزع" (صحيح مسلم) و قال صلى الله عليه و سلم: "إذا نثأب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا قال "ها" ضحك منه الشيطان" (صحيح البخاري عن أبي هريرة)، و قال صلى الله عليه و سلم: "إذا تجشأ أحدكم أو عطس فلا يرفع بهما الصوت؛ فإن الشيطان يحب أن يرفع بهما الصوت" (البیهقي في شعب الإيمان) و قال صلى الله عليه و سلم: "ساقى القوم آخرهم شربا" (صحيح مسلم) و قال صلى الله عليه و سلم: "طيب الرجال ما ظهر ريحه و خفي لونه، و طيب النساء ما ظهر لونه و خفي ريحه" (الترمذي عن أبي هريرة الطبراني في الكبير و الضياء عن أنس، تصحيح السيوطي: حسن) و قال صلى الله عليه و سلم: "لا يأكلن أحدكم بشماله ولا يشربن بها، فإن الشيطان يأكل بشماله و يشرب بها" (أخرجه مسلم) و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "تسموا باسمي، و لا تكتنوا بكنيتي" كأبي القاسم مثلا. (الفتح) و أخرج ابن ماجة و ابن خزيمة من حديث ابن عباس رفعه: "استعينا على صيام النهار بالسحور، و على قيام الليل بالقبولة" و أخرج الطبراني في الأوسط من حديث أنس رفعه قال: "فيلوا فإن الشياطين لا تقيل"، و في الدلالة على الفطرة قال صلى الله عليه و سلم: الفطرة خمس: الختان و الاستحداد و نتف الإبط و قص الشارب و تقليم الأظافر. و حكمة الختان لا تنحصر في تكميل ما يتعلّق بالجماع بل و لما يخشى من انحباس بقية البول في الغرلة و لا سيما للمستحجر فلا يؤمن أن يسيل فينجس الثوب أو البدن، (الفتح) و فيما يتعلّق بالدعوة إلى ستر العورة، قال صلى الله عليه و سلم: "أنشد الله رجال أمتي لا يدخلون الحمام إلا بمنزر، و أنشد الله نساء أمتي لا يدخلن الحمام" (ابن عساكر عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي: حسن)، و في حماية المسلمين من الضرر و الأذى قال صلى الله عليه و سلم: "من حمى مؤمنا من مناقق

يغتابه بعث الله إليه ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مؤمناً بشيء يريد سبه حبسه الله تعالى على جسر جهنم حتى يخرج مما قال" (أخرجه أبو داود وأحمد) وقال صلى الله عليه وسلم: "ثلاث لازمات لأمتي: الطيرة والحسد وسوء الظن"، فقال رجل: وما يذهبهن يا رسول الله ممن هن فيه؟ قال صلى الله عليه وسلم: "إذا حسدت فاستغفر الله، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامض" (رواه الطبراني) و عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم أنه يخدع في البيوع، فقال: إذا بايعت فقل لا خلافة (صحيح البخاري) و"كان يأمر أن نسترقى من العين" (صحيح مسلم عن عائشة)، وفيما يتعلق بتصحیح بعض التصرفات و الأخطاء الشائعة، قال صلى الله عليه وسلم: "لا يقولن أحدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ليقول ما شاء الله ثم شاء فلان" (مختصر تفسير ابن كثير للإمام الصابوني) وعن ابن عباس قال: قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت، فقال: "أجعلتني لله نذاً؟ قل ما شاء الله وحده" (أخرجه النسائي وابن ماجه من حديث عيسى بن يونس) وهذا كله صيانة وحماية لجناب التوحيد والله أعلم. و قال صلى الله عليه وسلم: "لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة فإنه لا مكره له". (متفق عليه)، و قال صلى الله عليه وسلم: " لا يقولن أحدكم إنني صمت رمضان كله وقمته كله " (سنن أبي داود) فلا بد من غفلة من نومة أو رقدة، و قال صلى الله عليه وسلم: "لا يقولن أحدكم عبي وأمتي، ولا يقولن المملوك ربي وربتي، وليقل المالك فتاي وفتاتي، وليقل المملوك سيدي وسيدتي فإنكم المملوكون، والرب الله [عزوجل]" (سنن أبي داود) و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول تعالى يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب ليله ونهاره"، وفي رواية: "لا تسبوا الدهر فإن الله تعالى هو الدهر" (أخرجاه في الصحيحين، ورواه أبو داود والنسائي). وقال الشافعي وأبو عبيدة في تفسير الحديث: كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة، قالوا: يا خيبة الدهر، فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر، ويسبونه، وإنما فاعلها هو الله تعالى، فكانهم إنما سبوا الله عز وجل، لأنه فاعل ذلك في الحقيقة، فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار، لأن الله تعالى هو الدهر الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال. و قال صلى الله عليه وسلم: "السباع حرام" (أحمد في مسنده وأبو يعلى في مسنده والبيهقي في السنن عن أبي سعيد، تصحيح السيوطي: صحيح) و "السباع": أي المفخرة بالجماع. هكذا فسره ابن لهيعة، أحد رواة هذا الحديث. و قال صلى الله عليه وسلم: "إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها" (صحيح مسلم)، "إن من أعظم الأمانة": أي إن من أعظم خيانة الأمانة. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أمسك كلباً ينقص من عمله كل يوم قيراط، إلا كلب حرث أو كلب ماشية". (الفتح)، هذا وقد نبهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن النار لا يعذب بها إلا الله. (الفتح) و أن الملائكة لا تصحب رفقة فيها جرس. (الفتح) و أن من عقد لحيته أو تقلد وترا فإن محمداً بريء منه (الفتح) ونبهنا صلى الله عليه وسلم كذلك فقال "سموا السقط يثقل الله به ميزانكم، فإنه يأتي يوم القيامة يقول: أي رب، أضاعوني فلم يسموني" (ميسرة في مشيخته عن أنس، تصحيح السيوطي: حسن)، وفيما يتعلق بشؤون آخر الزمان قال صلى الله عليه وسلم: "سلامة الرجل في الفتنة أن يلزم بيته" يعني المحل الذي هو مسكنه، بيتاً أو غيره. قال الخطابي: العزلة عند الفتنة سنة الأنبياء وسيرة الحكماء، فلا أعلم لمن عابها عذراً، ولا سلم من تجنبها فخراً (أي أنه لم يسلم الذي تجنب العزلة عند الفتنة بسبب الفخر) (الذيل في مسند الفردوس و أبو الحسن بن المفضل المقدسي في الأربعين المسلسلة عن أبي موسى) و قال صلى الله عليه وسلم: "استمتعوا من هذا البيت، فإنه قد هدم مرتين، ويرفع في الثالثة" (الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرک عن ابن عمر، تصحيح السيوطي: صحيح)، و من ضماناته صلى الله عليه وسلم: "اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة، اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم" (أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرک والبيهقي في شعب الإيمان عن عبادة بن الصامت، تصحيح السيوطي: صحيح)، و قال صلى الله عليه وسلم: "خصال ست ما

من مسلم يموت في واحدة منهن إلا كان ضامنا على الله أن يدخله الجنة: رجل خرج مجاهداً، فإن مات في وجهه كان ضامنا على الله. ورجل تبع جنازة، فإن مات في وجهه كان ضامنا على الله. ورجل توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لصلاة، فإن مات في وجهه كان ضامنا على الله. ورجل في بيته لا يعتاب المسلمين ولا يجر إليه سخطا ولا تبعة، فإن مات في وجهه كان ضامنا على الله" (الطبراني في الأوسط عن عائشة، تصحيح السيوطي: حسن)، "رجل خرج مجاهداً ... فإن مات في وجهه": يعني في سفره ذلك (وهكذا بشأن أعماله الأخرى المذكورة في بقية الحديث)، و قال صلى الله عليه و سلم: "اكفلوا لي ست خصال أكفل لكم الجنة: الصلاة والزكاة والأمانة والفرج والبطن واللسان" (الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة)، و قال صلى الله عليه و سلم: "ألا أحدثكم بما يدخلكم الجنة؟ ضرب بالسيف، وإطعام الضيف، واهتمام بمواقيت الصلاة، وإسباغ الطهور في الليلة القرة، وإطعام الطعام على حبه" (ابن عساكر عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي: حسن)، "القرة": أي الشديدة البرد. و قال صلى الله عليه و سلم: "أربع من كن فيه حرمه الله تعالى على النار، وعصمه من الشيطان: من ملك نفسه حين يرغب وحين يرهب، وحين يشتهي، وحين يغضب. وأربع من كن فيه نشر الله تعالى عليه رحمته وأدخله الجنة: من أوى مسكينا، ورحم الضعيف، ورفق بالمملوك، وأنفق على الوالدين" (الحكيم عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي: صحيح) وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ست من جاء بواحدة جاء وله عهد يوم القيامة، تقول كل واحدة منهن قد كان يعمل بي، الزكاة والصلاة والحج والصيام وأداء الأمانة وصلة الرحم" (مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي) وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من صام رمضان وصلى الصلوات الخمس وحج البيت - لا أدري ذكر الزكاة أم لا - كان حقاً على الله أن يغفر له"، قلت: أخبر به الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ذر الناس يعملون، فإن الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة وأوسطها وفوقها عرش الرحمن وفيها تفجر أنهار الجنة، فإذا سألتهم الله فسلوه الفردوس" (مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي). وعن أبي هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما اجتمعن في امرئ إلا ودخل الجنة) رواه مسلم، و قال صلى الله عليه وسلم: "خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة: من صام يوم الجمعة، وراح إلى الجمعة، وعاد مريضاً، وشهد جنازة، وأعتق رقبة" (أبو يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه عن أبي سعيد، تصحيح السيوطي: صحيح)

و من وصاياه صلى الله عليه وسلم الجامعة يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملة إبراهيم، وخير السنن سنة محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوازمها، وشر الأمور محدثاتها، وأحسن الهدى هدى الأنبياء، وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير العلم ما نفع، وخير الهدى ما اتبع، وشر العمى عمى القلب. واليد العليا خير من اليد السفلى، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة يوم القيامة، ومن الناس من لا يأتي الصلاة إلا دبراً [بعد فوات الوقت]، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجراً، وأعظم الخطايا اللسان الكذوب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله، وخير ما وقر في القلوب اليقين، والارتياح من الكفر، والنياحة من عمل الجاهلية، والغلول من جثا [الشيء المجموع، الحجارة المجموعة] جهنم، والكنز كي من النار، والشعر من مزامير إبليس، والخمر جماع الإثم، والنساء حباله الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، وشر المكاسب كسب الربى، وشر المأكل مال اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من شقي في بطن أمه، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربع

أذرع، والأمر بأخراه، وملاك العمل خواتمه، وشر الروايا روايا الكذب، وكل ما هو آت قريب، وسباب المؤمن فسوق، وقتال المؤمن كفر، وأكل لحمه [اغتيابه] من معصية الله، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يتأل على الله [يحكم عليه كأن يقول: والله ليدخلن النار] يكذبه، ومن يغفر يغفر الله له، ومن يعف الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله، ومن يتبع السمعة [يرائي] يسمع الله به [يفضحه]، ومن يصبر يضعف الله له، ومن يعص الله يعذبه الله. اللهم اغفر لي ولأمتي، اللهم اغفر لي ولأمتي، اللهم اغفر لي ولأمتي، أستغفر الله لي ولكم" (البيهقي في الدلائل وابن عساكر عن عقبة بن عامر الجهني، أبو نصر السجزي في الإبانة عن أبي الدرداء، ابن أبي شيبة عن ابن مسعود موقوفاً، تصحيح السيوطي: حسن)، و قال صلى الله عليه وسلم: "أما بعد، فإن الدنيا خضرة حلوة، وإن الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون. فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء. ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى: منهم من يولد مؤمناً، ويحيا مؤمناً، ويموت مؤمناً؛ ومنهم من يولد كافراً، ويحيا كافراً، ويموت كافراً؛ ومنهم من يولد مؤمناً، ويحيا مؤمناً، ويموت كافراً؛ ومنهم من يولد كافراً، ويحيا كافراً، ويموت مؤمناً. ألا إن الغضب جمرة توقد في جوف ابن آدم؛ ألا ترون إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه؟ فإذا وجد أحدكم شيئاً من ذلك فالأرض الأرض. ألا إن خير الرجال من كان بطيء الغضب سريع الرضا، وشر الرجال من كان سريع الغضب بطيء الرضا؛ فإذا كان الرجل بطيء الغضب بطيء الفيء، وسريع الغضب سريع الفيء، فإنها بها. ألا إن خير التجار من كان حسن القضاء حسن الطلب، وشر التجار من كان سيء القضاء سيء الطلب؛ فإذا كان الرجل حسن القضاء سيء الطلب أو كان سيء القضاء حسن الطلب، فإنها بها. ألا إن لكل غادر لواء يقوم يوم القيامة بقدر غدرته؛ ألا وأكبر الغدر غدر أمير عامة. ألا لا يمنعن رجلاً مهابة الناس أن يتكلم بالحق إذا علمه؛ ألا إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر. ألا إن مثل ما بقي من الدنيا فيما مضى منها، مثل ما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه" (أحمد في مسنده والترمذي والحاكم في المستدرک والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي سعيد، تصحيح السيوطي: حسن) "لقضاء" أي دفع الدين إلى أصحابه، و "الطلب" هو المطالبة بالدين. و عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال أخي موسى عليه السلام: يا رب أرني الذي كنت أريتنني في السفينة، فأوحى الله إليه: يا موسى إنك ستراه، فلم يلبث إلا يسيراً حتى أتاه الخضر في طيب ريح وحسن ثياب البياض فقال: السلام عليك يا موسى بن عمران إن ربك يقرأ عليك السلام ورحمة الله، فقال موسى: هو السلام ومنه السلام وإليه السلام والحمد لله رب العالمين الذي لا أحصي نعمه ولا أقدر على شكره إلا بمعونته، ثم قال موسى: إني أريد أن توصيني بوصية ينفعني الله بها بعدك، قال الخضر: يا طالب العلم إن الفائل أقل ملالة من المستمع فلا تمل جلساءك إذا حدثتهم، واعلم أن قلبك وعاء فانظر ماذا تحشو به وعاءك، واعزف الدنيا وانبذها وراءك فإنها ليست لك بدار ولا لك فيها محل قرار، وإنها جعلت بلغة للعباد ليتزودوا منها للمعاد، ويا موسى وطن نفسك على الصبر تلقى الحلم، وأشعر قلبك التقوى تتل العلم، ورُضُ نفسك على الصبر تخلص من الإثم، يا موسى تفرغ للعلم إن كنت تريده فإنما العلم لمن تفرغ له، ولا تكونن مكثراً بالمنطق مهذاراً فإن كثرة المنطق تشين العلماء وتبدي مساوئ السخفاء، ولكن عليك بذى اقتصاد فإن ذلك من التوفيق والسداد، وأعرض عن الجهال واحلم عن السفهاء فإن ذلك فضل الحكماء وزين العلماء، إذا شتمك الجاهل فاسكت عنه سلماً وجانبه حزماً فإن ما بقي من جهله عليك وشتمه إياك أعظم وأكثر، يا ابن عمران لا تقتحن باباً لا تدري ما غلقه، ولا تغلقن باباً لا تدري ما فتحه، يا ابن عمران من لا ينتهي من الدنيا نهمته ولا تنقضي فيها رغبته كيف يكون عابداً؟ من يحقر حاله ويتهم الله بما قضى له كيف يكون زاهداً؟ هل يكف عن الشهوات من قد غلب عليه هواه وينفعه طلب العلم والجهل قد حواه؟ لأن سفره إلى آخرته وهو مقبل على دنياه، يا موسى تعلم ما تعلم لتعمل به ولا تعلمه لتحدث به فيكون عليك بوره ويكون لغيرك نوره، يا ابن عمران اجعل الزهد والتقوى لباسك والعلم والذكر كلامك، وأكثر من الحسنات فإنك مصيب السيئات، وزعزع بالخوف قلبك فإن ذلك يرضي ربك، واعمل خيراً فإنك

لا بد عامل سواه، قد وعظت إن حفظت. فتولى الخضر وبقي موسى حزينا مكروبا". (رواه الطبراني في الأوسط)، وعن أبي أمامة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد جالسا وكانوا يظنون أن ينزل عليه فأقصروا عنه حتى جاء أبو ذر فاقترح فجلس إليه فأقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا أبا ذر هل صليت اليوم؟" قال: لا، قال: "قم فصل" فلما صلى أربع ركعات الضحى أقبل عليه فقال: "يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الجن والإنس" قال: يا نبي الله وللإنس شياطين؟ قال: "نعم {شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا}" ثم قال: "يا أبا ذر ألا أعلمك كلمات من كنز الجنة؟" قلت: بلى جعلني الله فداءك قال: "قل لا حول ولا قوة إلا بالله". قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله، قال: ثم سكت عني فاستبطأت كلامه قال: قلت: يا نبي الله إنا كنا أهل جاهلية وعبادة أوثان فبعثك الله رحمة للعالمين، أرأيت الصلاة ما هي؟ قال: "خير موضوع من شاء استقل ومن شاء استكثر"، قلت: يا رسول الله أرأيت الصيام ماذا هو؟ قال: "فرض مجزئ" قال: قلت: يا نبي الله أرأيت الصدقة ما هي؟ قال: "أضعاف مضاعفه وعند الله المزيد" قال: قلت: يا نبي الله فأى الصدقة أفضل؟ قال: "سرا إلى فقير وجهد من مقل" قلت: يا نبي الله أيما أنزل عليك أعظم قال: "{الله لا إله إلا هو الحي القيوم} آية الكرسي" قلت: يا نبي الله أي الشهداء أفضل؟ قال: "من سفك دمه وعقر جواده" قلت: يا نبي الله فأى الرقاب أفضل؟ قال: "أغلاها ثمنا وأفسها عند أهلها" قال: قلت: يا نبي الله أي الأنبياء كان أول؟ قال: "آدم عليه السلام" قال: قلت: يا نبي الله ونبي كان آدم؟ قال: "نعم، نبي مكلم خلقه الله بيده ونفخ من روحه ثم قال له: يا آدم قُبُلًا" (أي: عيانا ومقابلة) قال: قلت: يا نبي الله كم عدد الأنبياء؟ قال: "مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلاث مائة وخمسة عشر جمعا غفيرا". (رواه أحمد والطبراني في الكبير وقال: كم عدد الأنبياء؟ قال: "مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا")، وأخرج مسلم: "إن الله يحب الغني النقي الخفي" و المراد بالتقي من يترك المعاصي امتثالاً للمأمور به واجتناباً للمنهى عنه، و الخفي إشارة إلى ترك الرياء و الله أعلم. و تجدر الإشارة أن إضافة حب المال إلى الرجل الفاضل العالم جائز و لا نقص عليه في ذلك فقد أخبر تعالى عن الإنسان "إنه لحب الخير لشديد" و الخير هنا المال اتفاقا. و قال عقبه: لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأته، فأخذت بيده، فقلت: يا رسول الله أخبرني بفواضل الأعمال فقال: "يا عقبه صل من قطعك، وأعط من حرملك، وأعرض عن ظلمك" (رواه أحمد والترمذي). و جاء في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بسبع، ونهانا عن سبع، فذكر: (عيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ورد السلام، ونصر المظلوم، وإجابة الداعي، وإبرار المقسم)، و من وصاياه صلى الله عليه وسلم و نصائحه الجامعة كذلك ما قاله الشيخ جلال الدين السيوطي، قال رحمه الله تعالى: وجدت بخط الشيخ شمس الدين بن القماح في مجموع له عن أبي العباس المستغفري قال: قصدت مصر أريد طلب العلم من الإمام أبي حامد المصري والتمست منه حديث خالد بن الوليد فأمرني بصوم سنة، ثم عاودته في ذلك فأخبرني باسناده عن مشايخه إلى خالد بن الوليد قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني سائلك عما في الدنيا والآخرة، فقال له: سل عما بدا لك. قال: يا نبي الله! أحب أن أكون أعلم الناس، قال: اتق الله تكن أعلم الناس. فقال: أحب أن أكون أغنى الناس، قال: كن قنعا تكن أغنى الناس. قال: أحب أن أكون خير الناس، فقال: خير الناس من ينفع الناس فكن نافعا لهم. فقال: أحب أن أكون أعدل الناس، قال: أحب للناس ما تحب لنفسك تكن أعدل الناس. قال: أحب أن أكون أخص الناس إلى الله تعالى، قال: أكثر ذكر الله تكن أخص العباد إلى الله تعالى. قال: أحب أن أكون من المحسنين، قال: اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يرك. قال: أحب أن يكمل إيماني، قال: حسن خلقك يكمل إيمانك. فقال: أحب أن أكون من المطيعين، قال: أد فرائض الله تكن مطيعا. فقال: أحب أن ألقى الله نقياً من الذنوب، قال اغتسل من الجنابة متطهرا تلقى الله يوم القيامة وما عليك ذنب. قال: أحب أن أحشر يوم القيامة في النور، قال: لا تظلم أحدا تحشر يوم القيامة في النور. قال: أحب أن يرحمني ربي، قال: ارحم نفسك و ارحم خلق الله يرحمك الله. قال: أحب أن تقل ذنوبي، قال: استغفر الله تقل ذنوبك. قال: أحب أن أكون أكرم الناس، قال: لا

تشكون الله إلى الخلق تكن أكرم الناس. فقال: أحب أن يوسع علي في الرزق، قال: دم على الطهارة يوسع عليك في الرزق. قال: أحب أن أكون من أحبائه الله ورسوله، قال: أحب ما أحب الله ورسوله وأبغض ما أبغض الله ورسوله. قال: أحب أن أكون أماناً من سخط الله، قال: لا تغضب على أحد تأمن من غضب الله وسخطه. قال: أحب أن تستجاب دعوتي، قال: اجتنب الحرام تستجب دعوتك. قال: أحب لا يفضحني الله على رؤس الأَشْهاد، قال: احفظ فرجك كيلا تقتضح على رؤس الأَشْهاد. قال: أحب أن يستر الله على عيوبي، قال: استر عيوب إخوانك يستر الله عليك عيوبك. قال: ما الذي يمحو عني الخطايا، قال: الدموع والخضوع والأمرض. قال: أي حسنة أفضل عند الله، قال: حسن الخلق والتواضع والصبر على البلية والرضاء بالقضاء. قال: أي سيئة أعظم عند الله، قال: سوء الخلق والشح المطاع. قال: ما الذي يسكن غضب الرحمن؟ قال: إخفاء الصدقة وصلة الرحم. قال: ما الذي يطفئ نار جهنم؟ قال: الصوم. (كنز العمال للمتقي الهندي).

و من وصايا بعض الصالحين و مواظبتهم، كان حكيما يلتقيان فيعظ أحدهما صاحبه، فالتقيا فقال أحدهما لصاحبه: عظني وأوجز وأجمع فإني لا أقدر أن أقف عليك من العبادة، فقال: احذر أن يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك. و من وصاياهم كذلك الدعوة إلى رحمة الخلق أجمع، قال صلى الله عليه وسلم: "في كل ذات كبد رطبة أجر"، و التحذير من الاستهزاء و المسخرة بأهل الله، فإن وبال ذلك يعود على فاعله يوم القيامة، فيسخر الله منه و يستهزئ به: يأمر تعالى بمن هذه صفته إلى الجنة، حتى ينظر إلى ما فيها من الخير، ثم يُصرف عنها إلى النار، و الملاحظ أن بعض المؤمنين يضحكون من أهل الله في الدنيا و لا سيما الفقهاء إذا رأوا العامة على الاستقامة يتحدثون بما أنعم الله عليهم، يضحكون منهم، و يُظهرون لهم القبول عليهم، و هم في بواطنهم على خلاف ذلك. إنك إذا لم تر منهم ما ينكره دين الله و لا ما يردده العلم الصحيح: النقل و العقل، فإياك و الاستهزاء بهم. قال أحد العارفين: هكذا و الله رأيت فقهاء هذا الزمان مع أهل الله، يتغامزون عليهم و يضحكون منهم و يظهرون القبول عليهم و هم على غير ذلك، فاحذر من هذه صفته لئلا يسرقك الطبع فما أعظم حسرتهم يوم القيامة. و من وصايا الصالحين كذلك التحذير من الإقامة أو الدخول تحت ذمة كافر ما استطاع المرء فالمقيم بين أظهر الكفار مع تمكنه من الخروج بين ظهرانيهم لا حظ له في الإسلام، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد تبرأ منه، و لا يتبرأ صلى الله عليه وسلم من مسلم، و قد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال: "أنا بريء من مسلم يقيم بين أظهر المشركين" و قال تعالى فيمن مات و هو بين أظهر المشركين: "إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا: فيم كنتم؟ قالوا: كنا مستضعفين في الأرض، قالوا: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟ فأولئك مأواهم جهنم و ساءت مصيرا" (النساء 97)، و لا يخفى أن الإقامة بين أظهر الكفار فيها إهانة لدين الإسلام، و إعلاء لكلمة الكفر على كلمة الله تعالى، فإن الله ما أمر بقتال إلا لتكون كلمة الله هي العليا و كلمة الذين كفروا هي السفلى، فلو أن جالياتنا الإسلامية بفرنسا مثلا رجعت إلى بلدانها خاصة بعد منع الحجاب، لتقوى الإسلام و لضرب له ألف حساب، لكن مع الأسف: ضعُف و استضعُف، و جالياتنا تقول أن بفرنسا مصدر رزقها الوحيد، و كأنهم لم يقرأوا كتاب الله، و لا حول و لا قوة إلا بالله. و من تجارب الصالحين و وصاياهم كذلك: كان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول: إذا صحبت أحدا لا تسأل عن مودته لك، و لكن انظر ما في قلبك و نفسك، فإن ما عندك مثل الذي عنده على حد سواء. هذا و اعلم أنه لاستيفاء حق صاحبك عليك بعدم الحسد على نعمته و ستر زلاته و مواساته بالمال فهذا هو دليل وفائك له. و قال صلى الله عليه وسلم: "لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم" (صحيح البخاري). أي إذا أذنب ذنبا لا ترفضه و تُلطِّف بنصحه فذلك أولى من العنف و الغلظة و القطيعة. و هو بدوره يجب أن يكون صادقا معك فصديقك من صدقك لا من صدقك (بتشديد الدال). و ليس كل صديق ناصحا، لكن كل ناصح صديق فيما نصح فيه.

الملحق العاشر الخلق الحسن أكثر ما يدخل الناس الجنة

عن أبي هريرة قال: "سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: الفم والفرج" (رواه الترمذي وقال حديث صحيح). قال الطيبي قوله: تقوى الله إشارة إلى حسن المعاملة مع الخالق بأن يأتي جميع ما أمره به وينتهي عن ما نهى عنه وحسن الخلق إشارة إلى حسن المعاملة مع الخلق وهاتان الخصلتان موجبتان لدخول الجنة ونقيضهما لدخول النار. فأوقع الفم والفرج مقابلا لهما. أما الفم فمشمتم على اللسان، وحفظه ملاك أمر الدين كله وأكل الحلال رأس التقوى كله. وأما الفرج فصونه من أعظم مراتب الدين قال تعالى: {والذين هم لفروجهم حافظون} لأن هذه الشهوة أغلب الشهوات على الإنسان وأعصاها على العقل عند الهيجان، ومن ترك الزنا خوفاً من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الأسباب لا سيما عند صدق الشهوة وصل إلى درجة الصديقين قال تعالى {وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى} ومعنى الأكثرية في الجملتين أن أكثر أسباب السعادة الأبدية الجمع بين الخلتين وأن أكثر أسباب الشقاوة السرمدية الجمع بين هاتين الخصلتين. و قال الغزالي: الخلق الحسن أفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والردائل الواضحة. انتهى كلام الإمام. قال الإمام المناوي: حسن الخلق نصف الدين لأن حسنه يؤدي إلى صفاء القلب ونزاهته وإذا صفا وطهر عظم النور وانشرح الصدر فكان هو الباعث الأعظم على إدراك أسرار أحكام الدين فهو نصف بهذا الاعتبار.

و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أثقل ما يوضع بالميزان الخلق الحسن" (رواه أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء، ورواه ابن حبان عن أبي الدرداء أيضا بلفظ أثقل شيء في الميزان الخلق الحسن، ورواه البيهقي عن أبي الدرداء أيضا بلفظ أثقل شيء في ميزان المؤمن خلق حسن، إن الله يبغض الفاحش المتفحش البذيء، وبهذه الطرق يتبين أنه حسن أو صحيح) وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من أحب، فمن أعطاه الدين فقد أحبه، والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه" قلت: وما بوائقه يا نبي الله؟ قال: "غشه وظلمه ولا يكسب مالا من حرام فينفق منه فيبأرك له فيه ولا يتصدق منه فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكنه يمحو السيئ بالحسن إن الخبيث لا يمحو الخبيث. (رواه أحمد قال الحافظ الهيثمي : ورجال إسناده بعضهم مستور وأكثرهم ثقات) و قال صلى الله عليه وسلم "إذا سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوا، وإذا سمعتم برجل زال عن خلقه فلا تصدقوا؛ فإنه يصير إلى ما جبل عليه" (أحمد في مسنده عن أبي الدرداء، قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح إلا أن الزهري لم يدرك أبا الدرداء وقال السخاوي: حديث منقطع) وللبخاري في الأدب المفرد وابن حبان والحاكم والطبراني من حديث أسامة بن شريك "قالوا: يا رسول الله من أحب عباد الله إلى الله؟ قال: أحسنهم خلقا".

و خير دال على الخلق الحسن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي قال فيه الله عز وجل: "وإنك لعلى خلق عظيم" (القلم 4)، وكذا من تبعه من صحابته الأكرمين، رضوان الله عليهم

أجمعين، قال ابن حزم "من أراد خير الآخرة و حكم الدنيا و عدل السيرة و الاحتواء على محاسن الأخلاق كلها و استحقاق الفضائل بأسرها فليقتد بمحمد رسول الله و يستعمل أخلاقه و سيرته ما أمكن"، يقول تعالى: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم" (التوبة 128)، و قال صلى الله عليه و سلم: "إنما يرحم الله من عباده الرحماء" (الطبراني في الكبير عن جرير، صحيح السيوطي: صحيح)، وقال صلى الله عليه و سلم: "إن من أخلاق المؤمن قوة في دين، و حزمًا في لين، و إيمانًا في يقين، و حرصًا في علم، و شفقة في معة، و حلما في علم، و قصدا في غنى، و تجملا في فاقة، و تحرجا عن طمع، و كسبا في حلال، و برا في استقامة، و نشاطا في هدى، و نهيا عن شهوة، و رحمة للمجهود. و إن المؤمن من عباد الله لا يَحيف على من يبغض، و لا يَأثم فيمن يحب، و لا يضيع ما استودع، و لا يحسد، و لا يطعن، و لا يلعن، و يعترف بالحق و إن لم يشهد عليه، و لا يتناز بالآلقاب، في الصلاة مخشعا، إلى الزكاة مسرعا، في الزلازل و قورا، في الرخاء شكورا، قانعا بالذي له، لا يدعي ما ليس له، و لا يجمع في الغيظ، و لا يغلبه الشح عن معروف يريده، يخالط الناس كي يعلم، و يناطق الناس كي يفهم، و إن ظلم و بُغِيَ عليه صَبَرَ حتى يكون الرحمن هو الذي ينتصر له"، "معة": مشتقة من الأعماء. و "شفقة في معة": أي شفقة بدون مبالغة. (الحكيم عن جندب بن عبد الله) و قال صلى الله عليه و سلم: "ثلاثة من مكارم الأخلاق عند الله: أن تعفو عن ظلمك، و تعطى من حرمك، و تصل من قطعك" (الخطيب في التاريخ عن أنس، صحيح السيوطي: حسن)، هذا و قد كان صلى الله عليه و سلم أحلم الناس و أشجعهم (أخرج مسلم من حديث البراء: "كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه و سلم في الحرب لقربه من العدو"). و كان أعدلهم و أعفهم. و كان أسخى الناس. و لم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقتها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه. و كان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد. و كان في بيته أشد حياء من العاتق، لا يسألهم طعاما و لا يتشاهاه عليهم، إن أطعموه أكل و ما أعطوه قبل و ما سقوه شرب. و كان يخصف النعل و يبرقع الثوب و يخدم في مهنة أهله و يقطع اللحم معهم. و يسابق أهله. و كان لا يطرق أهله ليلا. و كان قليل الأكل و إذا تغذى لم يتعش و عكسه و ربما طوى أياما عليه الصلاة و السلام. و كان يعصب الحجر على بطنه من الجوع. و لم يشبع من خبز 3 أيام متوالية حتى لقي الله تعالى إيثارا على نفسه لا فقرا و لا بخلا. و كان يحب الطيب و يكره الرائحة الرديئة. و كان أكثر طعامه: الماء و التمر. و ما ذم طعاما قط. و ما عاب صلى الله عليه و سلم مضجعا، و إن فرشوا له اضطجع، و إن لم يفرش له اضطجع على الأرض. لا يبيت عنده دينار و لا درهم و إن فضل شيء و لم يجد من يعطيه و فجأه الليل لم يأو إلى منزله حتى يبتأ منه إلى من يحتاج إليه. لا يأخذ مما أتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر و الشعير و يضع سائر ذلك في سبيل الله. ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى إنه لربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء. و لا يُسألُ شيئا إلا أعطاه. جاء في صحيح مسلم أن رجلا سأل الرسول صلى الله عليه و سلم فأعطاه قطيعا من الغنم بين جبلين، فجاء الرجل قومه و قال لهم: أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر. و كان يجيب دعوة العبد و الحر. و لا يستكبر عن إجابة الأمة و المسكين. ما لعن امرأة قط و لا خادما بلعنة. و ما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا قام معه في حاجته. و كان صلى الله عليه و سلم لا يجلس إليه أحد و هو يصلي إلا خفف صلاته و أقبل عليه فقال: ألك حاجة؟ و كان لا يأكل متكئا، و لا يطاء عقبه رجلان، أي لا يمشي خلفه رجلان كما يفعل الملوك. و كان يكره أن يمشي أمام القوم بل في وسط الجمع أو في آخرهم تواضعا لله واستكانة وليطَّعَ على حركات أصحابه و سكناتهم فيعلمهم آداب الشريعة. و كان صلى الله عليه و سلم يقبل الهدية و لو أنها جرة لبن أو فخذ أرنب و يكافئ عليها. و كان يجالس الفقراء و يؤاكل المساكين. و كان أشد الناس تواضعا و أسكنهم في غير كبير و أبلغهم في غير تطويل، و أحسنهم بشرا، لا يهوله شيء من أمور الدنيا، و يلبس ما وجد، فمرة شملة، و مرة برد حبرة يمانيا و مرة جبة صوف، ما وجد من المباح لبس. و كان يكره أن يُرى الخاتم، أي يكره أن يرى خاتم النبوة وهو أثر كان بين كتفيه نعت به في الكتب المتقدمة و كان علامة على نبوته قال الإمام المناوي: وإنما كان يكره أن يُرى لأنه كان بين كتفيه

كما تقرر وهو كان أشد حياء من العذراء في خدرها فكان يكره أن يرى منه ما لا يبدو في المهنة غالباً. و كان يُكْرَمُ أهل الفضل في أخلاقهم و يتألف أهل الشرف بالبر لهم. و كان يدعو لمن سلَّقه و أقرضه بالبركة في المال و الولد. و كان يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم. و كان يُؤْتَى بالصبيان فيبرِّك عليهم أي يدعو لهم بالبركة و يقرأ عليهم الدعاء بالبركة ذكره. و قيل يقول بارك الله عليكم (و يُحَنِّكْهُمْ) بنحو تمر من تمر المدينة المشهود له بالبركة و مزيد الفضل (و يدعو لهم) بالإمداد و الإسعاد و الهداية إلى طرق الرشاد. و كان يعود المرضى، و يشهد الجنائز، و يمشي وحده بين أعدائه بلا حارس. و كان يبدأ من لقيه بالسلام. و كان إذا ودع رجل أخذ بيده فلا يدعها حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده، و يقول: استودع الله دينك، و أمانتك و خواتيم عملك. و ما شتم صلى الله عليه و سلم أحداً من المؤمنين بشتيمة إلا جعل لها كفارة و رحمة. و كان صلى الله عليه و سلم لا يواجه أحداً في وجهه بشيء يكرهه و إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل: ما بال فلان يقول، و لكن يقول: ما بال أقوام يقولون. و كان صلى الله عليه و سلم يقبل معذرة المعتذر إليه. و كان يدعو لمن يؤذيه، لا عليه. و كان يغضب لربه و لا يغضب لنفسه. و ما انتقم من شيء صنَّع إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله. و كان يعرض عن تكلم بغير جميل، قال تعالى "لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم، و كان الله سميعاً عليماً" (النساء 148). و كانت ترفع الأصوات عليه فيصبر. و كان يكره أن يرى الرجل جهيراً رفيع الصوت، و كان يحب أن يراه خفيض الصوت، يقول الإمام المناوي: أخذ منه أن يُسَنَّ للعالمِ صَوْنَ مجلسه عن اللغط و رفع الأصوات و غوغاء الطلبة، و كان صلى الله عليه و سلم أكثر الناس تبسماً و ضحكا في وجوه أصحابه و تعجبا مما تحدثوا به و خلطاً لنفسه بهم. و كان لا يضحك إلا تبسماً. و كان يمزح و لا يقول إلا حقا. و لا يقول المنكر، و لا يقول في الرضا و الغضب إلا الحق. و عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين و هو في قلة و حاجة إلى إنسان واحد يزيد في عدد من معه فأبى و قال: "إنا لا نستعين بمشرك" (أحمد في مسنده و أبو داود و ابن ماجة عن عائشة، تصحيح السيوطي: صحيح). و قيل له في القتال: لو لعنتم يا رسول الله فقال: "إنما بعثت رحمة و لم أبعث لعانا" (أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة) و ما خُيِّرَ بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك. و كان لا يقوم و لا يجلس إلا على ذكر الله. و كان صلى الله عليه و سلم يكره كثرة الكلام، قال صلى الله عليه و سلم: "من كثر كلامه كثرت سقطه و من كثرت سقطه كثرت ذنوبه و من كثرت ذنوبه كثرت النار أولى به" (الطبراني في الأوسط عن ابن عمر)، قال الإمام المناوي شارحا الحديث: لأن السقط ما لا عبرة به و لا نفع فيه فإن كان لغواً لا إثم فيه حوسب على تضييع عمره، و قال لقمان لابنه لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب و قال الغزالي: لا تبسطن لسانك فيفسد عليك شأنك، وفي المثل السائر رب كلمة تقول لصاحبها دعني و نظرت بعضهم إلى رجل يُكثِر الكلام فقال: يا هذا ويحك إنما تملي كتاباً إلى ربك يُقرأ على رؤوس الأشهاد يوم الشدائد و الأهوال و أنت عطشان عريان جوعان فانظر ماذا تملي؟ و قال عمر للأحنف: يا أحنف من كثرت ضحكك قلت هيبته و من مزح استخفَّ به و من أكثر من شيء عُرفَ به و من كثرت كلامه كثرت سقطه و من كثرت سقطه قل حياؤه و من قل حياؤه قل ورعه و من قل ورعه مات قلبه.

و مما يدل على مكارم الأخلاق كذلك، أخلاق أنبياء الله تعالى و أخلاق صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم، يقول تعالى: "إن إبراهيم لحليم أواه منيب" (هود 75)، و يقول سبحانه: "يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين" (القصص 26)، و يقول سبحانه: "و اذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد و كان رسولا نبيا" (مريم 54)، و نذكر من الصحابة رضوان الله عليهم على سبيل المثال ابن عمر رضي الله عنهما، الذي كان يسرع في مشيه و يقول هو أبعد من الزهو و أسرع في الحاجة. قال ابن العربي: المشي على قدر الحاجة هو السنة إسراعاً و بطئاً، لا التصنع فيه و لا التهور.

الملحق الحادي عشر قصة جريج

جاء في صحيح البخاري من كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله و اذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَمْ يَنْكَمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ عَيْسَى وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ كَانَ يُصَلِّي جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ فَقَالَ أَحْبَبْتُهَا أَوْ أُصَلِّي فَقَالَتْ اللَّهُمَّ لَا تُمِئْتُهُ حَتَّى تُرِيَهُ وَجُوهَ الْمُؤْمِسَاتِ وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلِمَتُهُ فَأَبَى فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمَكْنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَلَدَتْ غُلَامًا فَقَالَتْ مِنْ جُرَيْجٍ فَأَتَتْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ فَقَالَ مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ قَالَ الرَّاعِي قَالُوا نَبْنِي صَوْمَعَتِكَ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ لَا إِلَّا مِنْ طِينٍ وَكَانَتْ امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ دُو شَارَةٍ فَقَالَتْ اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ فَتَرَكَ نَدْبَيْهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ فَقَالَ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى نَدْبَيْهَا يَمِصُّهُ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمِصُّ إِصْبَعَهُ ثُمَّ مَرَّ بِأُمَةٍ فَقَالَتْ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ فَتَرَكَ نَدْبَيْهَا فَقَالَ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا فَقَالَتْ لِمَ ذَلِكَ فَقَالَ الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ وَهَذِهِ الْأُمَةُ يَقُولُونَ سَرَقْتَ زَنْبِيَّتِ وَلَمْ تَفْعَلِ.

الشرح:

جاء في حديث أبي سلمة " كان رجل في بني إسرائيل تاجرا، وكان ينقص مرة ويزيد أخرى. فقال: ما في هذه التجارة خير، لألتمسن تجارة هي خير من هذه، فبنى صومعة وترهب فيها، وكان يقال له جريج " فذكر الحديث، قال ابن حجر رحمه الله: ودل ذلك على أنه كان بعد عيسى ابن مريم، وأنه كان من أتباعه لأنهم الذين ابتدعوا الترهب وحبس النفس في الصوامع. وفي حديث عمران بن حصين " وكانت أمه تأتيه فتتأديه فيشرف عليها فيكلمها، فأتته يوما وهو في صلاته " وفي رواية أبي رافع عند أحمد " فأتته أمه ذات يوم فنادته قالت: أي جريج أشرف علي أكلمك، أنا أمك. " وفي رواية الأعرج عند الإسماعيلي "فقال أمي وصلاتي لربي، أوتر صلاتي على أمي، ذكره ثلاثا" و جاء في حديث يزيد بن حوشب عن أبيه رفعه " لو كان جريج عالما لعلم أن إجابة أمه أولى من صلاته. " (فقالت: اللهم لا تمته حتى تریه وجوه المومسات) والمومسات جمع مومسة وهي الزانية العاهرة . (فتعرضت له امرأة فكلمته فأبى، فأنت راعيا فأمكنته من نفسها) و في رواية وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عند أحمد " فذكر بنو إسرائيل عبادة جريج، فقالت بغي منهم: إن سنتم لأفتننه، قالوا قد سننا. فأتته فتعرضت له فلم يلتفت إليها، فأمكننت نفسها من راع كان يؤوي غنمه إلى أصل صومعة جريج " (فولدت غلاما) وفي رواية أبي رافع " فقيل لها ممن هذا؟ فقالت هو من صاحب الدير " وزاد في رواية أحمد " فأخذت، وكان من زنى منهم قتل فقيل لها ممن هذا؟ قالت هو من صاحب الصومعة " زاد الأعرج " نزل إلي من صومعته " وفي رواية الأعرج " فقيل لها من صاحبك؟ قالت جريج الراهب، نزل إلي فأصابني " زاد أبو سلمة في روايته " فذهبوا إلى الملك فأخبروه، قال: أدركوه فأتوني به. " (فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه) وفي رواية أبي رافع " فأقبلوا بفؤوسهم ومساحيهم إلى الدير فنادوه فلم يكلمهم، فأقبلوا يهدمون ديره " وفي حديث عمران " فما شعر حتى سمع بالفؤوس في أصل صومعته فجعل يسألهم: ويلكم ما لكم؟ فلم يجيبوه، فلما رأى ذلك أخذ الحبل فتدلى. " (وسبوه) زاد أحمد عن وهب ابن جرير " وضربوه، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: إنك زנית بهذه " وفي رواية أبي رافع عنده " فقالوا أي جريج انزل، فأبى يقبل على صلاته، فأخذوا في هدم صومعته، فلما رأى ذلك نزل فجعلوا في عنقه وعنقها حبلا وجعلوا يطوفون بهما في الناس. " وفي رواية أبي سلمة " فقال له الملك: ويحك يا جريج، كنا نراك خير الناس فأحبلت هذه، اذهبوا به فاصليوه " وفي حديث عمران " فجعلوا يضربونه ويقولون: مرأء تخادع الناس بعملك " وفي رواية الأعرج "

فلما مروا به نحو بيت الزواني خرجن ينظرن فتبسم، فقالوا: لم يضحك، حتى مر بالزواني." (فتوضأ وصلّى) وفي رواية وهب بن جرير " فقام وصلّى ودعا " وفي حديث عمران " قال فتولوا عني، فتولوا عنه فصلّى ركعتين." (ثم أتى الغلام فقال: من أبوك يا غلام؟ فقال: الراعي) زاد في رواية وهب بن جرير " فطعنه بإصبعه فقال: بالله يا غلام من أبوك؟ فقال: أنا ابن الراعي" وفي رواية أبي سلمة " فأتي بالمرأة والصبي وفمه في ثديها فقال له جريج: يا غلام من أبوك؟ فنزع الغلام فاه من الثدي وقال أبي راعي الضأن " ووقع في " التنبيه لأبي الليث السمرقندي " بغير إسناد أنه قال للمرأة: أين أصبتك؟ قالت: تحت شجرة، فأتى تلك الشجرة فقال: يا شجرة أسألك بالذي خلقتك من زنى بهذه المرأة؟ فقال كل غصن منها: راعي الغنم. (قالوا نبني صومعتك من ذهب، قال: لا إلا من طين) وفي رواية أبي سلمة " فسبح الناس وعجبوا." وفي رواية وهب بن جرير " ابنوها من طين كما كانت " وفي رواية أبي رافع " فقالوا نبني ما هدمنا من ديرك بالذهب والفضة، قال: لا ولكن أعيدوه كما كان، ففعلوا، فقالوا له: بالله مم ضحكت؟ فقال ما ضحكت إلا من دعوة دعيتها علي أمي "

قال ابن حجر رحمه الله : وفي الحديث إيثار إجابة الأم على صلاة التطوع لأن الاستمرار فيها نافلة وإجابة الأم وبرها واجب. وعند المالكية أن إجابة الوالد في النافلة أفضل من التماضي فيها. وحكى القاضي أبو الوليد أن ذلك يختص بالأم دون الأب. وعند الشافعية أن الصلاة إن كانت نفلا وعلم تأذي الوالد بالترك وجبت الإجابة وإلا فلا، وإن كانت فرضا وضاق الوقت لم تجب الإجابة، وإن لم يضق وجب، عند إمام الحرمين. وخالفه غيره لأنها تلزم بالشروع. وقال ابن حجر رحمه الله : وفي الحديث أيضا عظم بر الوالدين وإجابة دعائهما ولو كان الولد معذورا؛ لكن يختلف الحال في ذلك بحسب المقاصد. وفيه الفرق بالتابع إذا جرى منه ما يقتضي التأديب لأن أم جريج مع غضبها منه لم تدع عليه إلا بما دعت به خاصة، ولولا طلبها الفرق به لدعت عليه بوقوع الفاحشة أو القتل. وفيه أن صاحب الصدق مع الله لا تضره الفتن. وفيه قوة يقين جريج المذكور وصحة رجائه، لأنه استنطق المولود مع كون العادة أنه لا ينطق؛ ولولا صحة رجائه بنطقه ما استنطقه. وفيه أن الأمرين إذا تعارضا بدئ بأهمهما، وأن الله يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مخارج، وإنما يتأخر ذلك عن بعضهم في بعض الأوقات تهذيبا وزيادة لهم في الثواب. وفيه إثبات كرامات الأولياء، ووقوع الكرامة لهم باختيارهم وطلبهم. وقال ابن بطال: يحتمل أن يكون جريج كان نبيا فتكون معجزة، كذا قال، وهذا الاحتمال لا يتأتى في حق المرأة التي كلمها ولدها المرضع كما في بقية الحديث. وفيه جواز الأخذ بالأشد في العبادة لمن علم من نفسه قوة على ذلك. واستدل به بعضهم على أن بني إسرائيل كان من شرعهم أن المرأة تصدق فيما تدعيه على الرجال من الوطاء ويلحق به الولد، وأنه لا ينفعه جحد ذلك إلا بحجة تدفع قولها. وفيه أن مرتكب الفاحشة لا تبقى له حرمة، وأن المفزع في الأمور المهمة إلى الله يكون بالتوجه إليه في الصلاة. واستدل بعض المالكية بقول جريج " من أبوك يا غلام " بأن من زنى بامرأة فولدت بنتا لا يحل له التزوج بتلك البنت خلافا للشافعية ولابن الماجشون من المالكية. ووجه الدلالة أن جريجا نسب ابن الزنا للزاني وصدق الله نسبه بما خرق له من العادة في نطق المولود بشهادته له بذلك، وقوله أبي فلان الراعي، فكانت تلك النسبة صحيحة فيلزم أن يجري بينهما أحكام الأبوة والبنوة. وفيه أن الوضوء لا يختص بهذه الأمة خلافا لمن زعم ذلك، وإنما الذي يختص بها الغرة والتحجيل في الآخرة، وقد تقدم في قصة إبراهيم أيضا مثل ذلك في خبر سارة مع الجبار والله أعلم. (من فتح الباري ملخصا وبتصرف)

الملحق الثاني عشر ذكر الله

جمعت في هذا الملحق عددا من أذكار رسول الله صلى الله عليه و سلم و أذكار الصالحين، و قد تعددت عند التعرض للعديد منها عدم التصريح بثوابها، و اكتفيت بالإشارة إلى عظمتها و كبير أجرها و ذلك حتى يكون اجتهادك فيها حبا في الله تعالى لا في أجره و حتى تكون تجارتك معه دون حساب سابق منك، فمن أحصى يحصى الله عليه. يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم متحدثا عن فضل الذكر: "إن الله تعالى يقول: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفاته" (أحمد في مسنده وابن ماجه والحاكم في المستدرک عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي: صحيح) و يقول: "لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة" (أبو داود عن أنس، تصحيح السيوطي: حسن) و قال صلى الله عليه و سلم "أيما قوم جلسوا فأطالوا الجلوس ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله تعالى أو يُصلُّوا على نبيه، كانت عليهم ترة من الله، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم" (الحاكم في المستدرک عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي: صحيح) "ترة" أي نقص. و في حديث ابن عمر رضي الله عنهما رفعه: "يقول الله تعالى من شغله ذكرني عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين". (فتح الباري) و سئل الأوزاعي هل الذكر بعد الصلاة أفضل أم تلاوة القرآن؟ فقال: ليس شيء يعدل القرآن، و لكن كان هدي السلف الذكر (الفتح). و من حديث أبي هريرة و أبي سعيد مرفوعا "لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة، و غشيتهم الرحمة و نزلت عليهم السكينة". (الفتح) و عن أبي هريرة رضي الله عنه: "قال النبي صلى الله عليه و سلم: يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي و أنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي" (الفتح)، فالذكر الخفي خير من ذكر العلانية، إلا أنه لا يعد من الرياء في شيء من عمل عملا لله فاطلع عليه الناس وأعجبه ذلك، لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت أصلي، فدخل علي رجل، فأعجبني ذلك فذكرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "كتب لك أجران: أجر السر و أجر العلانية" (أخرجه الحافظ الموصلي).

و من المعلوم أن أفضل الذكر القرآن الكريم يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم: "اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرأوا الزهراوين: البقرة و آل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيابتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أصحابهما اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة" (صحيح مسلم) و قال أوس: سألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يُحزَّبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده (أخرجه أبو داود وابن ماجه)، بيانه: (ثلاث) البقرة و آل عمران والنساء، و (خمس) المائدة والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة، و (سبع) يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل، و (تسع) سبحان والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان، و (إحدى عشرة) الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان والم السجدة والأحزاب وسبأ وفاطر ويسن، و (ثلاث عشرة) الصافات وص والزمر وغافر وحج السجدة وحج عسق والزخرف والدخان والجاتية والأحقاف والقتال والفتح والحجرات، ثم بعد ذلك الحزب المفصل، كما قاله الصحابة رضي الله عنهم، فتعين أن أوله سورة ق، و قال صلى الله عليه و سلم: "أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المثين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفُضِّلْتُ بالمفصل" (الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان عن وثالة، تصحيح السيوطي: حسن) و قال صلى الله عليه و سلم "خفف على داود القرآن، فكان يأمر بدوابه فتسرج

فيقرأ القرآن من قبل أن تسرج دوابه، ولا يأكل إلا من عمل يده" (صحيح البخاري عن أبي هريرة) و المراد هنا ب"القرآن": الزبور أو التوراة، وقال بعضهم: قرآن كل نبي يطلق على كتابه الذي أوحى إليه. "فيقرأ القرآن من قبل أن تسرج دوابه": أي من قبل الفراغ من إسراجها. ويدل الحديث على أنه سبحانه يطوي الزمان لمن شاء من عباده كما يطوي لهم المكان، وذلك لا يُدرك إلا بفيض سبحاني. قال القسطلاني: قال لي البرهان بن أبي شريف، إن أبا طاهر المقدسي، وهو من معاصريه، كان يقرأ في اليوم واللييلة خمسة عشر ختمة. وقال صلى الله عليه وسلم: "و لكل آية منه نور إلى يوم القيامة، أما إني أعطيت سورة البقرة من الذكر وأعطيت طه والطور من ألواح موسى وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وأعطيت المفصل نافلة" (مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي) هذا وقد تحدثت السنة على فضل تلاوة العديد من السور والآيات، ومن أهم ما أشارت إليه: سورة الفاتحة وآية الكرسي والآيتين الأخيرات من سورة البقرة وهما تكفيانك يومك، وآية { إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى } و سورة الكهف و سورة الفتح و قل هو الله أحد و المعوذات و سورة المؤمنون و سورة طه و سورة يس و سورة حم الدخان و الحواميم السبعة بصفة عامة و سورة الملك و سورة إذا زلزلت، و نذكر على سبيل المثال ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم متحدثاً عن الحواميم: "الحواميم سبع، و أبواب جهنم سبع، تجيء كل حواميم منها تقف على باب من هذه الأبواب تقول: "اللهم لا تدخل هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرأ بي" (البيهقي في شعب الإيمان عن الخليل بن مرة مرسلًا) و"الحواميم": أي السور التي أولها "حم".

و للقرآن الكريم فائدة عظيمة في الاستشفاء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "استشفوا بما حمد الله تعالى به نفسه قبل أن يحمده خلقه، وبما مدح الله تعالى به نفسه "الحمد لله"، و "قل هو الله أحد". فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله" (ابن قانع عن رجاء الغنوي) و "كان صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات، ومسح عنه بيده" (متفق عليه)

و لحفظ القرآن الكريم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه: "ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، وينفع من علمته؟ قال: نعم بأبي أنت وأمي قال: صل ليلة الجمعة أربع ركعات، تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب {ويس}. وفي الثانية بفاتحة الكتاب (وحم) الدخان. وفي الثالثة بفاتحة الكتاب (والم تنزيل) السجدة. وفي الرابعة بفاتحة الكتاب (وتبارك) المفصل. فإذا فرغت من التشهد، فأحمد الله، وأثن عليه، وصل على النبيين، واستغفر للمؤمنين، ثم قل: اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدا ما أبقيتني، وارحمني ما لا أتكلف ما لا يعينني، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني، وأسألك أن تتور بالكتاب بصري، وتطلق به لساني، وتفرج به عن قلبي، وتشرح به صدري، وتستعمل به بدني، وتقويني على ذلك، وتعينني عليه. فإنه لا يعينني على الخير غيرك، ولا يوفق له إلا أنت، فافعل ذلك ثلاث جمع، أو خمسا، أو سبعا، تحفظه بإذن الله. وما أخطأ مؤمنا قط، فأنتي النبي صلى الله عليه وسلم بعد سبع جمع، فأخبره بحفظه القرآن والحديث، فقال النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا ورب الكعبة"، "وما أخطأ مؤمنا قط": أي أن فائدة هذا الدعاء لم تفشل قط في إدراك المؤمن إذا دعا به. (أخرجه الترمذي والطبراني والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: قال علي بن أبي طالب يا رسول الله إن القرآن ينفلت من صدري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث)

و من أفضل الذكر كذلك الهيلة و التكبير و التسبيح و الحمد، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله" (رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصحاحه عن جابر) و هذا لا يتنافى مع كون القرآن أفضل الذكر، ذلك أن "لا إله إلا الله" من القرآن: يقول تعالى في سورة محمد: "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُنْقَلَبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ {19}" و يقول رسول الله صلى الله عليه

و سلم: "الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل، وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره، تقول: "اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم". تقولها ثلاث مرات" (الحكيم عن أبي بكر) قال الحكيم (الترمذي): صغار الشرك كقوله "ما شاء الله وثبتت"، وكباره كالرياء. وقال الإمام المناوي: أفضل الذكر لا إله إلا الله إذ لا يصح الإيمان إلا به، ولأن فيه إثبات الإلهية لله ونفيها عما عداه وليس ذا في سواه من الأذكار، ولأن للتهليل تأثيراً في تطهير الباطن عن الأوصاف الذميمة التي هي معبودات في الظاهر {أفرأيت من اتخذ إلهه هواه} فيفيد نفي عموم الإلهية بقوله "لا إله" ويثبت الواحد بقوله "إلا الله" ويعود الذكر من ظاهر لسانه إلى باطن قلبه فيتمكن ويتولى على جوارحه ويجد حلاوة هذا من ذاق. وقال بعض العارفين: إنما كانت أفضل لأنها كلمة توحيد والتوحيد لا يماثله شيء، إذ لو ماثله شيء ما كان واحداً بل اثنين فصاعداً فما ثم ما يزنه إلا المعادل والمماثل، ولا معادل ولا مماثل، فذلك هو المانع لئلا إله إلا الله أن تدخل الميزان يوم القيامة، فإن الشرك الذي يقابل التوحيد لا يصح وجوده من العبد مع وجود التوحيد فإن الإنسان إما مشرك وإما موحد، فلا يزن التوحيد إلا الشرك، ولا يجتمعان في ميزان أبدأ، فعليك بالذكر بها فإنه الذكر الأقوى وله النور الأضوى والمكانة الزلفى ولا يشعر بذلك إلا من لزمه وعمل به حتى أحكمه وحكمه. و عن ابن عباس رضي الله عنهما: "من قال لا إله إلا الله فليقل على إثرها الحمد لله رب العالمين". (الفتح)

و يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم: "إن سبحان الله، والحمد لله، و لا إله إلا الله، والله أكبر" تنفض الخطايا كما تنفض الشجرة ورقها" (أحمد في مسنده والبخاري في الأدب عن أنس، تصحيح السيوطي: حسن) و قال صلى الله عليه و سلم: "ألا أدلك على غراس هو خير من هذا؟ تقول: "سبحان الله، والحمد لله، و لا إله إلا الله، والله أكبر" يغرس لك بكل كلمة منها شجرة في الجنة" (ابن ماجة والحاكم في المستدرک عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي: صحيح) و قال صلى الله عليه و سلم "خذوا جنتكم من النار، قولوا: "سبحان الله، والحمد لله، و لا إله إلا الله، والله أكبر" فإنهن يأتين يوم القيامة مقدمات ومعقبات ومجنبات، وهن الباقيات الصالحات" (النسائي والحاكم في المستدرک عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي: صحيح) "جنتكم": وقايتكم. وعن عثمان بن عفان قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل: {له مقاليد السموات والأرض} فقال لي: يا عثمان لقد سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك، مقاليد السموات والأرض: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، وأستغفر الله الذي لا إله إلا هو الأول والآخر والظاهر والباطن، يحي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، يا عثمان من قالها في كل يوم مائة مرة أعطي بها عشر خصال، أما أولها: فيغفر له ما تقدم من ذنوبه، وأما الثانية: فيكتب له براءة من النار، وأما الثالثة: فيوكل به ملكان يحفظانه في ليله ونهاره من الآفات والعاهات، وأما الرابعة: فيعطى قطاراً من الأجر، وأما الخامسة: فيكون له أجر من أعتق مائة رقبة محررة من ولد إسماعيل عليه السلام، وأما السادسة: فله من الأجر كمن قرأ التوراة والإنجيل والزيور والفرقان. وأما السابعة: فيبني له بيت في الجنة، وأما الثامنة: فيزوج من الحور العين، وأما التاسعة: فيعقد على رأسه تاج الوقار، وأما العاشرة: فيشفع في سبعين رجلاً من أهل بيته، يا عثمان إن استطعت فلا تفوتك يوماً من الدهر تفرز مع الفائزين، وتسبق بها الأولين والآخرين. (أخرجه ابن مردويه)، و "كان صلى الله عليه وسلم إذا أتاه الأمر يسره قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا أتاه الأمر يكرهه قال: الحمد لله على كل حال" (ابن السني في عمل يوم وليلة الحاكم في المستدرک عن عائشة، تصحيح السيوطي: صحيح) قال بعض العلماء: لو حلف إنسان ليحمدن الله تعالى بمجامع الحمد أو بأجل التحاميد فطريقه في بر يمينه أن يقول: الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافىء مزيده. ومعنى يوافي نعمه: أي يلاقيها فتحصل معه، ويكافىء: أي يساوي مزيد نعمه، ومعناه: يقوم بشكر ما زاده من النعم والإحسان. قالوا: ولو حلف ليعتق على الله تعالى أحسن الثناء، فطريق البر أن يقول: لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك. وزاد بعضهم في آخره: فلك الحمد حتى ترضى. وعن ابن

عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدّثهم "أن عبداً من عباد الله قال: يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك، وعظيم سلطانك، فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها فصعدا إلى الله فقالا: يا ربنا إن عبداً قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها، قال الله - وهو أعلم بما قال عبده - ماذا قال عبدي؟ قالوا: يا رب إنه قال: لك الحمد يا رب كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، فقال الله لهما: اكتبها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها (رواه ابن ماجه عن ابن عمر).

و من أعظم الأذكار كذلك استغفار الله تعالى و العلم بأنه لا يغفر الذنوب إلا هو، قال تعالى: "و استغفروا ربكم إنه كان غفارا، يرسل السماء عليكم مدرارا، و يمددكم بأموال و بنين، و يجعل لكم جنات، و يجعل لكم أنهارا. و الذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم، و من يغفر الذنوب إلا الله، و لم يصروا على ما فعلوا و هم يعلمون". و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا" (ابن ماجه عن عبد الله بن بسر، و إسناده جيد) و قال صلى الله عليه و سلم: "إن ربك ليعجب من عبده إذا قال: رب اغفر لي ذنوبي. [فيقول الله تعالى: قال عبدي ذلك،]- وهو يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري" (أبو داود و الترمذي عن علي، تصحيح السيوطي: صحيح) و قال صلى الله عليه و سلم: "سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها في ليلة فمات في ليلته دخل الجنة، و من قالها في يومه فمات دخل الجنة" (أخرجه البخاري و ابن مردويه) قوله: "و أنا على عهدك و وعدك ما استطعت" يريد العهد الذي أخذه الله على عباده حيث أخرجهم أمثال الذر و أشهدهم على أنفسهم ألاست بربكم فأقروا له بالربوبية و أذعنوا له بالوحدانية. و بالوعد ما قال على لسان نبيه "إن من مات لا يشرك بالله شيئا و أدى ما افترض عليه أن يدخل الجنة". و اشتراط الاستطاعة في ذلك معناه الاعتراف بالعجز و القصور عن كنه الواجب من حقه تعالى. و من أدعية الاستغفار و طرقها نذكر كذلك: "ألا أعلمك كلمات إذا قلتن غفر الله لك، و إن كنت مغفورا لك؟ قل: لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله، سبحان الله رب السموات السبع و رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين" (الترمذي عن علي، تصحيح السيوطي: صحيح) و تجدر الإشارة في النهاية إلى أن من شروط الاستغفار صحة النية و التوجه و الأدب.

و من كنوز الجنة كذلك "لا حول و لا قوة إلا بالله"، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟" "لا حول و لا قوة إلا بالله" (أحمد في مسنده و الترمذي و الحاكم في المستدرک عن قيس بن سعد بن عبادة، تصحيح السيوطي: صحيح) و أخرج البخاري قال النبي صلى الله عليه و سلم: "قل لا حول و لا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة".

أما فيما يخص الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم، يقول تعالى: "إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما" (الأحزاب 56) و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة" (البخاري في التاريخ و الترمذي و ابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود، تصحيح السيوطي: صحيح) و قال صلى الله عليه و سلم: "أتاني أت من عند ربي عز وجل فقال: من صلى عليك من أمك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات و محا عنه عشر سيئات، و رفع له عشر درجات، و رد عليه مثلها" (أحمد في مسنده عن أبي طلحة، تصحيح السيوطي: صحيح) و أخرج ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما: "من نسي الصلاة على خيء طريق الجنة" و من مرسل قتادة: "من الجفاء أن أذكر عند رجل فلا يصلي علي". و من حديث أبي بن كعب: "أن رجلا قال يا رسول الله إني أكثر الصلاة فما أجعل لك من صلاتي؟ قال: بما شئت. قال: التثنت؟ قال ما شئت، و إن زدت فهو خير" إلى أن قال: "أجعل لك كل صلاتي؟ قال: إذا تكفي همك." (أخرجه أحمد و غيره بسند حسن). و قال

صلى الله عليه و سلم "أكثرُوا من الصلاة علي في يوم الجمعة، وليلة الجمعة، فمن فعل ذلك كنت له شهيدا وشافعا يوم القيامة" (البيهقي في شعب الإيمان عن أنس، تصحيح السيوطي: حسن).

و في تفسير الصلاة الإبراهيمية "كما صليت على آل إبراهيم": اشتهر السؤال عن موقع التشبيه مع أن المقرر أن المُشَبَّه دون المُشَبِّه به، و الواقع هنا عكسه لأن محمدا صلى الله عليه و سلم وحده أفضل من آل إبراهيم و من إبراهيم عليه السلام، و قضية كونه أفضل أن تكون الصلاة المطلوبة أفضل من كل صلاة حصلت أو تحصل لغيره، و أجيب عن ذلك بأجوبة: الأول أنه قال ذلك قبل أن يعلم أنه أفضل من إبراهيم، و قد أخرج مسلم من حديث أنس "أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه و سلم: يا خير البرية، قال: ذاك إبراهيم" أشار إليه ابن العربي و أيده بأنه سأل لنفسه التسوية مع إبراهيم و أمر أمته أن يسألوا له ذلك فزاده الله تعالى بغير سؤال أن فضله على إبراهيم. و تعقب بأنه لو كان كذلك لغير صفة الصلاة عليه بعد أن علم أنه أفضل. الثاني أنه قال ذلك تواضعا و شرع ذلك لأتمته ليكتسبوا بذلك الفضيلة. الثالث أن التشبيه إنما هو لأصل الصلاة بأصل الصلاة لا للقدر بالقدر فهو كقوله تعالى: "إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح" و قوله: "كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم". الرابع أن الكاف للتعليل كما في قوله "كما أرسلنا فيكم رسولا منكم" و في قوله تعالى "فأذكروه كما هداكم". الخامس أن المراد أن يجعله خليلا كما جعل إبراهيم، و أن يجعل له لسان صدق كما جعل لإبراهيم مضافا إلى ما حصل له من المحبة، و يرد عليه ما ردا على الأول، و قربه بعضهم بأنه مثل رجلين يملك أحدهما ألفا و يملك الآخر ألفين فسأل صاحب الألفين أن يعطى ألفا أخرى نظير الذي أعطى الأول فيصير المجموع للثاني أضعاف ما للأول. السادس أن قوله "اللهم صل على محمد" مقطوع عن التشبيه فيكون التشبيه متعلقا بقوله "و على آل محمد" و تعقب بأن غير الأنبياء لا يمكن أن يساوا الأنبياء فكيف تطلب لهم صلاة مثل الصلاة التي وقعت لإبراهيم و الأنبياء من آله؟ و يمكن الجواب عن ذلك بأن المطلوب الثواب الحاصل لهم لا جميع الصفات التي كانت سببا للثواب، و قد نقل العمراني في البيان عن الشيخ أبي حامد أنه نقل هذا الجواب عن نص الشافعي و استبعد ابن القيم صحة ذلك عن الشافعي لأنه مع فصاحته و معرفته بلسان العرب لا يقول هذا الكلام الذي يستلزم هذا التركيب الركيك المعيب من كلام العرب، كذا قال و ليس التركيب المذكور بركيك بل التقدير اللهم صل على محمد و صل على آل محمد كما صليت إلخ فلا يمتنع تعلق التشبيه بالجملة الثانية. السابع أن التشبيه إنما هو للمجموع بالمجموع فإن في الأنبياء من آل إبراهيم كثرة، فإذا قوبلت تلك الذوات الكثيرة من إبراهيم و آل إبراهيم بالصفات الكثيرة التي لمحمد أمكن انتقاء التفاضل. قال ابن حجر: و يُعَكَّر على هذا الجواب أنه وقع في حديث أبي سعيد ثاني حديثي الباب مقابلة الاسم فقط و لفظه: "اللهم صل على محمد كما صليت على إبراهيم". الثامن أن التشبيه بالنظر إلى ما يحصل لمحمد و آل محمد من صلاة كل فرد فرد، فيحصل من مجموع صلاة المصلين من أول التعليم إلى آخر الزمن أضعاف ما كان لإبراهيم. التاسع أن التشبيه راجع إلى المصلي فيما يحصل له من الثواب لا بالنسبة إلى ما يحصل للنبي صلى الله عليه و سلم، و هذا ضعيف لأنه يصير كأنه قال اللهم أعطني ثوبا على صلاتي على النبي صلى الله عليه و سلم كما صليت على آل إبراهيم. العاشر دفع المقدمة المذكورة أولا و هي أن المشبه به يكون أرفع من المشبه به، و أن ذلك ليس مطردا، بل قد يكون التشبيه بالمثل بل و بالدون كما في قوله تعالى: "مثل نوره كمشكاة" و أين يقع نور المشكاة من نوره تعالى؟ و لكن لما كان المراد من المشبه به أن يكون شيئا ظاهرا واضحا للسامع حسن تشبيهه بالنور بالمشكاة. و عبّر الطيبي عن ذلك بقوله: ليس التشبيه المذكور من باب إلحاق الناقص بالكامل بل من باب إلحاق ما لم يشتهر بما اشتهر. و قال الحلبي سبب هذا التشبيه أن الملائكة قالت في بيت إبراهيم: "رحمة الله و بركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد" و قد علم أن محمدا و آل محمد من أهل بيت إبراهيم فكأنه قال: أجب دعاء الملائكة الذين قالوا ذلك في محمد و آل محمد كما أحببها عندما قالوها في آل إبراهيم الموجودين حينئذ، و لذلك ختم بما ختمت به الآية و هو قوله "إنك حميد مجيد".

أيها القارئ الكريم اعلم أن ذكر الله مطلوب في كل أحوالك، فهو من علامات أهل الله تعالى و أهل محبته، و من ذلك ذكره سبحانه بما سنّه لنا الحبيب الشفيق المصطفى صلى الله عليه و سلم في العديد من الظروف الخاصة، فإذا خرجت من بيتك ، "كان صلى الله عليه و سلم إذا خرج من بيته قال: باسم الله، التكلان على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله" (ابن ماجة والحاكم في المستدرک وابن السني عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي: صحيح) "كان إذا خرج من بيته قال: باسم الله، توكلت على الله، اللهم إنا نعوذ بك أن نزل أو نضل، أو نظلّم أو نجهل أو يجهل علينا" (الترمذي وابن السني عن أم سلمة، تصحيح السيوطي: صحيح)، و إذا أردت سفرا "كان إذا أراد سفرا قال: اللهم بك أصول، وبك أحول، وبك أسير" (أحمد في مسنده عن علي، تصحيح السيوطي: حسن) و "كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في سفره في إحدى الركعتين باليتين والزيتون" (رواه مالك عن البراء بن عازب) و إذا صعّدت أو نزلت، جاء في حديث جابر قال: "كنا إذا صعّدنا كبرنا و إذا نزلنا سبّحنا". (صحيح البخاري) ذلك أن المكان المنخفض محل ضيق فيشرع فيه التسبيح لأنه من أسباب الفرج. و إذا دخلت المسجد، ادخل و لا شيء في قلبك إلا الله تعالى. "كان صلى الله عليه و سلم إذا دخل المسجد قال: أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم. وقال [يعني الشيطان]:- إذا قال ذلك حفظ مني سائر اليوم" (أبو داود عن ابن عمرو، تصحيح السيوطي: حسن) و "كان إذا دخل المسجد يقول: باسم الله والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج قال: باسم الله، والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك" (أحمد في مسنده وابن ماجة والطبراني في الكبير عن فاطمة الزهراء، تصحيح السيوطي: حسن) و عند القيام للصلاة، يقول تعالى {وسبح بحمد ربك حين تقوم} أي إلى الصلاة: سبحانه اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك (قاله الضحاك وعبد الرحمن بن أسلم)، "وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيئا وما أنا من المشركين. إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين. اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك. تباركت وتعاليت. أستغفرك وأتوب إليك." (صحيح مسلم) و أثناء الصلاة، "كان إذا مر بأية خوف تعوذ، وإذا مر بأية رحمة سأل، وإذا مر بأية تنزيه الله سبحانه" (صحيح مسلم) و عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة: {ألم تنزل} السجدة و {هل أتى على الإنسان} (رواه الطبراني في الصغير ورجاله موثقون) و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بسورة "و المرسلات عرفا" و "و الطور" بالمغرب و بسورة الانشقاق مع السجدة و "و التين و الزيتون" في العشاء و بسورة المؤمنون في الصبح (صحيح البخاري) و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكت بين التكبير و القراءة و كان يقول: "اللهم باعد بيني و بين خطاياي كما باعدت بين المشرق و المغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء و الثلج و البرد" (صحيح البخاري) و روى الإمام أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج، و السماء و الطارق. و دبر كل صلاة، عن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له "يا معاذ إني والله لأحبك، فلا تدع دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك و شكرك و حسن عبادتك" أخرجه أبو داود و النسائي و صححه ابن حبان و الحاكم . و "كان صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا ثم قال: اللهم أنت السلام و منك السلام تباركت يا ذا الجلال و الإكرام" (صحيح مسلم) و عن قبيصة بن المخارق قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي: "يا قبيصة ما جاء بك؟" قلت: كبرت سني ورق عظمي فأتيتك لتعلمني ما ينفعني الله به، قال: "يا قبيصة ما مررت بحجر ولا شجر ولا مدر إلا استغفر لك يا قبيصة إذا صليت الصبح

فقلت ثلاثاً: سبحان الله العظيم وبحمده تعافى من العمى والجذام والفالج، يا قبيصة قل: اللهم إني أسألك مما عندك وأفض علي من فضلك وانشر علي من رحمتك وأنزل علي من بركاتك". (رواه أحمد) و إذا صليت الصبح فقل قبل أن تكلم أحدا من الناس "اللهم أجرني من النار" سبع مرات، فإنك إن مت من يومك ذلك كتب الله لك جواراً من النار، وإذا صليت المغرب فقل قبل أن تكلم أحدا من الناس "اللهم أجرني من النار" سبع مرات، فإنك إن مت من ليلتك كتب الله لك جواراً من النار (أحمد في مسنده وأبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه عن الحارث التميمي، صحيح السيوطي: صحيح) و في قيامك الليل، "كان صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتقطر قدماه" (متفق عليه [البخاري ومسلم]) و كان صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهدج قال: "اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض، ولك الحمد أنت الحق وعدك الحق، و لقاؤك حق وقولك حق، والجنة حق والنار حق والنبيون حق، ومحمد صلى الله عليه وسلم حق والساعة حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله". (صحيح البخاري) و تجدر الإشارة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص على قراءة آل عمران في قيام الليل ليجمع بين الذكر والتفكير، كما جاءت بذلك الآثار، يقول تعالى: "إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار {190} الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه ففينا عذاب النار {191}" (آل عمران) و لهذه السورة أهمية قصوى لتسهيل قيام الليل، فينبغ لمسح النوم من وجهك بقراءة العشر الآيات الأولى منها (من سورة آل عمران)، و للتغلب على النوم بصفة نهائية بقراءة العشر الآيات الأخيرة منها. و في ليلة الجمعة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اقرأوا سورة هود يوم الجمعة" (البیهقي في شعب الإيمان عن كعب مرسل، صحيح السيوطي: صحيح) و قال صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بسورة ملأ عظمها ما بين السماء والأرض، ولكاتبها من الأجر مثل ذلك، ومن قرأها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام، ومن قرأ الخمس الأواخر منها عند نومه بعثه الله أي الليل شاء؟ سورة أصحاب الكهف" (ابن مردويه عن عائشة) و عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين (رواه مسلم في صحيحه). و قال صلى الله عليه وسلم: "أكثرُوا من الصلاة علي في يوم الجمعة، وليلة الجمعة، فمن فعل ذلك كنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة" و عن أوس بن أوس الثقفي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من غسل و اغتسل يوم الجمعة، وبكر و ابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام واستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها" و حين تأوي إلى الفراش، "كان صلى الله عليه وسلم إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ثم يقول: باسمك اللهم أحيا وباسمك أموت، وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور" (حديث متفق عليه) و "كان إذا نام وضع يده اليمنى تحت خده، وقال: اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك" (أحمد في مسنده والترمذي والنسائي عن البراء أحمد في مسنده والترمذي عن حذيفة أحمد في مسنده وابن ماجه عن ابن مسعود، صحيح السيوطي: صحيح) و "كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال: باسم الله وضعت جنبي، اللهم اغفر ذنبي، واخسئ شيطاني، وفك رهاني، وتقل ميزاني، واجعلني في الندي الأعلى" (أبو داود والحاكم في المستدرک عن أبي الأزر، صحيح السيوطي: صحيح) و "كان إذا أوى إلى فراشه قال: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي له" (صحيح مسلم) و قال صلى الله عليه وسلم: "إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب و "قل هو الله أحد" فقد أمنت من كل شيء إلا الموت" (اليزار عن أنس، صحيح السيوطي: حسن) و عن البراء بن عازب رضي الله عنه: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أتيت مضجعتك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع

على شقك الأيمن و قل: اللهم أسلمت وجهي إليك و فوضت أمري إليك، و أجات ظهري إليك، رغبة و رهبة إليك، لا ملجأ و لا منجى منك إلا إليك. آمنت بكتابك الذي أنزلت، و بنبيك الذي أرسلت. فإن مت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تقول" (صحيح البخاري). و "كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك" (الحاكم في المستدرک عن جابر بن عبد الله) و عن أبي هريرة رضي الله عنه: "قال النبي صلى الله عليه و سلم: إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي، و بك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، و إن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين" (متفق عليه) و زاد ابن عجلان عند الترمذي في آخره: "و إذا استيقظ فليقل: الحمد لله الذي عاقاني في جسدي، و رد إلي روحي". و إذا تَصَوَّرْتَ من الليل، "كان إذا تضور من الليل قال: لا إله إلا الله الواحد القهار، رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار" (النسائي والحاكم في المستدرک عن عائشة، تصحيح السيوطي: صحيح) و قال صلى الله عليه و سلم "من أفاق في الليل و قال: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد و هو على كل شيء قدير، الحمد لله و سبحان الله و لا إله إلا الله و الله أكبر، و لا حول و لا قوة إلا بالله، اللهم اغفر لي ثم دعا استجيب له، فإن توضعاً قبلت صلاته". (صحيح البخاري) و إذا دخلت الخلاء، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا دخل أحدكم الخلاء أن يقول "بسم الله"" (أحمد في مسنده و الترمذي وابن ماجة عن علي، تصحيح السيوطي: حسن) و إذا خرجت من الخلاء، "كان إذا خرج من الخلاء قال: الحمد لله الذي أذهب عني الأذى و عاقاني" (ابن ماجة عن أنس النسائي عن أبي ذر، تصحيح السيوطي: صحيح) و إذا دخلت الكنيف، "كان إذا دخل الكنيف قال: باسم الله. اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث" (ابن أبي شيبة عن أنس رضي الله عنه، تصحيح السيوطي: صحيح) و إذا دخلت السوق، "كان إذا دخل السوق قال: باسم الله، اللهم إني أسألك من خير هذه السوق، وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة، أو صفقة خاسرة" (الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرک عن بريدة، تصحيح السيوطي: صحيح) و إذا نزلت منزلاً، قال صلى الله عليه و سلم "لو أن أحدكم إذا نزل منزلاً قال: "أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق" لم يضره في ذلك المنزل شيء حتى يرتحل منه" (ابن ماجة عن خولة بنت حكيم، تصحيح السيوطي: حسن) و إذا فرغت من طعامك، "كان صلى الله عليه و سلم إذا فرغ من طعامه قال: اللهم لك الحمد، أطعمت، وسقيت، وأشبعت، وأرويت، فلك الحمد غير مكفور، ولا مودع، ولا مستغنى عنك" (أحمد في مسنده عن رجل من بني سليم، تصحيح السيوطي: حسن) و "كان إذا فرغ من طعامه قال: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين" (أحمد في مسنده والأربعة [أبو داود، الترمذي، النسائي، ابن ماجة] والضياء عن أبي سعيد، تصحيح السيوطي: صحيح) و "كان إذا رفعت مائدته قال: الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، الحمد لله الذي كفانا وأوانا، غير مكفي ولا مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه، ربنا" (صحيح البخاري) و قال صلى الله عليه و سلم "إن الله تعالى ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها و يشرب الشربة فيحمد الله عليها" (صحيح مسلم) فالحمد على النعمة أمان لزوالها. أما لحضور البركة في الطعام فالقول "بسم الله و به بدينا و لو عبدنا غيره شقيناً فحبذا ربا و حب ديننا" كفيلاً بها إن شاء الله تعالى. و عند العطس، قال صلى الله عليه و سلم: "إذا عطس أحدكم فقال "الحمد لله" قالت الملائكة "رب العالمين" فإذا قال "رب العالمين" قالت الملائكة "رحمك الله" (الطبراني في الكبير عن ابن عباس، تصحيح السيوطي: حسن) و إذا تم مدحك، كان أبو بكر إذا مدح قال: (اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم. اللهم اجعلني خيراً مما يظنون و اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون) (العسكري في المواعظ)، و عند فراغك من مجلسك، كفارة المجلس أن يقول العبد: "سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، أستغفرك وأتوب إليك (الطبراني في الكبير عن ابن عمرو، وعن ابن مسعود، تصحيح السيوطي: صحيح)، و عند تعرُّضِك لما يخيفك، كان صلى الله عليه و سلم إذا خاف قوماً قال: اللهم إنا نجعلك في

نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم (أبو داود والنسائي في الكبرى وهو حديث حسن غريب ورجاله رجال الصحيح). وإذا ظهرت الحية في المسكن مثلاً، قال صلى الله عليه وسلم فقولوا لها "إنا نسألك بعهد نوح، وبعهد سليمان بن داود، أن لا تؤذينا" فإن عادت فاقتلوا (الترمذي عن ابن أبي ليلى، تصحيح السيوطي: حسن) و كان صلى الله عليه وسلم لتسريع الفرج يقول "لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم" (ابن أبي الدنيا في الفرج عن ابن عباس، تصحيح السيوطي: حسن) و عند نزول الكرب و الهمة، أخرج البخاري عن ابن عباس قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو عند الكرب يقول: لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض و رب العرش العظيم" قال العلماء: الحليم الذي يؤخر العقوبة مع القدرة، و العظيم الذي لا شيء يعظم عليه، و الكريم المعطي فضلاً. و قال ابن بطال: حدثني أبو بكر الرازي قال كنت بأصبهان عند أبي نعيم أكتب الحديث، و هناك شيخ يقال له أبو بكر بن علي عليه مدار الفتيا، فسعي به عند السلطان فسجن فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام و جبريل عن يمينه يحرك شفثيه بالتسبيح لا يفتر، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم قل لأبي بكر بن علي يدعو بدعاء الكرب الذي في صحيح البخاري حتى يفرج الله عنه. و عن ابن عباس "إذا نزل بكم كرب أو جهد أو بلاء فقولوا: "الله الله ربنا لا شريك له" (البيهقي في شعب الإيمان، تصحيح السيوطي: حسن) و قال صلى الله عليه وسلم "ألا أعلمك كلمات لو كان عليك مثل جبل صبير دينا آداه الله عنك؟ قل "اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عن سواك" (أحمد في مسنده والترمذي والحاكم في المستدرک عن علي، تصحيح السيوطي: حسن) و قال صلى الله عليه وسلم "ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من أمر الدنيا دعا به ففرج عنه؟ دعاء ذي النون "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" (ابن أبي الدنيا في الفرج الحاكم في المستدرک عن سعد، تصحيح السيوطي: صحيح) و "كان إذا نزل به هم أو غم قال: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث" (الحاكم في المستدرک عن ابن مسعود، تصحيح السيوطي: صحيح) هذا و تجدر الإشارة إلى أهمية الصلاة لمن نابه أمر مهم من الكرب، و عند الغزو و الجهاد، قال صلى الله عليه وسلم "إن الله تعالى يقول: إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو ملاق قرنه" (الترمذي عن عمارة بن زعكرة، تصحيح السيوطي: حسن)، "قرنه": عدوه المقارن له، المكافئ له، في القتال. و قال صلى الله عليه وسلم: "ذاكر الله في الغافلين بمنزلة الصابر في الفارين" (الطبراني في الكبير عن ابن مسعود، تصحيح السيوطي: صحيح) أي الفارين من القتال. و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قفل من الغزو أو الحج أو العمرة يبدأ فيكبر 3 مرات ثم يقول: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد و هو على كل شيء قدير، أيون، تائبون، عابدون، ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، و نصر عبده و هزم الأحزاب وحده." (صحيح البخاري) و "كان إذا غزا قال: اللهم أنت عضدي، وأنت نصيري، بك أحول، و بك أصول، و بك أقاتل" (أحمد في مسنده و أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والضياء عن أنس، تصحيح السيوطي: صحيح) و "كان إذا أراد أن يستودع الجيش قال: أستودع الله دينكم وأمانتكم، و خواتيم أعمالكم" (أبو داود والحاكم في المستدرک عن عبد الله بن يزيد الخطمي، تصحيح السيوطي: حسن) و كان يقول صلى الله عليه وسلم: "لولا أنت ما اهتدينا، و لا تصدقنا و لا صلينا، فأنزل السكينة علينا، و ثبت الأقدام إن لاقينا، إن الألى قد بغوا علينا، إذا أرادوا فتنة أئبنا" و هو دعاء يقال قبل مواجهة العدو (الفتح). و عن أبي رفاعة الزرقي، عن أبيه قال: لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "استوتوا حتى أتني على ربي عز وجل"، فصاروا خلفه صفوفاً، فقال صلى الله عليه وسلم: "اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، و لا باسط لما قبضت، و لا هادي لمن أضللت، و لا مضل لمن هديت، و لا معطي لما منعت، و لا مانع لما أعطيت، و لا مقرب لما باعدت، و لا مباعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك و رحمتك و فضلك و رزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم، الذي لا يحول و لا يزول، اللهم أسألك النعيم يوم العيلة، و الأمن يوم الخوف، اللهم إني عاوذ بك من شر ما أعطيتنا، و من شر ما

منعتنا، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين أتوا الكتاب إله الحق" (أخرجه الإمام أحمد والنسائي). و عند رؤية بعض مكوّنات الطبيعة، "كان إذا رفع بصره إلى السماء قال: يا مصرف القلوب ثبت قلبي على طاعتك" (ابن السني عن عائشة، تصحيح السيوطي: حسن) و كان إذا رأى الهلال قال: "هلال خير ورشد، آمنت بالذي خلقك"، ثلاثا. ثم يقول: "الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا" (أبو داود عن قتادة، تصحيح السيوطي: حسن) و "كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال: اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك" (أحمد في مسنده والترمذي والحاكم في المستدرک عن ابن عمر، تصحيح السيوطي: صحيح) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح قال: "اللهم إني أسألك خيرا وخيرا ما فيها، وخيرا ما أرسلت به؛ وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به". قالت: وإذا تخبّلت السماء تغير لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، وإذا أمطرت سري عنه، فعرفت ذلك عائشة رضي الله عنها، فسألته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عله يا عائشة كما قال قوم عاد: {فلما رأوه عارضا مستقبلا أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا} " (أخرجه مسلم في صحيحه) و "كان إذا هاجت ريح استقبلها بوجهه، وجثا على ركبتيه، ومد يديه، وقال: اللهم إني أسألك من خير هذه الريح، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا، اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا" (الطبراني في الكبير عن ابن عباس، تصحيح السيوطي: حسن) و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا رأيتم الحريق فكبروا؛ فإنه يطفئ النار" (صحيح البخاري).

و من خفايا المنجيات و عظيمها كذلك، لتكفير ذنب الغيبة و الظلم، قال صلى الله عليه و سلم: "كفارة من اغتبت أن تستغفر له" (ابن أبي الدنيا في الصمت عن أنس، تصحيح السيوطي: صحيح) و في كيفية إجبار ترك صلاة الوتر و تسريح الصلاة المعلقة: يكون بصلاة الناقل 4 ركعات يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة و هي الركعات المعدة لكل فائت من الفرض و النفل من أول العمر إلى اليوم الذي صلى فيه الركعات 4 يوم الجمعة فذلك كفارة الجميع، لكن الصلوات المفروضة لا بد من قضائها. و للاستشفاء من الأسقام، إذا اشتكيت فضع يدك حيث تشتكي، ثم قل: "بسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد من وجعي هذا" ثم ارفع يدك، ثم أعد ذلك وترا. أو قل سبع مرات: "أعوذ بعزة الله وقدرته على كل شيء من شر ما أجد" أو قل "بسم الله" ثلاثا، وقل سبع مرات: "أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر (صحيح مسلم) أو قل: "أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك 7 مرات" (النسائي) و "كان صلى الله عليه و سلم إذا أصابه رمد، أو أحد من أصحابه، دعا بهؤلاء الكلمات: اللهم متعني ببصري، واجعله الوارث مني، وأرني في العدو ثأري، وانصرني على من ظلمني" (ابن السني الحاكم في المستدرک عن أنس، تصحيح السيوطي: صحيح)، و عند المصائب، إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل: "إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك أحسن مصيبي فأجرني فيها، و أبدلني بها خيرا منها" (سنن أبي داود، عن أم سلمة رضي الله عنها)، و عند فقدان الحبيب، أوصى رسول الله صلى الله عليه و سلم ابنته فاطمة فقال: قولي إذا مت إنا لله و إنا إليه راجعون (أخرجه الواقدي من مرسل العلاء بن عبد الرحمن)

نسأل الله أن يجعلنا من الذاكرين الله كثيرا في جميع أحوالنا و حالاتنا و ممن يحيي سنة رسوله صلى الله عليه و سلم، أمين و الحمد لله رب العالمين.

الملحق الثالث عشر جامع صغير لأدعية النبي صلى الله عليه وسلم و الصالحين

"اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي، وتجمع بها أمري، وتلم بها شعثي، وتصلح بها غائبي، وترفع بها شاهدي، وتذكي بها عملي، وتلهمني بها رشدي، وترد بها أفتي، وتعصمني بها من كل سوء، اللهم أعطني إيمانا و يقينا ليس بعده كفر، ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك الفوز في القضاء، ونزل الشهداء، وعيش السعداء، والنصر على الأعداء. اللهم إني أنزل بك حاجتي فإن قصر رأيي وضعف عملي اقتقرت إلى رحمتك، فأسألك يا قاضي الأمور، ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السعير، ومن دعوة الثور، ومن فتنة القبور. اللهم ما قصر عنه رأيي ولم تبلغه نيّتي، ولم تبلغه مسألتني، من خير وعدته أحدا من خلقك، أو خير أنت معطيه أحدا من عبادك، فإني أرغب إليك فيه، وأسألك برحمتك يا رب العالمين. اللهم يا ذا الحبل الشديد، والأمر الرشيد، أسألك الأمن يوم الوعيد، والجنة يوم الخلود، مع المقربين الشهود، الركع السجود، الموفين بالعهود، إنك رحيم ودود، وإنك تفعل ما تريد. اللهم اجعلنا هادين مهتدين، غير ضالين ولا مضلين، سلما لأوليائك وعدوا لأعدائك، نحب بحبك من أحبك، ونعادي بعداوتك من خالفك. اللهم هذا الدعاء، وعليك الإجابة، وهذا الجهد وعليك التكلان. اللهم اجعل لي نورا في قلبي، ونورا في قبري، ونورا بين يدي، ونورا من خلفي، ونورا عن يميني، ونورا عن شمالي، ونورا من فوقي، ونورا من تحتي، ونورا في سمعي، ونورا في بصري، ونورا في شعري، ونورا في بشري، ونورا في لحمي، ونورا في دمي، ونورا في عظامي. اللهم أعظم لي نورا وأعطني نورا، واجعل لي نورا. سبحان الذي تعطف بالعز وقال به [أي غلب به على كل عزيز، والقبالة: الإمارة]- سبحان الذي ليس المجد وتكرم به، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له، سبحان ذي الفضل والنعم، سبحان ذي المجد والكرم، سبحان ذي الجلال والإكرام. اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وأجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وأجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، وأسألك مما سألك به محمد، وأعوذ بك مما تعوذ به محمد، وما قضيت لي من قضاء فاجعل عاقبته رشداً. اللهم أمتعني بسمعي وبصري حتى تجعلهما الوارث مني، وعافني في ديني، وفي جسدي، وانصرني ممن ظلمني حتى تريني فيه ثاري. اللهم إني أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، وخليت وجهي إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، أمنت برسولك الذي أرسلت وبكتابك الذي أنزلت ("خليت وجهي إليك": أي فرغت وجهي إليك). اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما يهون علينا مصائب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا؛ واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا. اللهم أصلح ذات بيننا، وألف بين قلوبنا، واهدنا سبل السلام، ونجنا من الظلمات إلى النور، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن. اللهم بارك لنا في أسماعنا، وأبصارنا، وقلوبنا، وأزواجنا، وذرياتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واجعلنا شاكرين لنعمتك، مثنين بها، قابلين لها، وأتمها علينا. اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، وأسألك عزيمة الرشده، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك لسانا صادقا، وقلبا سليما، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأسألك من خير ما تعلم، وأستغفرك مما تعلم؛ إنك أنت علام الغيوب. اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر. اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار. اللهم بعلمك الغيب،

وقدرتك على الخلق: أحييني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي. اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الإخلاص في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيما لا ينفذ، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بالقضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة. اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين. اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء: منزل التوراة والإنجيل والقرآن فالق الحب والنوى. أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين واغنني من الفقر. يا حي يا قيوم، يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا أنت، برحمتك نستغيث، أصلح لنا شئنا كله، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا إلى أحد من خلقك. اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل والهرم، وعذاب القبر وفتنة الدجال. اللهم أت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها. اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها. اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل والهرم، والقسوة والغفلة، والعيلة والذلة والمسكنة، وأعوذ بك من الفقر، والكفر والفسوق، والشقاق والنفاق، والسمة والرياء، وأعوذ بك من الصمم والبكم، والجنون والجذام والبرص، وسيء الأسقام. اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال. اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي، ومن شر بصري، ومن شر لساني، ومن شر قلبي، ومن شر مني. اللهم إني أعوذ بك من خليل مكر عيناه ترياني، وقلبه يرعاني، إن رأى حسنة دفنها، وإن رأى سيئة أذاعها. اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت. اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون. اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان، وشركه. اللهم رب جبريل وميكائيل ورب إسرافيل، أعوذ بك من حر النار، ومن عذاب القبر. اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. اللهم إني أعوذ بك من التردى والهدم والغرق والحرق، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرا، وأعوذ بك أن أموت لديغا. اللهم رب الناس مذهب البأس، أشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، اشف شفاء لا يغادر سقما. اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت. اللهم عافني في جسدي وعافني في بصري، واجعله الوارث مني. لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين. اللهم عافني في قدرتك، وأدخلني في رحمتك، واقض أجلي في طاعتك، واختم لي بخير عملي، واجعل ثوابه الجنة. اللهم إني أسألك صحة في إيمان، وإيمانا في حسن خلق، ونجاحا يتبعه فلاح، ورحمة منك وعافية، ومغفرة منك ورضوانا. اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علما. الحمد لله على كل حال، وأعوذ بالله من حال أهل النار. اللهم أغنني بالعلم، وزيني بالحلم، وأكرمني بالتقوى، وجملني بالعافية. اللهم عافني في قدرتك، وأدخلني في رحمتك، واقض أجلي في طاعتك، واختم لي بخير عملي، واجعل ثوابه الجنة. اللهم أنت خلقت نفسي وأنت توفاهها، لك مماتها ومحياها، إن أحبيتها فاحفظها، وإن أمتها فاغفر لها. اللهم إني أسألك العافية. اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، و آثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض علينا. اللهم اجعلني شكورا، واجعلني صبورا، واجعلني في عيني صغيرا، وفي أعين الناس كبيرا ("وفي أعين الناس كبيرا": ليسهل عليه أمر الرسالة). اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر، والفوز بالجنة، والنجاة من النار. اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها، اللهم أنعشني واجبرني واهدني لصالح الأعمال والأخلاق، فإنه لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها إلا أنت.

اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني. اللهم اغفر لي خطيئتي وعمدي، وهزلي وجهدي، وكل ذلك عندي. اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت؛ أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير. اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي، ورحمتك أرجى عندي من عملي. اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، وأنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني؛ إنك أنت الغفور الرحيم. اللهم اغفر لي ذنبي، ووسع لي في داري وبارك لي فيما رزقتني. اللهم اجعل التقوى زادتي، واغفر ذنبي، ووجهني للخير حيثما كنت. اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني، اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ولك الحمد أنت قيام السماوات والأرض ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق. اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاسمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت. أنت إلهي لا إله إلا أنت. اللهم إني أسألك عيشة نقية، وميتة سوية، ومرداً غير مخز ولا فاضح. اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عن سواك. اللهم إني أسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى. اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يداً ولا نعمه، فإني وجدت فيما أوحيته إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: {لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله}. اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك، ويرجو موعودك، يا بار يا رحيم. اللهم ارزقني عينين هطاليتين، تشفيان القلب بذروف الدموع من خشيتك، قبل أن تكون الدموع دماً، والأضراس جمرًا. اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت. اللهم اجعل سريرتي خيراً من علانيتي، واجعل علانيتي سالحة، اللهم إني أسألك من صالح ما توتي الناس: من المال، والأهل، والولد، غير الضال ولا المضل. اللهم إني أسألك نفساً مطمئنة، تؤمن ببقائك، وترضى بقضائك، وتقنع بعطائك. اللهم إني ضعيف فقوني، وإني ذليل فأعزني، وإني فقير فارزقني. اللهم اكتبني في ديوان السعداء في الدنيا والآخرة. اللهم اكتبني في ديوان أوليائك المقربين و صفوتك العليا من أكابر الصديقين. اللهم أدم نظرك في بعين عنايتك بي و رضاك عني و محبتك لي و اجتنابك لي و اصطفاك لي في الدين والدنيا والآخرة. اللهم اجعل سعادتي عندك كسعادة المصطفين الذين استخلصتهم و اصطفتهم بسابق العناية الدائمة و المشيئة النافذة. اللهم إنك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه إلا بك فأعطنا منك ما يرضيك عنا. اللهم ارزقنا حبك، وحب من ينفعنا حبه عندك، اللهم وما رزقتنا مما نحب فاجعله قوة لنا فيما نحب، اللهم وما زويت عنا مما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما نحب. يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك. رب أعط نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها. اللهم إني أسألك نفساً مطمئنة، تؤمن ببقائك، وترضى بقضائك، وتقنع بعطائك".

و مما أوصانا به نبي الهدى و الرحمة سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم في مجال الدعاء: الدعاء للغير بظهر الغيب، فقال صلى الله عليه و سلم: "إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك: أمين ولك بمنته" (أخرجه مسلم في صحيحه) و أوصى كذلك بلزوم هذا الدعاء: "اللهم إني أسألك باسمك الأعظم ورضوانك الأكبر، فإنه اسم من أسماء الله" (أخرجه البغوي وابن قانع الطبراني في الكبير عن حمزة بن عبد المطلب، تصحيح السيوطي: حسن) و دعاء: "إليك انتهت الأماني يا صاحب العافية" (الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي: حسن) و كان يستفتح صلى الله عليه و سلم دعائه "سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب" (أحمد في مسنده والحاكم في المستدرک عن سلمة بن الأكوع، تصحيح السيوطي: صحيح) و أوصى بالإلحاح بيا ذا الجلال والإكرام (رواه الترمذي) و لزومه و التبوث عليه و الإكثار من قوله و التلفظ به في الأدعية.

الملحق الرابع عشر العلم وأنواعه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عليك بالعلم؛ فإن العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل دليله، والعمل قيمه، والرفق أبوه، واللين أخوه، والصبر أمير جنوده" (أخرجه الحكيم والترمذي في نوادر الأصول عن ابن عباس) و المقصود بالحلم: صبر، أناة، تسامح، نبصر، نَعقل. وقال علي كرم الله وجهه متحدثاً عن الفرق بين العلم والمال: العلم ميراث الأنبياء والمال ميراث قارون وفرعون و شداد و النمروود و غيرهم. المال تحرسه و العلم يحرسك. لصاحب المال عدو كثير و لصاحب العلم صديق كثير. صاحب المال إذا تصرف في المال ينقص و صاحب العلم إذا تصرف في العلم يزيد. صاحب المال يدعى باسم البخل و اللوم و صاحب العلم يدعى باسم الكرم. صاحب المال يحفظ من السارق و العلم لا يحفظ من السارق. صاحب المال يحاسب يوم القيامة و صاحب العلم يشفع يوم القيامة. المال يندرس بطول المكث و مرور الزمان و العلم لا يندرس و لا يبلى. المال يقسي القلب و العلم ينور القلب. صاحب المال يدعي الربوبية بسبب المال و ما ادعى صاحب العلم الربوبية بل العبودية. و عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: "تعلموا العلم، فإن تعلمه: لله خشية، و طلبه عبادة، و مذاكرته تسبيح، و البحث عنه جهاد، و تعليمه لمن لا يعلمه صدقة، و بذله لأهله قربة، هو معالم الحلال و الحرام، و منار سبل أهل الجنة، و الأتس في الوحشة، و الصاحب في الغربة، و المحدث في الخلوة، و الدليل على السراء و الضراء، و السلاح على الأعداء، و الزين عند الأخلاء، و هو حياة القلوب من الجهل، و التفكر فيه يعدل الصيام، و مدارسته تعدل القيام، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة و أئمة، ترغب الملائكة في خلتهم، و بأجنتها تمسحهم، يستغفر لهم كل رطب و يابس، و به توصل الأرحام، هو إمام العمل و العمل تابعه."

و قد عني العديد من العلماء على مر العصور بتقسيم العلوم وفق أنساق و مجالات و كذا بالحديث على ما ينفع منها و ما لا ينفع، و قد اقتبست التقسيم الآتي من تقسيم ابن خلدون رحمه الله، ملخصاً أفكاره، و معزراً إياها بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنقسم العلوم و بالله التوفيق، إلى:

(1) علم طبيعي يهتدي إليه الإنسان بفكره، و يشمل العلوم الحكيمة الفلسفية، و كذا علوم الفيزياء، و الاتصالات، و ما إلى ذلك من علوم و تكنولوجيايات وصل إليها العقل البشري، و الحديث عن هذه العلوم بالتفصيل قد يكون موضوع قاموس و هو لا يهمننا في هذا المقام.

(2) علم نقلي يأخذه عن من وضعه، و ينقسم إلى:

2_1) الشرعيات من الكتاب و السنة و ينقسم إلى:

2_1_1) علم الكلام للحجاج عن العقائد بالأدلة العقلية: كان السلف الصالح يجلون الحق سبحانه و تعالى و ينزهونه فأدلة التنزيه عندهم كثيرة و دلالتها واضحة فعلموا استحالة التشبيه و قضاوا بأن الآيات من كلام الله، فأمنوا بها و لم يتعرضوا لمعناها ببحث و لا تأويل. لكن لما ألف المتكلمون في التنزيه حدثت بدعة المعتزلة في تعميم هذا التنزيه في أي السلوب، فقضاوا بنفي صفات المعاني من العلم و القدرة و الإرادة و الحياة زائدة على أحكامها، لما يلزم على ذلك من تعدد القديم بزعمهم، و هو مردود بأن الصفات ليست عين الذات و لا غيرها، و قضاوا بنفي السمع و البصر لكونهما من عوارض الأجسام، و هو مردود لعدم اشتراط البنية في مدلول هذا اللفظ، و إنما هو إدراك المسموع أو المبصر، و قضاوا بنفي الكلام لشبهه ما في السمع و البصر، و لم يعقلوا صفة الكلام التي تقوم بالنفس فقضاوا بأن القرآن مخلوق و ذلك بدعة صرح السلف

بخلافها. و عَظُمَ ضرر هذه البدعة، و لفتها بعض الخلفاء عن أئمتهم، و كان ذلك سببا لانتهاض أهل السنة بالأدلة العقلية على هذه العقائد دفعا في صدور هذه البدع، و قام بذلك الشيخ أبو الحسن الأشعري إمام المتكلمين، فتوسط بين الطرق و نفى التشبيه، و أثبت الصفات المعنوية و قصر التنزيه على ما قصره عليه السلف، و شهدت له الأدلة المخصصة لعمومه، فأثبت الصفات الأربع المعنوية، و السمع و البصر و الكلام القائم بالنفس بطريق العقل. و قد سئل الجنيد رحمه الله عن قوم مرَّ بهم من المتكلمين يُفيضون فيه، فقال: ما هؤلاء؟ فقيل: قوم يُنزِّهون الله بالأدلة عن صفات الحدوث و صفات النقص، فقال: نفي العيب حيث يستحيل العيب، عيب.

2_1_2) العقائد الإيمانية في الذات و الصفات و أمور الحشر و النعيم و العذاب و القدر.
 2_1_3) الفقه و ما يتبعه من الفرائض، فالفقه هو الفهم في الدين و هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب و الحظر و الندب و الكراهة و الإباحة، و هي متلقاة من الكتاب و السنة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه. و عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين، و لفتيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، و لكل شيء عماد و عماد هذا الدين الفقه" (أخرجه المرهبي في فضل العلم و الطيران في الأوسط و الدارقطني و البيهقي في الشعب عن أبي هريرة). فالشرف الإسلامي لا يتم إلا بالتفقه في الدين. و تنقسم طرقه حسب المذاهب الأربعة إلى طريقتين: طريقة أهل الرأي و القياس (و هي طريقة أبو حنيفة، و قلده أهل العراق و مسلمة الهند و الصين، و ما وراء النهر و بلاد العجم كلها) و طريقة أهل الحديث (الإمام مالك بن أنس و الشافعي من بعده و من بعدهما الإمام أحمد بن حنبل) فأما الإمام مالك فاختص بمذهبه أهل المغرب و الأندلس (كتاب التهذيب في الدروس) و أما الإمام الشافعي فمقلدوه بمصر، و قاسموا الحنفية في الفتوى و التدريس (و من مقلديه بعده الإمام محيي الدين النووي) و أما الإمام أحمد فمقلدوه قليل لبعد مذهبه عن الاجتهاد و أكثرهم بالشام و العراق و هم أكثر الناس حفظا للسنة و رواية الحديث.

2_1_4) علوم القرآن: عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خياركم من تعلم القرآن و علمه" (ابن ماجة عن سعد، تصحيح السيوطي: صحيح). و تنقسم علوم القرآن إلى:

- 2_1_4_1) علم التفسير و يشمل:
- 2_1_4_1_1) النسخ و المنسوخ
- 2_1_4_1_2) تبين المجمل
- 2_1_4_1_3) معرفة سبب نزول الآيات و مقتضى الحال منها
- 2_1_4_1_4) مقاصد الآي
- 2_1_4_1_5) البلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد و الأساليب، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعربوا القرآن و التمسوا غرائبه" (ابن أبي شيبة و الحاكم في المستدرک و البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة)

2_4_1_2) علم القراءات و المقصود بها القراءات السبع، يقول صلى الله عليه وسلم: "أقرأوا القرآن بلحون العرب و أصواتها، و إياكم و لحون أهل الكتابين و أهل الفسق، فإنه سيجيء بعدي قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء و الرهبانية و النوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم و قلوب من يعجبهم شأنهم" (الطبراني في الأوسط و البيهقي في شعب الإيمان عن حذيفة) و يقول صلى الله عليه وسلم: "القرآن يقرأ على سبعة أحرف. و لا تماروا في القرآن، فإن مرأ في القرآن كفر" (أحمد في مسنده عن أبي جهيم، تصحيح السيوطي: صحيح)

2_1_5) علوم الحديث: و هي علوم تفرق بين الصحيح و الحسن و الضعيف و المرسل و المنقطع و المعضل و الشاذ و الغريب، و من فحول علماءه و أئمتهم: أبو عبد الله الحاكم و محيي الدين النووي و غيرهم كثير.

2_1_6) أصول الفقه، و ما يتعلق بها من الجدل و الخلافات، و هي من أعظم العلوم الشرعية و أجلها قدرا و أكثرها فائدة، و هو النظر في الأدلة الشرعية (الكتاب و السنة و الإجماع و القياس و هي أصول الأدلة) من حيث تؤخذ منها الأحكام و التكاليف: و قد كان أول من كتب في أصول الفقه الإمام الشافعي رضي الله عنه، أملى فيه رسالته المشهورة، تكلم فيها في الأوامر و النواهي و البيان و الخبر و النسخ و حكم العلة المنصوصة من القياس. و من أحسن ما كتب في أصول الفقه: المستصفى للجزالي (و هو من الأشعرية) و كتاب المعتمد لأبي الحسين البصري (من المعتزلة) و قد لخص هذه الكتب فحلان من المتكلمين و هما الإمام فخر الدين بن الخطيب في كتاب المحصول و سيف الدين الأمدى في كتاب الأحكام. و كان ابن الخطيب أميل للحجاج و الاستدلال و اختصر كتابه تلميذه الإمام سراج الدين الأرموي: كتاب التحصيل. أما الأمدى فكان أميل للتحقيق و لخص أبو عمرو بن الحاجب كتابه في: المختصر الكبير، ثم اختصره في كتاب آخر.

2_1_7) علم الفرائض و هو معرفة فروض الوراثة و تصحيح سهام الفريضة مما تصح، أما أشهر تآليف هذا العلم عند المالكية فهو كتاب ابن ثابت و مختصر القاضي أبي القاسم الحوفي ثم الجعدي.

2_1_8) و من العلوم أيضا ما يبحث عن حقيقة التوحيد و المعرفة و من أبرزها علم التصوف: إذ لا يزال المرید يترقى من مقام إلى مقام إلى أن ينتهي إلى التوحيد و المعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة. و أصل هذه المقامات: الطاعة و الإخلاص و يتقدمها الإيمان و يصاحبها. و أصل هذه الطريقة هي محاسبة النفس على الأفعال و التروك و الكلام في هذه الأدواق و المواجد التي تحصل عن المجاهدات ثم تستقر للمريد مقاما و يترقى منها إلى غيرها. فالمجاهدة و الخلوة و الذكر يتبعها غالبا كشف حجاب الحس و الاطلاع على عوالم من أمر الله سبحانه و تعالى، ليس لصاحب الحس إدراك شيء منها. و سبب هذا الكشف: أن الروح إذا رجع عن الحس الظاهر إلى الباطن ضعفت أحوال الحس و قويت أحوال الروح و غلب سلطانه و تجدد نشؤه و أعان على ذلك الذكر، فإنه (أي الذكر) كالغذاء لتنمية الروح و لا يزال في نمو إلى أن يصير شهودا بعد إن كان عالما، و يكشف حجاب الحس و يتم وجود النفس الذي لها (من ذاتها) و هو عين الإدراك، فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية و العلوم اللدنية و الفتح الإلهي، و تقرب ذاته في تحقق حقيقتها من الأفق الأعلى (أفق الملائكة) و هذا الكشف كثيرا ما يعرض لأهل المجاهدة، فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم. هذا و إن الكشف لا يكون صحيحا كاملا إلا إذا كان ناشئا عن الاستقامة، لأن الكشف قد يحصل لصاحب الجوع و الخلوة و إن لم يكن هناك استقامة، كالسحرة و غيرهم من المرتاضين، و مثاله أن المرأة الصقلية إذا كانت مُحَدَّبَةً أو مُقَعَّرَةً و حوذي بها جهة المرئي، فإنه يتشكل فيه معوجا على غير صورته، و إن كانت مسطحة تشكل فيها المرئي صحيحا. و تجدر الإشارة إلى أنه، عند التكلم في حقائق الموجودات العلوية و السفلية، و حقائق الملك و الروح و العرش و الكرسي، لا يبقى للبرهان و لا للدليل نفع في هذه الطريقة ردا و قبولا إذ هي من قبيل الوجدانيات. و تجدر الإشارة كذلك أن سلف المتصوفة من أهل الرسالة الذين هم أعلام هذه الأمة، لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب، و لا هذا النوع من الإدراك، إنما همهم الاتباع و الاقتداء ما استطاعوا، و من عرض عليه شيء من ذلك، أعرض عنه و لم يحفل به، بل يفرون منه و يرون أنه من العوائق و المحن، و أنه إدراك من إدراكات النفس فهو مخلوق حادث، و أن الموجودات لا تتحصر في مدارك الإنسان، و علم الله أوسع، فلا ينطقون بشيء مما

يدركون، بل حظروا الخوض في ذلك، و منعوا من يكشف له الحجاب من أصحابهم من الخوض فيه و الوقوف عنده، بل يلتزمون طريقتهم كما كانوا في عالم الحس قبل الكشف من الاتباع و الاقتداء، و الله الموفق للصواب.

2_1_9) علم تعبير الرؤيا و هو من العلوم الشرعية: والسبب في كون الرؤيا مدركا للغيب هو أن الروح القلبي و هو البخار اللطيف المنبعث من تجويف القلب اللحمي ينتشر في الشريانات و مع الدم في سائر البدن و به تكمل أفعال القوى الحيوانية و إحساسها، فإذا أدركه الملال بكثرة التصرف في الاحساس بالحواس الخمس (عياء) و إذا غشي سطح البدن ما يغشاه من برد الليل انخس الروح من سائر أقطار البدن إلى مركزه القلبي، فيستجم بذلك لمعاودة فعله فتتعطل الحواس الظاهرة كلها ثم يحصل النوم. و الفرق بين الرؤيا الصالحة و أضغاث الأحلام الكاذبة، إذ أن كلها صور في الخيال حالة النوم، هو أنها إذا كانت تلك الصور منتزلة من الروح العقلي المدرك فهو رؤيا، و إن كانت مأخوذة من الصور التي في الحافظة التي كان الخيال أودعها إياها منذ اليقظة فهي أضغاث أحلام.

2_2) علوم اللسان العربي، و تنقسم إلى:

2_2_1) علم اللغة: و تجدر الإشارة إلى أن لغة العرب لهذا العهد مستقلة مغايرة للغة مضر و حمير، فأما لغة مضر فهي التي نزل بها القرآن، و أما لغة حمير فهي لغة تغاير لغة مضر في الكثير من أوضاعها و تصاريفها و حركات إعرابها كما هي لغة العرب لعهدنا مع لغة مضر، إلا أن العناية بلسان مضر من أجل الشريعة حمل ذلك على الاستنباط و الاستقراء.

2_2_2) علم النحو.

2_2_3) علم البيان.

2_2_4) علم الأدب.

و من العلوم النقلية أيضا علم أسرار الحروف و هو المسمى بالسيميا، و هناك من العلوم ما استأثر الله به نفسه كالغيبيات الخمسة و هي: "علم الساعة، و يُنزلُ الغيث، و يعلم ما في الأرحام، و ما تدري نفس ماذا تكسب غدا، و ما تدري نفس بأي أرض تموت".

الملحق الخامس عشر حفظ مائة حديث

إن علم الحديث الشريف هو من أجل العلوم قدرا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من حفظ على أمي أربعين حديثا من سنتي أدخلته يوم القيامة في شفاعتي " (صحيح الجامع الصغير)، و من كثر العمال: من حفظ على أمي أربعين حديثا ينفعم الله تعالى بها، قيل له: أدخل من أي أبواب الجنة شئت. و لأهمية حفظ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ارتأيت جمع مائة حديث مما يسهل حفظه، و هي كلها من الأحاديث الصحيحة أو الحسنة (من صحيح البخاري و صحيح مسلم و السنن الأربعة و مسند الإمام أحمد و كتاب الدارمي)، و ذلك حتى يعمنا الخير أجمعين و الله الموفق للصواب، و الأحاديث هي كالتالي:

- (1) إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى: فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه
- (2) أتى باب الجنة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك. (في رواية مسلم الصحيحة: بك أمرت؛ لا أفتح لأحد قبلك. من فيض القدير)
- (3) آخر قرية من قرى الإسلام خرابا المدينة
- (4) آية الإيمان حب الأنصار، و آية النفاق بغض الأنصار
- (5) آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان
- (6) أبردوا بالظهر، فإن شدة الحر من فيح جهنم
- (7) أبشروا وبشروا من وراءكم أنه من شهد أن لا إله إلا الله صادقا بها دخل الجنة
- (8) أبغض الحلال إلى الله الطلاق
- (9) أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم
- (10) أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه
- (11) ابغوني الضعفاء فإنما ترزقون وتتصرون بضعفائكم
- (12) ابن أخت القوم منهم
- (13) أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين
- (14) أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، و أبو عبيدة بن الجراح في الجنة
- (15) أتاكم أهل اليمن، هم أضعف قلوبا، وأرق أفئدة، الفقه يمان، والحكمة يمانية
- (16) أتاني جبريل فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، فقلت: وإن زنى وإن سرق، قال: وإن زنى وإن سرق
- (17) أتاني جبريل فأمرني أن أمر أصحابي ومن معي أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية
- (18) أتاني أت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمي الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة. وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا
- (19) أتاني أت من عند ربي عز وجل فقال: من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، ورد عليه مثلها
- (20) اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة
- (21) اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرا، فإنها ليس دونها حجاب
- (22) أتموا الصفوف، فإني أراكم خلف ظهري
- (23) أتموا الوضوء، ويل للأعقاب من النار

- (24) اثنان فما فوقهما جماعة
- (25) اثنان خير من واحد، وثلاثة خير من اثنين، وأربعة خير من ثلاثة، فعليكم بالجماعة فإن الله لن يجمع أمتي إلا على هدى
- (26) اثنان في الناس هما بهم كفر: الطعن في الأنساب والنياحة على الميت
- (27) اجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله، يبارك لكم فيه
- (28) اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات
- (29) أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار
- (30) اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا
- (31) اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورا
- (32) أجلوا الله يغفر لكم
- (33) أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله
- (34) أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل
- (35) أحب الأعمال إلى الله الحب في الله، والبغض في الله
- (36) أحب أهلي إلي فاطمة
- (37) أحب الناس إلي عائشة، ومن الرجال أبوها
- (38) أحب الأسماء إلى الله: عبد الله، وعبد الرحمن
- (39) أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة
- (40) أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها
- (41) أحب الجهاد إلى الله كلمة حق تقال لإمام جائر
- (42) أحب الحديث إلي أصدقه
- (43) أحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يوما ويفطر يوما، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه
- (44) أحب الكلام إلى الله تعالى أن يقول العبد "سبحان الله وبحمده"
- (45) أحب الكلام إلى الله تعالى أربع: "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر" لا يضررك بأيهن بدأت
- (46) احتكار الطعام في الحرم إحداه فيه
- (47) احثوا في أفواه المداحين التراب
- (48) أحد جبل يحبنا ونحبه
- (49) أحسنوا إقامة الصفوف في الصلاة
- (50) احفوا الشوارب، وأعفوا اللحى
- (51) أحل الذهب والحريز لإناث أمتي، وحرم عن ذكورها
- (52) أحلت لنا ميتتان ودمان: فأما الميتتان فالحوت والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال
- (53) اختن إبراهيم وهو ابن ثمانين سنة بالقدم
- (54) أخذ الأمير الهدية سحت، وقبول القاضي الرشوة كفر
- (55) أضع الأسماء عند الله يوم القيامة رجل تسمى "ملك الأملاك" لا مالك إلا الله
- (56) أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك
- (57) أدخل الله الجنة رجلا كان سهلا: مشتريا، وبائعا، وقاضيا، ومقتضيا
- (58) ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه
- (59) ادفنوا القتلى في مصارعهم
- (60) أدنى أهل النار عذابا ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه
- (61) إذا أتاك الله مالا فليبر أثر نعمة الله عليك وكرامته
- (62) إذا أمنك الرجل على دمه فلا تقتله

- (63) إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة
- (64) إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود؛ فليتوضأ
- (65) إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة، ولا يولها ظهره ولكن شرقوا أو غربوا
- (66) إذا أتاكم كريم قوم فأكرموا
- (67) إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض
- (68) إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه
- (69) إذا أحدث أحدكم في صلاته، فليأخذ بأنفه، ثم لينصرف
- (70) إذا أخذت مضجعتك من الليل فاقرأ "قل يا أيها الكافرون" ثم نم على خاتمتها، فإنها براءة من الشرك
- (71) إذا أدى العبد حق الله وحق مواليه كان له أجران
- (72) إذا أديت زكاة مالك، فقد قضيت ما عليك
- (73) إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله، قيل: كيف يستعمله، قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت، ثم يقبضه عليه
- (74) إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له فيها حاجة
- (75) إذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء
- (76) إذا أراد أحدكم أن يبول، فليرتد لبوله
- (77) إذا أراد أحدكم أن يذهب إلى الخلاء، وأقيمت الصلاة فليذهب إلى الخلاء
- (78) إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له، فليرجع
- (79) إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعه
- (80) إذا استجمر أحدكم فليوتر
- (81) إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه
- (82) إذا استطاب أحدكم فلا يستطب بيمينه، ليستنج بشماله
- (83) إذا استلقى أحدكم على قفاه فلا يضع إحدى رجليه على الأخرى
- (84) إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ أهله وصليا ركعتين، كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات
- (85) إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ، فليستثر ثلاث مرات، فإن الشيطان يبیت على خياشيمه
- (86) إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة: فإن شدة الحر من فيح جهنم
- (87) إذا أصبحتم فقولوا: "اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك المصير"
- (88) إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلا
- (89) إذا أعطيت شيئا من غير أن تسأل، فكل وتصدق
- (90) إذا أفرط أحدكم فليفطر على تمر، فإنه بركة، فإن لم يجد تمرا فليفطر على الماء، فإنه طهور
- (91) إذا اقترب الزمان لم تكذب رويًا الرجل المسلم تكذب، وأصدقهم رويًا أصدقهم حديثًا
- (92) إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة
- (93) إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدأوا بالعشاء
- (94) إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما
- (95) إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله
- (96) إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله واستغفرا غفر لهما
- (97) إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل
- (98) إذا أم أحدكم الناس فليخفف، فإن فيهم الصغير، والكبير، والضعيف، والمريض، وذا الحاجة. وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء
- (99) إذا أمن الإمام فأمنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه
- (100) إذا انتصف شعبان فلا تصوموا حتى يكون رمضان

الملحق السادس عشر ملحق المحبة

أمثلة للحب في الله و البغض فيه

1. من يحب أستاذه و شيخه لأنه يتوصّل به إلى تحصيل العلم و تحسين العمل، و مقصوده من العلم و العمل الفوز في الآخرة، فهذا حبٌّ في الله تعالى.
2. من يحب تلميذه لأنه يتلقّف منه العلم و ينال بواسطته رتبة التعليم، و يرقى به إلى درجة التعظيم في ملكوت السموات ، قال عيسى عليه السلام: "من علم و عمل و علم فذلك يُدعى عظيماً في ملكوت السماء"
3. من أحب طبأخا لحسن صنعته في الطبخ، فهو يهيئ له الأطعمة اللذيذة الغربية التي يقدّمها بدوره للضيوف تقرباً إلى الله.
4. من أحب من يتولى له إيصال الصدقة إلى المستحقين.
5. من أحب من يخدمه بنفسه في غسل ثيابه و كنس بيته، و طبخ طعامه، و يفرّغه بذلك للعلم أو العمل، و مقصوده من استخدامه في هذه الأعمال الفراغ للعبادة.
6. من نكح امرأة صالحة ليتحصن بها عن وسواس الشيطان، و يصون بها دينه، أو ليولد منها له ولد صالح يدعو له، فأحبّها لذلك.
7. كلُّ من استغرق بحب الله و حب رضاه و حب لقائه في الدار الآخرة، فإذا أحب غيره كان محباً في الله (فهذا الغير مناسب لما هو محبوب عنده فيبتغي عبره رضا الله عز و جل).
8. أن يحبه الله و في الله لا لينال منه علماً أو عملاً أو يتوصل به إلى أمر وراء ذاته، و هذا أعلى الدرجات، فحب الله تعالى إذا قوي أثمر حب من يقوم بحق عبادة الله في علم أو عمل، و أثمر حبّاً كل من فيه صفة مرضية عند الله تعالى، من خلق حسن أو تأدب بأداب الشرع، مثال: حب الأموات من العلماء و العبّاد و من الصحابة و التابعين، بل من الأنبياء المنقرضين صلوات الله عليهم و سلامه.

هذا و اعلم أنه لو كانت محبتك لأحدٍ لله، لغضبت عليه إذا عصاه، و قد كان من أخلاق السلف الصالح رضي الله عنهم غيرتهم لله تعالى إذا انتهكت حرّماته نصرَةً للشريعة المطهّرة. و روى الإمام أحمد عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أن أصحابه كانوا ينتظرونه، فلما خرج قالوا: ما أبطأك عنا أيها الأمير؟ قال: أما إني سوف أحدثكم، إن أخوا لكم ممن كان قبلكم، و هو موسى عليه السلام، قال: يا رب! حدثني بأحب الناس إليك، قال و لم؟ قال: لأحبّك إياه، قال: عبدٌ لي في أقصى الأرض، أو طرف الأرض، سمع به عبد آخر في أقصى، أو طرف الأرض، لا يعرفه، فإن أصابته مصيبة فكأنما أصابته، و إن شاكته شوكة فكأنما شاكته، لا يحبه إلا لي، فذلك أحب خلقي إلي. و قال علي كرم الله وجهه: عليكم بالإخوان، فإنهم عدة في الدنيا و الآخرة، ألا تسمعون إلى قول أهل النار "فما لنا من شافعين و لا صديق حميم" (الشعراء 100-101)

نسب رسول الله صلى الله عليه و سلم

أما نسب رسول الله صلى الله عليه و سلم فهو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (و هو شيبية الحمد) بن هاشم (و هو عمرو) بن عبد مناف (المغيرة) بن قصي (زيد) بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر (قريش) بن مالك بن النضر (قيس) بن كنانة بن خزيمة بن مدركة (عمرو بن إلياس) بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. لا اختلاف في هذا و إنما الاختلاف بين عدنان و إسماعيل عليه السلام. (فتح الباري شرح صحيح البخاري)

قربة النبي صلى الله عليه وسلم

و أما قربة النبي صلى الله عليه وسلم ممن ينسب إلى جده الأقرب و هو عبد المطلب ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم منهم، أو من رآه من ذكر و أنثى و هم: علي و أولاده. و الحسن و الحسين من فاطمة عليها السلام. و محسن و أم كلثوم من فاطمة عليها السلام أيضا. و جعفر و أولاده: عبد الله و عون و محمد و أحمد. و عقيل بن أبي طالب و ولده مسلم بن عقيل. و حمزة بن عبد المطلب و أولاده يعلى و عمارة و أمامة. و العباس بن عبد المطلب و أولاده الذكور 10 و هم: الفضل و عبد الله و قثم و عبيد الله و الحارث و معبد و عبد الرحمان و كثير و عون و تمام و من الإناث: أم حبيب و آمنة و صفية و أكثرهم من لبابة أم الفضل. و معتب بن أبي لهب. و العباس بن عتبة بن أبي لهب و كان زوج آمنة بنت العباس. و عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب و أخته ضباعة و كانت زوج المقداد بن الأسود. و أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب و ابنه جعفر و نوفل بن الحارث بن عبد المطلب و ابنه المغيرة و الحارث و لعبد الله بن الحارث هذا رواية و كان يلقب ببه. و أميمة و أروى و عاتكة و صفية بنات عبد المطلب أسلمت صفية و صحبت و في الباقيات خلف و الله أعلم (فتح الباري شرح صحيح البخاري).

أصهار النبي صلى الله عليه وسلم

جاء عن عبد الله بن أبي أوفى رفعه: "سألت ربي أتزوج أحدا من أمتي و لا أتزوج إليه إلا كان معي في الجنة، فأعطاني" (أخرجه الحاكم في مناقب علي). "و لا أتزوج إليه": أي أعطيه ابنتي: أصهاره. أما أصهار النبي صلى الله عليه وسلم، فهم ثلاثة و هم أبو العاص بن الربيع و عثمان بن عفان و علي بن أبي طالب، و لم يتزوج أحد من بنات النبي صلى الله عليه وسلم غير هؤلاء الثلاثة إلا ابن أبي لهب فإنه كان تزوج من رقية قبل عثمان و لم يدخل بها، فأمره أبوه بمفارقتها ففارقها، فتزوجها عثمان. (فتح الباري شرح صحيح البخاري)

- 1) أبو العاص بن الربيع بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف و أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة فكان ابن أختها، و هو زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم و خديجة رضي الله عنها قبل البعثة و هي أكبر بنات النبي صلى الله عليه وسلم و قد أسير أبو العاص بيدد مع المشركين، و فدته زينب فشرط عليه النبي صلى الله عليه وسلم أن يرسلها إليه فوفى إليه بذلك، ثم أسير أبو العاص مرة أخرى فأجارته زينب فأسلم فردها النبي صلى الله عليه وسلم إلى نكاحه و ولدت أمامة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يحملها و هو يصلي. و ولدت له أيضا ابنا اسمه علي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مراهقا فيقال إنه مات قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، و أما أبو العاص فمات سنة 12هـ.
- 2) عثمان بن عفان رضي الله عنه و هو زوج رقية.
- 3) علي بن أبي طالب كرم الله وجهه و هو زوج فاطمة عليها السلام.

من سننه صلى الله عليه وسلم

فمن سننه صلى الله عليه وسلم في الاستئذان، روى أبو داود عن عبد الله بن بسر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر فيقول: (السلام عليكم السلام عليكم) وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ ستور. و استأذن النبي صلى الله عليه وسلم نساءه في أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها أي أن أزواجه صلى الله عليه وسلم و هبن لها ما استحققن من الأيام. و من سننه صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الفقراء، كان لا يسأل شيئا إلا أعطاه أو سكت (الحاكم في المستدرک عن أنس، تصحيح السيوطي: صحيح) و كان يكثر الذكر و يقل اللغو، و يطيل الصلاة و يقصر الخطبة، و كان لا يأنف و لا يستكبر أن يمشي مع الأرملة و المسكين و العبد حتى يقضي له حاجته (النسائي و الحاكم في المستدرک عن ابن أبي أوفى الحاكم في المستدرک عن أبي سعيد، تصحيح السيوطي:

(صحيح) و من سننه صلى الله عليه و سلم في البيوع، اشترى النبي صلى الله عليه و سلم طعاما من يهودي إلى أجل و رهنه درعا من حديد (جواز الشراء بالنسيئة) (فتح الباري شرح صحيح البخاري) و قال ابن حجر: واستنبط منه جواز معاملة من أكثر ماله حرام. وفيه ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من التواضع والزهد في الدنيا والتقلل منها مع قدرته عليها، والكرم الذي أفضى به إلى عدم الادخار حتى احتاج إلى رهن درعه، والصبر على ضيق العيش والقناعة باليسير، وفضيلة أزواجه لصبرهن معه على ذلك. قال العلماء: الحكمة في عدوله صلى الله عليه وسلم عن معاملة مياسير الصحابة إلى معاملة اليهود إما لبيان الجواز، أو لأنهم لم يكن عندهم إذ ذاك طعام فاضل عن حاجة غيرهم أو خشي أنهم لا يأخذون منه ثمنا أو عوضا فلم يُرد التضييق عليهم، فإنه لا يبعد أن يكون فيهم إذ ذاك من يقدر على ذلك وأكثر منه، فلعله لم يطلعهم على ذلك وإنما اطلع عليه من لم يكن موسرا به ممن نقل ذلك. و من سننه صلى الله عليه و سلم في تعامله مع أهله، كان يعمل عمل البيت، وأكثر ما يعمل الخياطة (ابن سعد عن عائشة، تصحيح السيوطي: ضعيف) "كان يعمل عمل أهل البيت": من ترقيق الثوب وخصف النعل وحلب الشاة وغير ذلك، "وأكثر ما" كان "يعمل" في بيته "الخياطة" وفيه أن الخياطة صنعة لا دناءة فيها وأنها لا تخل بالمروءة ولا بالمنصب. و "كان يكسو بناته خُمُر القز والإبريسم" (ابن النجار عن ابن عمر، تصحيح السيوطي: ضعيف) "كان يكسو بناته خُمُر" و الخُمُر جمع خمار ككتاب وكتب ما تغطي به المرأة رأسها، وفيه أن استعمال القز والحريز جائز للنساء. و من سننه صلى الله عليه و سلم في الأكل، كان يأكل بثلاث أصابع، ويلعق يده قبل أن يمسحها (أحمد في مسنده وصحيح مسلم وأبو داود عن كعب بن مالك، تصحيح السيوطي: صحيح) و من سننه صلى الله عليه و سلم في السفر، كان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين، ثم يثني بفاطمة، ثم يأتي أزواجه (الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرک عن أبي ثعلبة، تصحيح السيوطي: صحيح) و كان إذا كان مقيما اعتكف العشر الأواخر من رمضان، وإذا سافر اعتكف من العام المقبل عشرين (أحمد في مسنده عن أنس، تصحيح السيوطي: صحيح) و كان يستحب أن يسافر يوم الخميس (الطبراني في الكبير عن أم سلمة، تصحيح السيوطي: حسن) و من سننه صلى الله عليه و سلم في إلقاء الحديث، كان يُحدِّث حديثا لو عدده العاد لأحصاه (متفق عليه [البخاري ومسلم]، تصحيح السيوطي: صحيح) "كان يحدث حديثا": ليس بمهزوم مسرع ولا متقطع يتخلله السكتات بين أفراد الكلم بل يبالغ في إفصاحه وبيانه (بحيث لو عدده العاد لأحصاه) أي لو أراد المستمع عد كلماته أو حروفه لأمكنه ذلك بسهولة ومنه أخذ أن على المدرس أن لا يسرد الكلام سردا بل يرتله ويزينه ويتمهل ليتفكر فيه هو وسامعه وإذا فرغ من مسألة أو فصل سكت قليلا ليتكلم من في نفسه شيء. و كان لا يحدث حديثا إلا تبسم (أحمد في مسنده عن أبي الدرداء، تصحيح السيوطي: حسن) و عن أم الدرداء قالت: كان أبو الدرداء لا يحدث حديثا إلا تبسم فيه فقلت له: إني أخشى أن يحمقك الناس، فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحدث بحديث إلا تبسم فيه. (رواه أحمد والطبراني في الكبير)، و من سننه صلى الله عليه و سلم و سنن صحابته من بعده في كتابة الكتب و الرسائل، البدء بالكاتب ثم ذكر المكتوب إليه: من فلان إلى فلان. و عن نافع كان عمال عمر إذا كتبوا إليه بدعوا بأنفسهم. قال المهلب: السنة أن يبدأ الكاتب بنفسه. و في إحدى مكاتباته، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سبحان الله! أين الليل إذا جاء النهار" قالوا: كتب هرقل إلى النبي صلى الله عليه وسلم: تدعوني إلى جنة عرضها السماوات والأرض، فأين النار؟ فذكره "" (أحمد في مسنده عن التتوخي، تصحيح السيوطي: صحيح) و من عوائد صلى الله عليه و سلم، كان إذا دخل الخلاء وضع خاتمه (الأربعة [أبو داود، الترمذي، النسائي، ابن ماجه]، تصحيح السيوطي: صحيح) و كان يتختم بالفضة (الطبراني في الكبير عن عبد الله بن جعفر، تصحيح السيوطي: حسن) و كان خاتمه فضة يلبسه في خنصره الأيمن (أخرجه مسلم). و عن ابن عباس رضي الله عنهما: "كان النبي صلى الله عليه و سلم إذا نام نفخ": Ronfler و الله أعلم. (متفق عليه [البخاري ومسلم]) و كان إذا مشى لم يلتفت (الحاكم في المستدرک عن جابر، تصحيح السيوطي: صحيح) و كان صلى الله عليه و سلم إذا مشى مشى

أصحابه أمامه، وتركوا ظهره للملائكة (ابن ماجة والحاكم في المستدرک عن جابر، تصحيح السيوطي: صحيح) و كان إذا مشى كأنه يتوكأ (أبو داود والحاكم في المستدرک عن أنس، تصحيح السيوطي: صحيح) و كان إذا وجد الرجل راقدا على وجهه ليس على عجزه شيء ركضه برجله وقال: هي أبغض الرقدة إلى الله تعالى (أحمد في مسنده عن الشريد بن سويد، تصحيح السيوطي: حسن) و مما كان يعجبه صلى الله عليه وسلم السواك و كان يقول هو مطهرة للفم، مرضاة للرب (أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه، تصحيح السيوطي: صحيح) و كان يعجبه الفاغية (أحمد في مسنده عن أنس، تصحيح السيوطي: صحيح) "كان يعجبه الفاغية" أي ريحها وهو نور الحناء وتسميها العامة تمر حناء وقيل الفاغية والفغو نور الريحان وقيل نور كل نبت وقيل الفغوة في كل شجرة هي التنوير ويجوز أن يريد إذا انتشرت رائحته من فغت الرائحة فغوا و كان صلى الله عليه وسلم يعجبه القرع (أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه عن أنس، تصحيح السيوطي: حسن) "كان يعجبه" من الإعجاب "القرع" قال ابن دريد: وأحسبه مشبهاً بالرأس الأقرع وهو الدباء وهو ثمر شجر اليقطين وهو بارد رطب يغذو غذاء يسيراً سريع الانحدار وإن لم يفسد قبل الهضم وله خلطاً صالحاً وسبب محبته له ما فيه من زيادة العقل والرطوبة وما خصه الله به من إنباته على يونس حتى وقاه وتربى في ظله فكان له كالأم الحاضنة لفرخها. و كان صلى الله عليه وسلم يعجبه الريح الطيبة (أبو داود والحاكم في المستدرک عن عائشة، تصحيح السيوطي: صحيح) "كان يعجبه الريح الطيبة" لأنها غذاء للروح والروح مطية القوى والقوى تزداد بالطيب وهو ينفع الدماغ والقلب وجميع الأعضاء الباطنة ويُفَرِّج القلب ويسر النفس وهو أصدق شيء للروح وأشدّه ملاءمة لها وبينه وبين الروح نسب قريب فلهذا كان أحب المحبوبات إليه من الدنيا. و كان صلى الله عليه وسلم يعجبه الذراعان والكتف (ابن السني و أبو نعيم في الطب عن أبي هريرة، تصحيح السيوطي: حسن) و كان أحبّ الطعام إليه اللحم و يقول: "هو يزيد في السمع و هو سيد الطعام في الدنيا و الآخرة و لو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل" (أخرجه أبو الشيخ والترمذي في الشمائل من حديث جابر وإسناده صحيح) و مما كان يكره، كان يكره صلى الله عليه وسلم أن يرى الرجل جهيراً رفيع الصوت، وكان يحب أن يراه خفيض الصوت (الطبراني في الكبير عن أبي أمامة، تصحيح السيوطي: حسن) و كان يكره العطسة الشديدة في المسجد (البيهقي في السنن عن أبي هريرة) و كان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما. ففي الصحيحين من حديث ابن عمر "أحلت لنا ميتتان ودمان" وفيه "أما الدمان: فالكبد والطحال" وللبيهقي موقفاً على زيد بن ثابت "إني لأكل الطحال وما بي إليه حاجة إلا ليعلم أهلي أنه لا بأس به". و كان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث. أخرجه مالك في الموطأ. ولمسلم من حديث أبي أيوب في قصة بعثه إليه بطعام فيه ثوم فلم يأكل منه وقال "إني أكرهه من أجل ريحه". و كان صلى الله عليه وسلم لا يأكل الحار و يقول: "إنه غير ذي بركة و إن الله لم يطعمنا ناراً فأبردوه" (أخرجه البيهقي من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح: أتى النبي صلى الله عليه وسلم يوماً بطعام سخن فقال "ما دخل بطني طعاماً سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم")

بعد موته صلى الله عليه وسلم

كان جبريل عليه السلام يعارض النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل سنة مرة، و لما اقترب أجل النبي صلى الله عليه وسلم عارضه في ذلك العام مرتين و أوصى صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة فقال: قولي إذا مت إنا لله و إنا إليه راجعون. (فتح الباري شرح صحيح البخاري)

التغنى بمحبة النبي صلى الله عليه و سلم

يقول الإمام البوصيري في البردة يصف حبه للنبي صلى الله عليه و سلم:

أمن تَذَكَّرَ جيرانِ بذي سلم
أم هبَّتِ الرِّيحُ من تلقاءِ كاظِمَةٍ
فما لِعَيْنِكَ إن قُلْتَ اكْفُفا هَمًّا
أيحسب الصَّبُّ أن الحبَّ مُنْكَمِّمٌ
لولا الهوى لم تُرِقْ دمعاً على طللٍ
نَعَمَ سَرَى طيفُ من أهوى فَأَرَقَنِي
يا لائمي في الهوى العذريِّ معذرةً
محضتني النصح لكن لستُ أسمعُهُ

مَزَجْتَ دمعاً جرى من مقلَّةِ بَدَمٍ
وأومض البرقُ في الظَّلماءِ من إضْمٍ
و ما لقلبك إن قلتِ استنْفِقِ يَهُمٍ
ما بين مُنْسَجِمٍ منه و مُضْطَرَمٍ
و لا أرقَّتَ لذكرِ البانِ و العَلَمِ
و الحبُّ يعترضُ اللذاتِ بالألمِ
مني و لو أنصفتِ لم تَلَمِ
إن المُحِبَّ عن العُدَّالِ في صَمَمِ

الشرح:

موضع قرب المدينة.	ذو سلم
من جهة.	من تلقاء
لمع لمعانا خفيفا.	أومض البرق
موضعان في الحجاز قرب المدينة.	كاظمة، إضم
من كفّ الدمع أي امتنع.	اكففا
من همى الدمع يهيم أي سال.	همتا
من هام يهيم أي أحب حبا شديدا.	يهم
الدمع المنسكب.	المنسجم
القلب الملتهب شوقا.	المضطرم
سكب.	يرق
ما بقي من آثار الدار.	الطلل
موضع قرب المدينة المنورة.	البان
جبل بقربها أيضا.	العلم
يُنْعَصُ.	يعترض
الهوى الشريف العفيف.	الهوى العذري
كان مخلصا له في النصيحة.	محضه النصح
جمع عاذل أي لائم.	العدال

مراجع الكتاب

- (1) أبجد العلوم للقتوجي
- (2) أبو بكر الصديق لمحمد رضا
- (3) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي
- (4) الأذكار النووية للإمام النووي
- (5) إرشاد السالك، لعبد الرحمن شهاب الدين
- (6) البداية و النهاية لابن كثير
- (7) البردة و الهمزية للإمام البوصيري
- (8) تحفة الأحوذى للمباركفوري
- (9) تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي
- (10) تذكرة الموضوعات، للإمام الفثني
- (11) تركية النفس للدكتور كرزون
- (12) تفسير الجلالين، للإمام جلال الدين المحلي و جلال الدين السيوطي
- (13) تهذيب سنن أبي داود، للإمام ابن القيم
- (14) التوهم للإمام المحاسبي
- (15) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام الطبري
- (16) الجامع الصغير، لجلال الدين السيوطي
- (17) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي
- (18) حاشية السندي على النسائي، للإمام السندي
- (19) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام جلال الدين السيوطي
- (20) الدروس الحسنية (6 دروس)
- (21) دلائل الخيرات لأبي عبد الله الجزولي السملالي الحسني
- (22) الذكرى للإمام القرطبي
- (23) الرسالة المستطرفة لمحمد بن جعفر الكتاني
- (24) الرسالة للإمام الشافعي
- (25) رياض الصالحين للإمام النووي
- (26) زيادة الجامع الصغير، والدرر المنتثرة، لجلال الدين السيوطي
- (27) سنن أبي داود
- (28) سنن ابن ماجة
- (29) سنن الترمذي
- (30) سنن النسائي
- (31) السيرة النبوية لابن هشام
- (32) شرح المعتمد في أصول الفقه لمحمد الحبش
- (33) شرح مسلم للإمام النووي
- (34) شرح مسند الإمام أبي حنيفة للإمام القاري
- (35) صحيح البخاري
- (36) صحيح مسلم
- (37) العهود المحمدية، للإمام الشعراني
- (38) عون المعبود شرح سنن أبي داود للأبادي
- (39) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني
- (40) فقه العبادات على المذهب الحنبلي، للحاجة سعاد زرزور

- (41) فقه العبادات على المذهب الحنفي، للحاجة نجاح الحلبي
- (42) فقه العبادات على المذهب الشافعي، للحاجة ذرية العيطة
- (43) فقه العبادات على المذهب المالكي، للحاجة كوكب عبيد
- (44) فقه اللغة للثعالبي
- (45) الفقه على المذاهب الأربعة، لعبد الرحمن الجزيري
- (46) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للإمام المناوي
- (47) القاموس المحيط للفيروز آبادي
- (48) القرآن الكريم تنزيل العزيز الرحيم
- (49) قواعد العقائد للإمام الغزالي
- (50) كشف الخفاء للعجلوني
- (51) كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون لحاجي خليفة
- (52) كنز العمال للمتقي الهندي
- (53) لسان العرب لابن منظور
- (54) اللمع للشيرازي
- (55) المبسوط للإمام السرخسي
- (56) متن أبي شجاع، للإمام أبي شجاع
- (57) متن الأربعين حديثاً للشيخ أبي عبد الله بن العارف بالله أبي بكر الدلائي
- (58) مجمع الزوائد للهيثمي
- (59) مجموعة كتب للإمام الشعراوي
- (60) محمد صلى الله عليه و سلم لمحمد رضا
- (61) مختار الصحاح لأبي بكر الرازي
- (62) مختصر تفسير ابن كثير، اختصار الصابوني
- (63) مسند الإمام أبي حنيفة
- (64) مسند الإمام أحمد
- (65) مسند الإمام الشافعي
- (66) معجم القواعد العربية للشيخ عبد الغني الدقر
- (67) المعجم الكبير للطبراني
- (68) مغنى المحتاج، للخطيب الشربيني
- (69) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني
- (70) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، لابن الصلاح
- (71) مقدمة ابن خلدون
- (72) الملل و النحل، لأبي الفتح الشهرستاني
- (73) من سور القرآن المباركة و أسرارها، إنتاج دار الفضيلة.
- (74) المنظومة البيقينية
- (75) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن للدكتور زغلول
- (76) الموطأ للإمام مالك
- (77) نصب الراية للزيلعي
- (78) نظم المتناثر للكتاني
- (79) النهاية في غريب الحديث و الأثر لابن الأثير
- (80) نيل الأوطار للإمام الشوكاني
- (81) هداية الحيارى لابن القيم
- (82) ياقوتة المحتاج في الصلاة على صاحب المعراج لأبي عبدالله التازي الدمراوي